

﴿ افهام حقيقة ﴾

لايخفى ان احياء علوم الدين للامام الغزالى من أجل كتب الدين وقد سبق طبعه مرارا لما للكتاب من الأهمية عند الأمة وعندما رأت شركة ﴿ دار الكتب العربية الكبرى ﴾ اعادة طبعه فى هذه المرة حسن لديها ان تقرن بين الاحياء و بين تخريج العراقى المسمى المغنى عن حمل الأسفار فى الاسفار خدمة لاحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا للواقف على الاحياء درجة الأحاديث المنقولة فيه واستحضرت الشركة أصح النسخ للتصحيح ولكن عندما دخلنا فى عباب المغنى وجدناه يخرج بعض أحاديث ليست فى النسخ التى بأيدينا من الاحياء فراجعنا الشارح فوجدنا تلك الأحاديث بنسخته فاثبتناها تبعا لنسخة الشارح ووجدناه يسقط تخريج أحاديث فى النسخ التى بأيدينا وهى ليست بنسخة الشارح فأثبتناها ونبهنا على كل ذلك بتعليقات ووجدنا ان أغلب الأحاديث التى يخرجها فيها ألفاظ كثيرة لاتوافق ألفاظ أحاديث الاحياء وان طابقتها معنى فعلمنا ان المقصود ان يكون لهذه الأحاديث أصل فى المغنى كما أشار الى ذلك العراقى فى الخطبة وقد يشير فى التخريج الى من ينسب اليهم الحديث من المخرجين بطريق الرمز بالحروف فيشير الى البخارى بلفظ خ والى مسلم م والى الترمذى ت والى النسائى ن والى ابن ماجه ه والى ابى داود د والى مارواه البخارى ومسلم بمتفق عليه والى الدارقطنى قط والى الطبرانى فى الاوسط طس وفى الاصغر طص والى البيهقى هق والى ابن حبان حب والى العقيلى عق والى الحاكم ك فنبهنا على ذلك ليكون الواقف فيه على بصيرة وقد سبب اقتران العراقى بالاحياء ان حازت الاحياء فيه درجة من الصحة لم تحزه فى طبعة من الطبعات كما يظهر للواقف ونساله تعالى حسن التمام والنفع لسائر الأنام

﴿ ترجمة الامام الغزالى عليه رحمة الله المولى المتعالى ﴾

هو محمد بن محمد بن محمد بن احمد الامام الجليل أبو حامد الطوسى الغزالى حجة الاسلام * ومحجة الدين التى يتوصل بها الى دار السلام * جامع أشتات العلوم * والمبرز فى المنقول منها والمفهوم * جرت الائمة قبله لشاو ما قنع منه بالغاية * ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح فى دأب لايقضى له بنهاية * حتى أخمل من الاقران كل خصم بلغ مبلغ السها * واخمد من نيران البدع كل مالاتستطيع ايدى المجالدين مسها * كان رضى الله عنه ضرغاما الا أن الاسود تتضاءل لديه وتتوارى * وبدرا تماما الا أن هداه يشرق نهارا * و بشرا من الخلق الا أنه الطود العظيم * وبعض الناس ولكن مثل ما بعض الجماد الدر النظيم * جاء والناس الى ردفرية الفلاسفة احوج من الظلماء لمصابيح السماء * وأفقر من الجدباء الى قطرات الماء * فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بجلاد مقاله * ويحمى حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نضاله * حتى أصبح الدين وثيق العرى * وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت الاحديثا مفترى * هذا مع ورع طوى عليه ضميره * وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره * ترك الدنيا وراء ظهره * وأقبل على الآخرة يعامل الله فى سره وجهره * ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة وكان والده يغزل الصوف و يبيعه فى دكانه بطوس ولما حضرته الوفاة وصى به و بأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له ان لى لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك مافاتنى فى ولدى هذين فعلمهما ولاعليك ان ينفد فى ذلك جميع ما أخلفه لهما فلما مات أقبل الصوفى على تعليمهما الى أن فنى ذلك النذر اليسير الذى كان خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفى القيام بقوتهما فقال لهما اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما وانا رجل من أهل الفقر والتجريد ليس لى مال فاواسيكما به واصلح ما ارى لكما ان تلجآ الى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وكان هو السبب

فى سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالى يحكى هذا ويقول طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الالله * ويحكى ان أباه كان فقيرا صالحا لا يأكل الا من كسب يده فى عمل غزل الصوف ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمتهم ويجد فى الاحسان اليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وانه كان اذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله ان يرزقه ولدا ويجعله فقيها ويحضر مجالس الوعظ فاذا طاب وقته بكى وسأل الله ان يرزقه ولدا واعظا فاستجاب الله دعوتيه اما أبو حامد فكان أفقه أقرانه * وامام أهل زمانه * وفارس ميدانه * كلمة شهد بها الموافق والمخالف * وأقر بحقيقتها المعادى والمحالف * وأما أحمد فكان واعظا تتعلق الصم عند استماع تحذيره * وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره * قرأ الغزالى فى صباه طرفا من الفقه ببلده على احمد بن محمد الراذكانى ثم سافر الى جرجان الى الامام أبى نصر الاسماعيلى وعلق عنه التعليقة ثم رجع الى طوس * قال الامام أسعد الميهنى فسمعته يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معى ومضوا فتبعتهم فالتفت الى مقدمهم وقال ارجع ويحك والاهلكت فقلت له أسألك بالذى ترجو السلامة منه ان ترد على تعليقتى فقط فماهى شىء تنتفعون به فقال لى وماهى تعليقتك فقلت كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعى انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم الى المخلاة * قال الغزالى فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى به فى أمرى فلما وافيت طوس اقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمى * وقد روى هذه الحكاية عن الغزالى أيضا الوزير نظام الملك كما هو مذكور فى ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعانى * ثم ان الغزالى قدم نيسابور ولازم امام الحرمين وجد واجتهد حتى برع فى المذهب والخلاف والاصلين والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة واحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وابطال دعاويهم وصنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها وكان رضى الله عنه شديد الذكاء عجيب القطرة مفرط الادراك بعيد الغور غواصا على المعانى الدقيقة جبل علم مناظرا محجاجا وكان امام الحرمين يصف تلامذته فيقول الغزالى بحر مغرق * والكيا أسد مخرق * والخوافى نار تحرق ويقال ان الامام كان بالآخرة يتمعض منه فى الباطن وان كان يظهر التبجح به فى الظاهر * ثم لما مات امام الحرمين خرج الغزالى الى العسكر قاصدا للوزير نظام الملك وناظر الائمة والعلماء فى مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه على الجميع واعترفوا بفضله وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه اليها فقدم بغداد فى سنة اربع وثمانين وأربعمائة ودرس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة واشاراته اللطيفة وأحبوه وأحلوه محل العين بل أعلى * وقالوا أهلا بمن أصبح لاجل المناصب أهلا * واقام على التدريس وتعليم العلم مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مشهور الاسم تضرب به الامثال وتشد اليه الرحال الى ان شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه وترك كل ذلك وراء ظهر وقصد بيت الله الحرام فحج وتوجه الى الشام فى ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واستناب أخاه فى التدريس وجاور بيت المقدس ثم عاد الى دمشق واعتكف فى زاويته بالجامع الاموى المعروفة اليوم بالغزالية نسبة اليه ولبس الثياب الخشنة وقلل طعامه وشرابه وأخذ فى التصنيف للاحياء وصار يطوف المشاهد ويزور الترب والمساجد * ويأوى القفار * ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الابرار * ويكلفها مشاق العبادات * ويبلوها بانواع القرب والطاعات * الى ان صار قطب الوجود * والبركة العامة لكل موجود * والطريق الموصل الى رضا الرحمن ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتكلم على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الاحياء قال ابن النجار ولم يكن له استاذ ولا طلب شيأ من الحديث * لم ارله الا حديثا واحدا سيأتى ذكره فى هذه الكتاب يعنى تاريخه قلت ولم أره ذكر هذا الحديث بعد * وقد اخبرنا ابو عبد الله الحافظ

بحديث

بحديث من حديثه أوردناه فى الطبقات الكبرى * قال الامام محمد بن يحيى الغزالى هو الشافعى الثانى وقال أسعد الميهنى لا يصل الى معرفة علم الغزالى وفضله * الا من بلغ اوكاد يبلغ الكمال فى عقله * وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدرى رأيت بالاسكندرية فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم فوصلت بعد أيام المركب باحراق كتب الغزالى بالمرية ثم ان الغزالى عاد الى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مديدة يسيرة ثم رجع الى طوس واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وادامة الصلاة والصيام وسائر العبادات الى ان انتقل الى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء * أعلى منزلة من نجوم السماء وأهدى للامة من البدر فى الظلماء * لا يبغضه الا حاسد أو زنديق * ولقد كان فى ثغر الاسكندرية من مدة قريبة أدركها أشياخنا شخص يبغض الغزالى و يغتابه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وابو بكر وعمر رضى الله عنهما الى جانبه وكأن الغزالى واقف بين يديه وهو يقول يارسول الله هذا يعنى الرائى يتكلم فى و يؤذينى قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هاتوا السياط وأمر به فضرب بين يديه لاجل الغزالى وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره * ومن تصانيف الغزالى * البسيط والوسيط * والوجيز والخلاصة والمستصفى والمنخول * وتحصين الادلة * وشفاء الغليل * والاسماء الحسنى والرد على الباطنية ومنهاج العابدين * واحياء علوم الدين * وغير ذلك من التصانيف توفى بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ولو اردنا استيعاب ترجمته لطال الشرح وفيما أوردناه مقنع و بلاغ

﴿ ترجمة الامام العراقى رحمه الله ﴾

(منقولة من حسن المحاضرة للامام السيوطى)

قال فى باب ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده (العراقى) الحافظ الامام الكبير زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن حافظ العصر ولد بمنشاة المهرانى بين مصر والقاهرة فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعنى بالفن وتقدم فيه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة كالسبكى والعلائى وابن كثير وغيرهم ونقل عنه الاسنوى فى المهمات ووصفه بحافظ العصر وكذلك وصفه فى الترجمة ابن سيد الناس وله مؤلفات فى الفن بديعة كالألفية التى اشتهرت فى الآفاق وشرحها ونظم الاقتراح وتخريج أحاديث الاحياء وتكملة شرح الترمذى لابن سيد الناس وشرع فى املاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنة الاملاء بعد ان كانت دائرة فاملى أكثر من أربعمائة مجلس وكان صالحا متواضعا ضيق المعيشة مات فى ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة ورثاه تلميذه الحافظ بن حجر العسقلانى بقصيدة غراء فانظرها هنالك

﴿ ترجمة الامام السهروردى ﴾

هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه واسمه عبد الله البكرى الملقب شهاب الدين بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد أبى بكر الصديق رضى الله عنه * كان فقيها شافعى المذهب تخرج عليه خلق كثير من الصوفية فى المجاهدة والخلوة وصحب عمه أبا النجيب والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى وكان شيخ الشيوخ ببغداد وله تآليف حسنة منها كتاب عوارف المعارف وله أشعار كثيرة فى كلام القوم * مولده بسهرورد فى أواخر رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة * وتوفى فى المحرم * سنة ٦٣٢ ببغداد كذا فى ابن خلكان وسهرورد بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية وفى آخره دال مهملة وهى بلدة عند زنجان من عراق العجم اهـ

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾



الجزء الاول

من كتاب احياء علوم الدين تأليف الامام العالم العلامة المحقق المدقق حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

ومعه كتاب المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الاخبار للحافظ الاسلام زين الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى رحمه الله تعالى ونفعنا به و بعلومه آمين

وقد فصلناه على الاحياء فجعلنا بكل صحيفة فيها أحاديث ما يتعلق بها من المغنى

﴿ ولتمام النفع وضعنا بالهامش ثلاثة كتب ﴾

الاول كتاب تعريف الاحياء بفضائل الاحياء للاستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى قدس الله سره

الثانى كتاب الاملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالى رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحياء

الثالث كتاب عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردى نفعنا الله بهم امين

يطلب من مكتبة

عيسى البابى الحلبى وشركاه

صندوق بوستة الغورية نمرة ٢٦

مصر



أحمد الله أولا حمداً كثيراً متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين وأصلى وأسلم على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين وأستخيره تعالى ثالثا فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى احياء علوم الدين وأنتدب لقطع تعجبك رابعا أيها العاذل المتغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف فى التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا فى نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس واصلاح القلب وتدارك لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا من تمام التلافى والجبر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى أحيا علوم الدين فاينعت بعد اضمحلالها وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها أحمده وأستكين له من مظالم انقضت الظهور بأثقالها وأعبده وأستعين به لعظام الامور وعضالها وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها واقية من حلول الدركات وأهوالها وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها وأسمع به وقرا الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها و بعد فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث احياء علوم الدين فى سنة احدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه الى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عنى علمه ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ فى اكماله غير متعرض لتركه واهماله الى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة فى اكماله فأجبت وبادرت اليه ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله فى الاسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الاعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ما ليس له أصل فى كتب الاصول والله أسأل أن ينفع به انه خير مسؤل فان كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه اليه والا عزوته الى من خرجه من بقية الستة وحيث كان فى احد الستة لم أعزه الى غيرها الا لغرض صحيح بأن يكون فى كتاب التزم مخرجه الصحة أو يكون أقرب الى لفظه فى الاحياء وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فان كان فى باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وربما ذكرته فيه ثانيا وثالثا لغرض أو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق لنشر المحاسن وطيها فى أحسن كتاب وجعل ذلك قرة لاعين الاحباب وذخيرة ليوم المآب والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أحيا باحياء شريعته وطريقته قلوب ذوى الالباب وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الاصحاب ما أشرقت شمس الاحياء للقلوب وتوجهت همة روحانية مصنفه الولى الموهوب الى أسعاف ملازمى مطالعته ومحبيه بالمطلوب (و بعد) فان الكتاب العظيم الشان المسمى باحياء علوم الدين المشهور بالجمع والبركة والنفع بين العلماء العاملين

وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه (١) أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه ولعمرى انه لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذى عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الامر اد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى أقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق أن لا علم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة ومادرج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما فى الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين وايضاحا لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين وقد أسسته على أربعة أرباع وهي ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) طلب العلم فريضة على كل مسلم وأميز فيه العلم النافع من الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم (٣) نعوذ بالله من علم لا ينفع وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب

﴿ ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب ﴾

كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب أسرار الطهارة وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكاة وكتاب أسرار الصيام وكتاب أسرار الحج وكتاب آداب تلاوة القرآن وكتاب الاذكار والدعوات وكتاب ترتيب الاوراد فى الاوقات

﴿ وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب آداب الأكل وكتاب آداب النكاح وكتاب أحكام الكسب وكتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

﴿ وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات

لذهول عن كونه تقدم وان كرره فى باب آخر ذكرته ونبهت على انه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت مايغنى عنه غالبا وربما لم أذكره وسميته (المغنى عن حمل الاسفار فى الاسفار فى تخريج مافى الاحياء من الأخبار) جعله الله خالصا لوجهه الكريم ووسيلة الى النعيم المقيم

﴿ أحاديث الخطبة ﴾

(١) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف (٢) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (٣) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن ماجه من حديث جابر باسناد حسن

وأهل طريق الله السالكين المشايخ العارفين المنسوب الى الامام الغزالى رضى الله عنه عالم العلماء وارث الانبياء حجة الاسلام حسنة الدهور والاعوام تاج المجتهدين سراج المتهجدين مقتدى الائمة مبين الحل والحرمة زين الملة والدين الذى باهى به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء ورضى عن الغزالى وعن سائر العلماء المجتهدين لما كان عظيم الوقع كثير النفع جليل المقدار ليس له نظير فى بابه ولم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله مشتملا على الشريعة والطريقة والحقيقة كاشفا عن الغوامض الخفية مبينا للاسرار الدقيقة رأيت أن أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صبابة صبابة من فضله وشرفه

ورشحة من فضل جامعه (٤) ومصنفه (ورتبته على مقدمة ومقصد وخاتمة) فالمقدمة فى عنوان الكتاب والمقصد فى فضائله وبعض المدائح والثناء من الاكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه والخاتمة فى ترجمة المصنف رضى الله عنه وسبب رجوعه الى هذه الطريقة (المقدمة فى عنوان الكتاب) اعلم ان علوم المعاملة التى يتقرب بها الى الله تعالى تنقسم الى ظاهرة وباطنة والظاهرة قسمان معاملة بين العبد وبين الله تعالى ومعاملة بين العبد وبين الخلق والباطنة أيضا قسمان ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة وقد بنى الامام الغزالى رحمه الله كتابه احياء علوم الدين على هذه الاربعة الاقسام فقال فى خطبته ولقد أسسته على أربعة أرباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات فأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم

اللسان وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والرياء وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغرور

﴿ وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت فأما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات وأما ربع العادات فاذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين * وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التى عليها تترتب ثم العلامات التى بها تتعرف ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور الاول حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه الثانى ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه واثبات ما حرروه الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أولا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن ايراده فى الكتب أولا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران ﴿ أحدهما وهو الباعث الأصلى ﴾ أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى لأن العلم الذى يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعنى بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لا رخصة فى ايداعها الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظار الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا فى علم الطريق والارشاد اليه وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح والى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح اما عادة واما عبادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الاقسام ﴿ الباعث الثانى ﴾ أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة

تقويم النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب الى العلم الذى يفيد حياة الابد أهم من التلطف فى اجتذابها الى الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به الى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه كريم جواد

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة أبواب ﴾

(الباب الاول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم (الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الاخبار

(الباب الاول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

﴿ فضيلة العلم ﴾

شواهدها من القرآن قوله عز وجل شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات قال ابن عباس رضى الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل وقال الذين أتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه فى الوقائع الى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الانبياء فى كشف حكم الله وقيل فى قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى العلم وريشا يعنى اليقين ولباس التقوى يعنى الحياء وقال عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال عز وجل بل هو آيات بينات فى صدور الذين أتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان (وأما الاخبار) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال صلى الله عليه وسلم (٢) العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) يستغفر للعالم ما فى السموات والارض وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم (٤) ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك

﴿ كتاب العلم ﴾ ﴿ الباب الأول ﴾

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الانبياء أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما فى السموات وما فى الارض هو بعض حديث أبى الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى بيان العلم وعبد الغنى الازدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف

كتاب قواعد العقائد كتاب أسرار الطهارة كتاب أسرار الصلاة كتاب أسرار الزكاة كتاب أسرار الصيام كتاب أسرار الحج كتاب تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد فى الاوقات * وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الأكل كتاب آداب النكاح كتاب آداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب آداب السماع والوجد كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كتاب أخلاق النبوة وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة النفس كتاب افة الشهوتين البطن والفرج كتاب افة اللسان كتاب آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والرياء كتاب الكبر والعجب كتاب الغرور * وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة

مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمراته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى وقال صلى الله عليه وسلم (١) خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمت وفقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء وقال صلى الله عليه وسلم (٢) أفضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم (٣) الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال صلى الله عليه وسلم (٤) أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم (٥) لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال عليه الصلاة والسلام (٦) الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال صلى الله عليه وسلم (٧) يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم (٨) من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم (٩) من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم (١١) أوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وقال صلى الله عليه وسلم (١٢) العالم أمين الله سبحانه في الأرض وقال صلى الله عليه وسلم (١٣) صنفان من أمتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء وقال عليه السلام (١٤) اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة (١٥) فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم (١٦) فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة

---

(١) حديث خصلتان لا تجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب (٢) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الايمان موقوفا على أبي الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٣) حديث الايمان عريان الحديث الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف (٤) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند أبي الدرداء (٦) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٨) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٩) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (١٠) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف (١١) حديث أوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له باسناد (١٢) حديث العالم أمين الله في الارض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (١٣) حديث صنفان من أمتي اذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (١٤) حديث اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (١٥) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (١٦) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم

كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضا كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت ثم قال رحمه الله فأما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليها بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليها وأكثر ذلك مما أهمل في الفقهيات وأما ربع العادات فاذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني المتدين عنها وأما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر في كل واحد من هذه الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي منها يتخلص كل

البدن

البدر على سائر الكواكب وقال صلى الله عليه وسلم (١) يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ماورد فى فضل الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ماعبد الله تعالى بشىء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال صلى الله عليه وسلم (٣) خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه وقال صلى الله عليه وسلم (٤) فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة وقال صلى الله عليه وسلم (٥) انكم أصبحتم فى زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم (٦) بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة (٧) وقيل يارسول الله أى الاعمال أفضل فقال العلم بالله عزوجل فقيل أى العلم تريد قال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله وقال صلى الله عليه وسلم (٨) يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يامعشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم الا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم نسأل الله حسن الخاتمة (وأما الآثار) فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وقال على أيضا رضى الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها الاخلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما

ما الفخر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى ادلاء * وقدر كل امرىء ما كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم أعداء * ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الاسود ليس شىء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال

---

(١) حديث يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بأسناد ضعيف (٢) حديث ماعبد الله بشىء أفضل من فقه فى دين الحديث الطبرانى فى الاوسط وأبو بكر الآجرى فى كتاب فضل العلم وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذى وابن ماجه من حديث بن عباس بسند ضعيف فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (٣) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشطر الاول عند أحمد من حديث محجن بن الادرع باسناد جيد والشطر الثانى عند الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٤) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ابن عدى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف ولابى يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف (٥) حديث انكم أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه الطبرانى من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه واسناده ضعيف (٦) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة (٧) حديث قيل له يارسول الله أى الاعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٨) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبرانى من حديث أبى موسى بسند ضعيف

خصال المقربين والصديقين التى يتقرب بها العبد من رب العالمين واذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تعرف وفضيلتها التى لاجلها فيها يرغب مع ماورد فيها من شواهد الشرع والعقل (المقصد فى فضل الكتاب المشار اليه وبعض المدائح والثناء من الاكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه) اعلم أن فضائل الاحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبه فقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثرها أبصروا وعز من افردها فيما علمت بتأليف وهى جديرة بالتصنيف غاص مؤلفه رضى الله عنه فى بحار الحقائق واستخرج جواهر المعانى ثم لم يرض الا بكبارها وجال فى بساتين العلوم فاجتنى ثمارها بعد

بعض العلماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فاته من أدرك العلم وقال عليه الصلاة والسلام من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى وقال فتح الموصلى رحمه الله أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة و بهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها أبطل احساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فوالذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان أحدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب الى من احيائها وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن فى قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ان الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة وفى الآخرة هى الجنة وقيل لبعض الحكماء أى الاشياء تقتنى قال الاشياء التى اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعنى العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعى رحمة الله عليه من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو فى شئ حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضى الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى فقلت باى شئ أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن أبى بكر كتب الى أبى بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهرى رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه الا ذكران الرجال

﴿ فضيلة التعليم ﴾

(أما الآيات) فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وقوله عز وجل فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (وأما الاخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم (١) من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال صلى الله عليه وسلم (٣) لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة وقال صلى الله عليه وسلم (٤) باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم (٥) اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبى ذر وليس اسناده بذاك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى ولم أره مرفوعا الا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف من حديث أبى ذر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث أنس

ان اقتطف من أزهارها وسما الى سماء المعانى قلم يصطف من كواكبها الا السيارة وجليت عليه عرائس أسرار فلم ترق فى عينه منهن الابادية النضارة جمع رضى الله عنه فاوعى وسعى فى احياء علوم الدين فشكر الله له ذلك المسعى فلله دره من عالم محقق مجيد وامام جامع لشتات الفضائل محرر فريد لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد وقد أغرب فيما أعرب فيه من الامثلة والشواهد وقد أجاد فيما أفاد فيه وأملى بيد أنه فى العلوم صاحب القدح المعلى اذ كان رضى الله عنه من أسرار العلوم بمحل لا يدرك وأين مثله وأصله أصله وفضله فضله هيهات لا يأتى الزمان بمثله * ان الزمان بمثله لشحيح * وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ونظم أشتات الفضائل وأخذ برقاب المحامد واستولى على غايات المناقب فشجرته فى فوارة العلم والعمل والعلا والفهم والذكا أصلها

وقال

وقال عليه الصلاة والسلام (١) العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٣) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال عليه الصلاة والسلام (٤) من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة (وأما الآثار) فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله مارأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا واذا أفتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء انى لا أرحم رجالا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لان أتعلم مسئلة أحب الي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال ياهذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن الغدو الى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله

﴿ فضيلة التعليم ﴾

(أما الآيات) فقوله عز وجل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقوله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم (٥) ما آتى الله عالما علما الا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ان يبينوه للناس ولا يكتموه وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة (وأما الاخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم (٦) لما بعث معاذا رضي الله عنه الى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها وقال صلى الله عليه وسلم (٧) من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت

قال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة (١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن فقيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسلا (٥) حديث ما آتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلعيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلي (٧) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

وفرعها في السماء مع كونه رضي الله عنه ذا الصدر الرحيب والقريحة الثاقبة والدراية الصائبة والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمة الله عليه ان الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمني سئل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء ومحمد بن ادريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد ابن محمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين وذكر اليافعي أيضا ان الشيخ الامام الكبير أبا الحسن علي بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي كان بالغ في الانكار على كتاب احياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فامر بجمع ماظفر به من نسخ الاحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فاذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والامام الغزالي قائم بين يدي

السموات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) اذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ان الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون و يضلون وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم (٤) نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال صلى الله عليه وسلم (٥) الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلما أو متعلما وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ان الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال صلى الله عليه وسلم (٨) كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها و يعمل بها خير له من عبادة سنة (٩) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل و يرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ اهـ فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما وقال صلى الله عليه وسلم (١١) اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الحديث وقال صلى الله عليه وسلم (١٢) الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم (١٣) لا حسد الا في اثنتين رجل

---

(١) حديث اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث من علم علما فكتمه ألجمه يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٤) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٦) حديث ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٧) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله ابن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى (٨) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها و يعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (٩) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (١٠) حديث مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (١١) حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (١٢) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذي من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدري بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (١٣) حديث لا حسد الا في اثنتين الحديث

النبي صلى الله عليه وسلم فلما (١٠) أقبل ابن حرزهم قال الغزالي هذا خصمي يارسول الله فان كان الامر كما زعم تبت الى الله وان كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذ لي حقي من خصمي ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الاحياء فتصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله الى آخره ثم قال والله ان هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضي الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق انه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضي الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه علي بن حرزهم عن القميص وان يضرب و يحد حد المفتري فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضي الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظن خلاف سنتك فأخطأ في ظنه فرضي الامام الغزالي وقبل شفاعة الصديق ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط في ظهره وأعلم أصحابه وتاب الى الله عن

آتاه

آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير وقال صلى الله عليه وسلم (١) على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى و يعلمونها عباد الله (وأما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضى الله عنهما معلم الناس الخير يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله انسان فقال اكروا لى لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضى الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألنى عن شىء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أى انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وماهو قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بامة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا (٢) تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق

﴿ فى الشواهد العقلية ﴾

اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة فاذا تشارك شيآن فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشىء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه أفضل لان تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال فى شىء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة ان أخذته بالاضافة الى سائر الأوصاف كما ان للفرس فضيلة ان أخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس

متفق عليه من حديث ابن مسعود (١) حديث على خلفائى رحمة الله الحديث ابن عبد البر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه (٢) حديث معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له اسناد قوى

انكاره على الامام الغزالى واستغفر ولكنه بقى مدة طويلة متألما من أثر السياط وهو يتضرع الى الله تعالى ويتشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان رأى النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفى وشفى باذن الله تعالى ثم لازم مطالعة احياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر المشايخ أهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله تعالى قال اليافعى رويناذلك بالاسانيد الصحيحة فاخبرنى بذلك ولى الله عن ولى الله عن ولى الله عن ولى الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين أحمد بن الميلق الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله أبى العباس المرسى عن شيخه الشيخ الكبير شيخ الشيوخ أبى الحسن الشاذلى قدس الله أرواحهم وكان معاصرا لابن حرزهم قال وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ولقد مات الشيخ أبو الحسن بن حرزهم رحمه الله يوم مات وأثر

من الخيل خير من البليد فهى فضيلة على الاطلاق من غير اضافة * واعلم ان الشىء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى مايطلب لغيره والى مايطلب لذاته والى مايطلب لغيره ولذاته جميعا فمايطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة والذى يطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة للبدن عن الالم ومطلوبة للمشى بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا فى نفسه فيكون مطلوبا بالذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به وأعظم الاشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية وأفضل الاشياء ماهو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشىء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا فى الآخرة وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى ان أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها * هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان أفضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل فكان تعليمه افادة للافضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال الادميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهى أربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهى للتاليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها * الثانى ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلتها كالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها * الثالث ماهى متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالاضافة الى جملته فانها ثلاثة أضرب أيضا اما أصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مرات الاولى وهى العليا سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا فى ظاهرهم وباطنهم * والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم * والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهى قوتهم الى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع * والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فاشرف هذه الصناعات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور اما بالالتفات الى الغريزة التى بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة

الصوفى سعد بن على بن أبى هريرة الاسفراينى يقول سمعت الشيخ الامام الاوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح الشاوى بمكة المشرفة يقول دخلت المسجد الحرام يوما فطرأ على حال وأخذنى عن نفسى فلم أقدر أن أقف ولا أجلس لشدة مابى فوقعت على جنبى الايمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة وكنت أطرد عن نفسى النوم فاخذتنى سنة بين النوم واليقظة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى أكمل صورة وأحسن زى من القميص والعمامة ورأيت الأئمة الشافعى ومالكا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضون عليه مذاهبهم واحدا بعد واحد وهو صلى الله عليه وسلم يقررهم عليها ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فامر النبى صلى الله عليه وسلم بطرده واهانته فتقدمت أنا اذ

أذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة أنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه أذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الارض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو مأذون له في الانفاق منه على كل محتاج اليه فأي رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه و بين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى

(الباب الثاني) في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية و بيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين الى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة

﴿بيان العلم الذي هو فرض عين﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة أذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال أبو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم (١) بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله الى آخر الحديث لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها و بكيفية الوجوب * والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه أن يصدق به و يعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض اما أن تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد * أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره الى وقت الظهر

﴿ الباب الثاني ﴾

(١) حديث بني الاسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل مشهور في كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة

وقلت يا رسول الله هكذا الكتاب أعني احياء علوم الدين معتقدي ومعتقد أهل السنة والجماعة فلو أذنت لي حتى أقرأه عليك فاذن لي فقرأت عليه من كتاب قواعد العقائد بسم الله الرحمن الرحيم كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الاول في ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهيت الى قول الغزالي وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة العرب والعجم والجن والانس فرأيت البشاشة في وجهه صلى الله عليه وسلم ثم التفت وقال أين الغزالي وأذا بالغزالي واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يا رسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالي يقبلها ويتبرك بها وما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشد سرورا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتي عليه الاحياء ثم انتهيت والدمع يجري من عيني من أثر تلك الاحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لمذاهب أئمة السنة

واستبشاره بعقيدة الغزالى (١٤) وتقريرها نعمة من الله عظيمة ومنة جسيمة نسأل الله تعالى أن يحيينا على سنته و يتوفانا على ملته آمين ﴿فصل﴾ أثنى على الاحياء عالم من علماء الاسلام وغير واحد من عارفى الانام بل جمع أقطاب وأفراد فقال فيه الحافظ الامام الفقيه أبو الفضل العراقى فى تخريجه أنه من أجل كتب الاسلام فى معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الاحكام ونزع الى سرائر دقت عن الافهام لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ولم يتبحر فى اللجة بحيث يتعذر الرجوع الى الساحل بل مزج فيه علمى الظاهر والباطن ومزج معانيها فى أحسن المواطن وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه وسلك فيه من النمط أوسطه مقتديا بقول على كرم الله وجهه خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالى و يرجع اليهم الغالى الى آخر ماذكره مما الاولى بنافى هذا المحل طيه ثم الانتقال الى نشر محاسن وهو

فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا وكان بحيث لوصبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعليم على الوقت و يحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح الى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى الى رؤية الهلال أو شاهدين فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه الا تعلم زكاة الابل وكذلك فى سائر الاصناف فاذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغى لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الافعال التى هى فرض عين * وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا الى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل والشرب فيجب تعليمه حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه * وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع و بعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحزر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وأعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر و بقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها الا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى ومما ينبغى أن يبادر فى القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به و يصدق

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف

وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فاذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجارى أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام انما أراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم

﴿ بيان العلم الذي هو فرض كفاية ﴾

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات وأما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه (أما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان) فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة * أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب (الضرب الأول الاصول) وهي أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع أصل من حيث انه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الاثر فانه أيضا يدل على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن (الضرب الثاني الفروع) وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام (١) لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب أحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول من هذا الكتاب (والضرب الثالث المقدمات) وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من

(١) حديث لا يقضي القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكرة

لم يسبق اليها وقال فيه النووي كاد الاحياء أن يكون قرآنا وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الاحياء وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والاحياء جماعها كما سيأتي أنه البحر المحيط وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الاولياء الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه نقلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطالع كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفهومات غزيرة غير التي قبلها ولم يسبقه أحد ولم يلحقه أحد أثنى على كتاب الاحياء بما أثنى عليه ودعا الناس بقوله وفعله اليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضي الله عنه عليكم

العلوم الشرعية فى أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الا أن ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع مايسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا (الضرب الرابع المتممات) وذلك فى علم القرآن فانه ينقسم الى مايتعلق باللفظ كتعلم القرا آت ومخارج الحروف والى مايتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا وأما المتممات فى الآثار والاخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم باحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات * فان قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عزوجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة أو الى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها مايصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ولعمرى أنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم ومالا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الاولى بل هو معين على مالا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لايتم الا ببذرقة تحرس من العرب فى الطريق ولكن الحج شئ وسلوك الطريق الى الحج شئ ثان والقيام بالحراسة التى لا يتم الحج الا بها شئ ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شئ رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ماروى مسندا (٢) لا يفتى الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال (فان قلت) هذا ان استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب مايتكلم الفقيه فيه من الاعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تاملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر * أما الاسلام

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا أى لا يحسن الكتابة ابن مردويه فى التفسير من حديث عبدالله بن عمر مرفوعا انا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ولابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الامي وللبخاري من حديث البراء وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يفتى الناس الا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس واسناده حسن

ياإخوانى بمتابعة الكتاب والسنة أعنى الشريعة المشروحة فى الكتب الغزالية خصوصا كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وفكرا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى فى كتاب احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالى رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الاسلام الغزالى فى كتابه العظيم الشأن الملقب أعجوبة الزمان احياء علوم الدين الذى هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة ومن كلامه عليكم بملازمة كتاب احياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسول الله فيتكلم

فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال (١) هلا شققت عن قلبه للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادامت له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٢) أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم جعل أثر ذلك فى الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الاموال بل أنوار القلوب وأسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة اذا أتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا فى جميع صلاته من أولها الى آخرها مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق الا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما أن القول باللسان فى الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى ان مافعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة و به ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه وأما الزكاة فالفقيه ينظر الى مايقطع به مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول و يستوهب مالها اسقاطا للزكاة فحكى ذلك لابى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار * وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب * الأولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بتركه الانسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر * الثانية ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم (٣) دع ما يريبك الى مالا يريبك وقال صلى الله عليه وسلم (٤) الاثم حزاز القلوب * الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم (٥) لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات * الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم و يتحقق أنه لا يفضى الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة ومايقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وان أفتوك وان أفتوك والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى شىء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شىء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر وكان سفيان

(١) حديث هلا شققت عن قلبه مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمر وبن عمر (٣) حديث دع ما يريبك الى مالا يريبك الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على (٤) حديث الاثم حزاز القلوب البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العدنى فى مسنده موقوفا عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى (٦) حديث استفت قلبك وان أفتوك أحمد من حديث وابصة

والملكوت ومن كلامه الوجيز العزيز لو بعث الله المرتى لما أوصوا الاحياء الابما فى الاحياء ومن كلامه اعلموا ان مطالعة الاحياء تحضر القلب الغافل فى لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج فى العفص والماء وتأثير كتب الغزالى واضح ظاهر مجرب عند كل مؤمن ومن كلامه أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شىء أنفع للقلب وأقرب الى رضا الرب من متابعة حجة الاسلام الغزالى ومحبة كتبه فان كتب الامام الغزالى لباب الكتاب والسنة ولباب المعقول والمنقول والله وكيل على ما أقول ومن كلامه أنا أشهد سرا وعلانية أن من طالع كتاب احياء علوم الدين فهو من المهتدين ومن كلامه من اراد طريق الله وطريق رسول الله

الدين فهو البحر المحيط ومن كلامه اشهدوا على أن من وقع على كتب الغزالى فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة ومن كلامه من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما فعليه بمطالعة كتب الغزالى وخصوصا البحر المحيط احياءه أعجوبة الزمان ومن كلامه نطق معانى معنوى القرآن ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والأنبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الاتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملامتية بل جميع سر حقائق الكائنات والمعقولات وما يناسب رضا الذات والصفات. أجمع هؤلاء المذكورون أن لا شيء أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى وأقرب الى رضا الرب كتابعة الغزالى ومحبة هذه

الثورى وهو امام فى علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف فى العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات والشرف هو تلك الاعمال (فان قلت) لم سويت بين الفقه والطب اذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وان الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه * أحدها انه علم شرعى اذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع * والثانى انه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر فى أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء فى المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا أضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة (فان قلت) فصل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة (فالقسم الاول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشىء من هذا العلم بدعة أو كبر وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا و ينشد على قوله

وارض لمن غاب عنك غيبته   فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة و ينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه و بصفاته الباقيات التامات و بأفعاله و بحكمه فى خلق الدنيا والآخرة و وجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ومعنى الوحى ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وان الذى أعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء و بعضهم يرى ان بعضها أمثلة و بعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته و بعضهم يدعى أمورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل و بعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن

هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل باقى كلامه فتأمل اه مصححه

هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء صلوات الله عليهم فى جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها وبالعلم والتعلم وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها الا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله (١) ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله الا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه اياه (وأما القسم الثانى) وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله سبحانه فى سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة * وأضدادها وهى الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة كما أن المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء فى فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لبتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذى فى اهماله هلاكه فى الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج الى شىء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفى حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الامر فى فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا أن الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولى الاوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات

(١) حديث ان من العلم كهيئة المكنون الحديث أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوف من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف

نقر الناقور والله وكيل على ما أقول وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ومن كلامه كتاب احياء علوم الدين فيه جميع الاسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الاربعين الاصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق الى الله وكتاب الخلاصة فى الفقه فيه النور ومن كلامه السر كله فى اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة فى كتاب احياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان ومن كلامه بخ بخ لمن طالع احياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه وكلامه رضى الله عنه فى تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الامام الغزالى وكتبه والحث على العمل بها خصوصا احياء علوم الدين وقد كان سيدى ووالدى الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله العيدروس رضى

هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان واليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن و يضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب كان الامام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب و يسأله كيف يفعل فى كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول ان هذا وفق لما أغفلناه وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه و يحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوما اذا قمت من عندى فمن تجالس قلت المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار الى ان من حصل الحديث العلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت فلم لم تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التى ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع و بعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا فى العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا ان شاء الله تعالى (وأما الفلسفة) فليست علما برأسها بل هى أربعة أجزاء * أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع أن القوى لا يندب الى مخالطتهم * الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام * والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل فى الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر و بعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة * والرابع الطبيعيات و بعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم و بعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض و يصح وهم ينظرون فى جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان الى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه

(١) حديث قيل له كيف نفعل اذا جاء أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله لحديث الطبرانى من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور

الله عنه يقول ان أهل الزمان جمعت كلام الشيخ عبد الله فى الغزالى وسميته الجوهر المتلالى خصوصا من كلام الشيخ عبد الله فى الغزالى فلم يتيسر له وارجو ان يوفقنى الله لذلك تحقيقا لرجائه ورجاء ان يتناولنى دعاء الشيخ عبد الله رضى الله عنه فانه قال غفر الله لمن يكتب كلامى فى الغزالى وناهيك ببشارة فى هذه العبارة التى برزت من ولى عارف وقطب مكاشف لا يجازف فى مقال ولا ينطق الا عن حال وفى هذا من الشرف للغزالى وكتبه مالا يحتاج معه الى مزيد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فان العظيم لا يعظم فى عينه الا عظيم ولا يعرف الفضل لاهل الفضل الا أهل الفضل واذا تصدى العيدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف الشهادة منه خير من شهادة ألف ألف وحصل من الاحياء فى زمانه بسببه نسخ عديدة

موقع

موقع الحارس فى طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا اليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فان قلت فقد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كان حد البذرقة حراسة قمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها(١) وما فضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشىء وقر فى صدره كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك فى طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد الا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان اذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب الى فلان الامير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه اشارة الى ان الفتيا فى القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والاحكام انما أريد العلم بالله تعالى افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شىء وما ينال به الشهرة عند الناس شىء آخر فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته و بقصده التقرب الى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن فى سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فاولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله

(١) حديث ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر من قول أبى بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا

حتى أن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم أن الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فختمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شىء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة و يقول لا أترك تحصيل الاحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ بن عبد الله بن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله عنه مد منا على مطالعته وحصل منه نسخا عديدة نحو السبع وأمر بقراءته عليه غير مرة وكان يعمل فى ختمه ضيافة عامة فلازمته ميراث عيدروسى وتوفيق قدوسى

سبحانه ومثابا لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله عز وجل بعلمه
وأقسام ما يتقرب به الى الله تعالى ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه
للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك أتكون
يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو فى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم
عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سنقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم
القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى
بيانه فى باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانو متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها
ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا
فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء
الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف
لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة
الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا
وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال
اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لان الخصال الاربع
لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها
وادعوا بها مشابهة أولئك الائمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على
هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة * أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على انه كان عابدا
ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم قال الربيع كان الشافعى رحمه الله
يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل
يوم مرة وقال الحسن الكرابيسى بت مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على
خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر
بآية عذاب الا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل
اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة
سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى
حكمته فى ذكر آفات الشبع ثم فى جده فى العبادة اذ طرح الشبع لاجلها ورأس التعبد تقليل الطعام وقال
الشافعى رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر الى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه
بجلال الله سبحانه وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدرى
الفضل فى سكوتى أو فى جوابى فانظر فى مراقبته للسانه مع انه أشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن
الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال أحمد بن يحيى
ابن الوزير خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم
فالتفت الشافعى الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك
القائل وان السفيه لينظر الى أخبث شئ فى انائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها
كما شقى بها قائلها وقال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب

فمن وفقه الله لامتثاله والعمل بما فيه واستعماله بلغ الرتبة العليا وحاز شرف الآخرة والدنيا وقال السيد الكبير العارف
بالله الشهير على ابن أبى بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف لو قلب أوراق الاحياء كافر لأسلم ففيه سر خفى يجذب القلوب شبه المغناطيس قلت وهو صحيح فانى مع خسيس قصدى وقساوة قلبي أجد عند مطالعتى له من انبعاث الهمة وعزوف النفس عن الدنيا مالا مزيد عليه ثم يفتر برجوعى الى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق وما ذاك الا لشئ أودعه الله فيه وسر نفس مصنفه وحسن قصده والمراد بالكافر هنا فيما يظهر الجاهل بعيوب النفس المحجوب عن ادراك الحق أى فبمجرد مطالعته للكتاب المذكور
يشرح الله صدره وينور قلبه وذلك لان الوعظ اذا صدر عن قلب

فتبقى

فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم * وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيراً وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لان من أحب شيأ أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات أفضل زمانه وماروى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية عليه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة اذ مر بى رجل فقال لى ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت الى فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله شيأ فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا وأصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعى فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله عز وجل فانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما * وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم وقال الشافعى رحمه الله تعالى اذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر فانك اذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعى رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره وقال مامن أحد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعى يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعى رحمه الله التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن ألا ترى ان الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله

غيرهم كذلك جعل لما يبرزمنهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لان ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة وهممهم علية واشاراتهم سنية حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم وللاحاديث بهجة وجلالة زائدة اذا أخذت عنهم وللمواعظ منهم تأثير فى القلوب ظاهر ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ووجود بركته وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لانه دونه فى منزلته ومن تأمل ذلك وجده أمرا ظاهرا معهودا وشيأ مجربا موجودا فانظر الى نفع الناس بكتب الخلاف فى مذهب مالك رحمه

الله تعالى والتنبيه فى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى والجمل فى العربية والارشاد فى علم الكلام وانتشارها مع أن ماحوت من العلم فى فنونها

تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق فى علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجمعة فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الافراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة * وأما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ماروى عنه انه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الى شئ منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي رضى الله عنه ماناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ وقال ما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه وقال ماأوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى الاهبته واعتقدت محبته ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة الا سقط من عينى ورفضته فهذه العلامات هى التى تدل على ارادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله مارأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي رحمه الله تعالى وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه ماصليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر الى انصاف الداعى والى درجة المدعوله وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار ومابينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أى رجل كان الشافعي حتى تدعوله كل هذا الدعاء فقال أحمد يابنى كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد بيده محبرة الا وللشافعي رحمه الله فى عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ماصليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعي رضى الله عنه وعن جميع المسلمين (وأما الامام مالك رضى الله عنه) فانه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ماتقول يامالك فى طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى * وأما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال فى الدين ليس بشئ ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله انى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى ولذلك قال الشافعي رضى الله عنه اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد أمن على من مالك وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف * وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ماروى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله ينبغى أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل

قليل وقد جمع غير هؤلاء فى هذه الفنون فى مثل اجرام هذه الكتب أضعاف مافيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعانى وتلخيص الحدود بعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهى أظهر وأشهر لان العلم بمزيد التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يضعه الله فى القلب قلت ومما أنشده الشيخ على بن أبى بكر رضى الله عنه لنفسه فيه قوله

أخى انتبه والزم سلوك الطرائق * وسارع الى المولى بجد وسابق *
أيا طالبا شرح الكتاب وسنة * وقانون قلب اقلب بحر الرقائق *
وايضاح منهج للحقيقة مشرق * وشرب حميا صفو راح الحقائق *
واجلاء أذكار المعانى ضواحكا * يباهج حسن جاذب للخلائق *
عليك باحياء العلوم ولبها * وأسرارها كم قد حوى من دقائق

الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الامصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) اختلاف أمتى رحمة وأما الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه الصلاة والسلام (٣) المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هى ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعنى انك انما تكلفنى مفارقة المدينة لما اصطنعته الى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك فى الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها فى وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعى رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان و بغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية منى اليك يا أبا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انى أستحى من الله تعالى ان أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخائه اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة و يدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لى يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الامير ان هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عز وان أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتى فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس (وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى) فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه * فاما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيى الليل كله وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمر يوما فى طريق فاشار اليه انسان وهو يمشى فقال لآخر هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله وقال أنا أستحى من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فى من عبادته وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال أرسلنى يزيد ابن عمر بن هبيرة فقدمت بابى حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب قال الحكم بن هشام الثقفى حدثت بالشام حديثا فى أبى حنيفة انه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى و روى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه انه قيل لابى حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضى أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة أى هذه عادته فقال ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه وروى أنه دعى الى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما أصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغنى عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى وقال شريك النخعى كان

(١) حديث اختلاف أمتى رحمة ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده فى المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابى لكم رحمة واسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبى زهير (٣) حديث المدينة تنفى خبثها الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

فكم فى بديع اللفظ يجلى عرائسا * وكم من شموس فى حماه شوارق * معانيه أضحت كالبدور سواطعا * على در لفظ للمعانى مطابق * وكم من عزيزات زهت فى قبابها * محجبة عن غير كفؤ مسابق * وكم من لطيف مع بديع وتحفة * حلاوتها كالشهد تحلو لذائق * بساتين عرفان وروض لطائف * وجنة أنواع العلوم الفوائق * رعى الله صبارا تعافى جنانها * يروح و يغدو بين تلك الحقائق * ويقطف من ذاكى جناها فواكها * بساحل بحر بالجواهر دافق * خضم طمى حتى علا فوق من علا * بشامخ مجد مشرق بالحقائق * فان لم بهذا القول تؤمن فجربن * وأقبل على تلك المعانى وعانق * وارجع طرفا فى بديع جمالها * وطف فى حماها منشدا كل سابق

أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الامارات على العلم الباطنى والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة (وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى) * فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن فى سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل ان هذه الاحوال والاقوال والافعال فى الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم اخر أعلى وأشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا

(الباب الثالث) فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها بيان علة ذم العلم المذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشىء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشىء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وانما يذم فى حق العباد لاحد أسباب ثلاثة (الاول) أن يكون مؤديا الى ضرر ما اما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين (1) وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشىء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر (الثانى) ان يكون مضرا بصاحبه فى غالب الامر كعلم النجوم فانه فى نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابى وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب اذ قال عز وجل الشمس والقمر بحسبان وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثانى الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم (2) اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا واذا ذكر أصحابى فأمسكوا وقال صلى الله عليه وسلم (3) اخاف على امتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القى اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم ان الكواكب هى المؤثرة وانها الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا ومرجوا من جهتها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع

﴿ الباب الثالث ﴾

(1) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة (2) حديث اذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن (3) حديث اخاف على امتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث ابى محجن باسناد ضعيف

وكم قد سعت فى غربها والمشارق * فيضحى براح الحب سكران مغرما * أصم عن العذال غير موافق * ويمسى ينادمها طريحا ببابها * منعم عيش فى الربوع الغوادق * صلاة على سر الوجود شفيعنا * محمد المختار خير الخلائق * وأصحابه أهل المكارم والعلا * وعترته وراث علم الحقائق *

﴿ فصل ﴾ وأما ما أنكر عليه فيه من مواضع مشكلة الظاهر وفى التحقيق لا اشكال أو أخبار وآثار تكلم فى سندها فاما من جهة تلك المواضع فمن أجاب عنها المصنف نفسه فى كتابه المسمى بالاجوبة واسوق لك نبذة من ذلك هناقال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مرقيها وقرب لك مقامات الاولياء تحل معاليها عن بعض ما وقع فى

على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظار الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى مشاهدة الأصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقي الى مسبب الأسباب فهذا أحد اسباب النهي عن النجوم وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق ومايتفق من أصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا وثالثها انه لا فائدة فيه فأقل أحواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران (١) فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ماهذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر (٢) وقال صلى الله عليه وسلم انما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة فاذا الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه وأكثر أدلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة ولا خطر فيه

(السبب الثالث) الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكى أن بعض الناس شكا الى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم (٢) نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة

---

(١) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقال رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث انما العلم آية محكمة الى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو (٢) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا وقد تقدم

الملية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطغام وأمثال الانعام واتباع العوام وسفهاء الاحلام وعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا عليه الى ضلال واضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزيغ عن الشريعة واختلال الى ان قال ستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المعترضين بما يرجع حاصلها الى الحسد والى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقة باربعة الجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ما ورثوه عن الاربعة المذكورة فالجهل أورثهم السخف الى آخر

رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني أبحث عن الاشياء لأعرفها على ما هي عليه فأي ضرر في التفكر في العلم فأن ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شئ تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته * واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الادوية والعقاقير وكما أن العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال أيضا صلى الله عليه وسلم (٢) قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع

﴿ بيان ما بدل من ألفاظ العلوم ﴾

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة الى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الأسامي عليهم (اللفظ الأول الفقه) فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وأراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري ان الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى لأنتم اشد رهبة في

(١) حديث ان من العلم جهلا الحديث ابو داود من حديث بريدة وفي اسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجد له اصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث ابي الدرداء وقال العقل بدل العلم ولم يخرجه ولده في مسنده

ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمينه أخباراً وآثارا موضوعة أو ضعيفة وأكثاره من الاخبار والآثار والأكثار يتحاشى منه المتورع لئلا يقع في الموضوع وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن المجيبين الحافظ العراقي ان أكثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره او اتبع فيه غيره متبرئا منه بنحو صيغة روى وأما الاعتراض عليه ان فيما ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر انه يعمل به في الفضائل وكتابه في الرقائق فهو من قبيلها ولان له أسوة بالأئمة الائمة الحفاظ في اشتمال كتبهم على الضعيف بكثرة المنبه على ضعفه تارة والسكوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهي كتب الاحكام لا الفضائل توردون فيها الاحاديث الضعيفة ساكتين عليها حتى جاء النووي رحمه الله في المتأخرين

صدورهم من الله الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أوهو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم (١) علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابراهيم الزهري رحمه الله أى أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله تعالى فكأنه أشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم (٣) لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى زيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا تفقها فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها قال صلى الله عليه وسلم (٤) لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا وقد سأل فرقد السبخى الحسن عن شئ فأجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع (اللفظ الثانى العلم) وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره فكان ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم (اللفظ الثالث التوحيد) وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ماهو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شئ فى العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التى تسبق الأذهان الى قبولها

(١) حديث علماء حكماء فقهاء أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف (٢) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث على وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن على (٣) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن (٤) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله الحديث ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا

تصانيف الغزالى وفشت ولم يبد فى أيامه مناقضة لما كان فيه ولا لما آثره الى آخر ماذكره ومما يدلك على جلالة كتب الغزالى ما نقل ابن السمعانى من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث فحدثت فى جميع المغرب بدعة الأمر باحراق كتبه ومن أنه لما دخلت مصنفاته الى المغرب أمر سلطانه على بن يوسف باحراقها لتوهمه اشتمالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره فى مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الامر والتوعد فى عكس ونكد بعد أن كان عادلا خاتمة فى الاشارة الى ترجمة المصنف رضى الله عنه وعنابه ونفعنا بعلومه وأسراره وسبب رجوعه الى طريقة الصوفية رضى الله عنهم) أما ترجمته رضى الله

فى أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله الا منه جل جلاله فهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت احدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضنى وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك فقال قال لى انى فعال لما أريد وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول هو أن تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب أن يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم (١) ابغض اله عبد فى الأرض عند الله تعالى هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوفات احد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر الى ماذا حول وبأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك كافلاس من يصبح بكرة و يتوجه الى القبلة و يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردد فى اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الاموال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذى لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع الذكر والتذكير) فقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم (٢) اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفى الحديث (٣) ان لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله

(١) حديث ابغض اله عبد عند الله فى الارض هو الهوى الطبرانى من حديث ابى امامة باسناد ضعيف

(٢) حديث اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا الحديث الترمذى من حديث انس وحسنه (٣) حديث ان لله ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة دون قوله فى الهواء وللترمذى سياحين فى الأرض وقال مسلم سيارة

وذكروا

عنه فهو الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى النيسابورى الفقيه الصوفى الشافعى الاشعرى الذى انتشر فضله فى الآفاق وفاق ورزق الحظ الاوفر فى حسن التصانيف وجودتها والنصيب الاكبر فى جزالة العبارة وسهولتها وحسن الاشارة وكشف المعضلات والتبحر فى أصناف العلوم فروعها وأصولها ورسوخ القدم فى منقولها ومعقولها والتحكم والاستيلاء على اجمالها وتفصيلها مع ما خصه الله به من الكرامة وحسن السيرة والاستقامة والزهد والعزوف عن زهرة الدنيا والاعراض عن الجهات الفانية واطراح الحشمة والتكلف قال الحافظ العلامة ابن عساكر والشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى والفقيه جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى رحمهم الله تعالى ولد الامام الغزالى بطوس سنة خمسين وأربعمائة وابتدأ بها فى صباه بطرف

وذكروا أنفسكم فنقل ذلك الى ماترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص (١) وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص و يقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال القاص ياشيخ ألا تستحي فقال لم أنا في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال وأخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها و يذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره و يعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روى الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال (٢) حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القران قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي تتطرق اليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ماينفع سماعه ومنها مايضر وان كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ماأحوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ الى هفوات أومساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر فكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني و يفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لايدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة والى مايشتمل عليه القرآن و يصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق الى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لاقضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات (٣) اياك والسجع يا ابن رواحة فكان

---

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن
(٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في الباب الاول (٣) حديث اياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب اياك والسجع فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولابن حبان

من الفقه ثم قدم نيسابور ولازم دروس امام الحرمين وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه وجلس للاقراء وارشاد الطلبة في أيام امامه وصنف وكان الامام يتبجح به و يعتد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فاقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محط الرحال العلماء ومقصد الأئمة والفضلاء ووقع للامام الغزالي فيها اتفاقات حسنة من مناظرة الفحول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير الى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فسار اليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار امام العراق بعد ان حاز امامة خراسان وارتفعت درجته في بغداد على الامراء والوزراء والاكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الامر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة

السجع المحذور المتكلف مازاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم (١) أسجع كسجع الاعراب * وأما الاشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف فى العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوى الا أجلاف العوام و بواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون و يتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغى أن يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة اوحكمة على سبيل استشهاد واستئناس وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان أولئك لا يضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هؤلاء اصحابى انما هم اصحاب المجلس ان اصحابى هم الخواص * واما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (احدهما) الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا و يتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس و يستشهدون بقوله انا الحق و بما حكى عن ابى يزيد البسطامى انه قال سبحانى سبحانى وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشئ منه فقتله افضل فى دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى فانه ما كان ينبغى ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية (الصنف الثانى) من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب و يدهش العقول و يحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معانى ما اريدت بها و يكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفقهونه الا كان فتنة عليهم وقد قال صلى الله عليه وسلم (٤) كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون

واجتنب السجع وفى البخارى نحوه من قول ابن عباس (١) حديث اسجع كسجع الاعراب مسلم من حديث المغيرة (٢) حديث ان من الشعر لحكمة البخارى من حديث ابى بن كعب (٣) حديث ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفقهونه الا كان فتنة عليهم العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وابو نعيم فى الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٤) حديث كلموا الناس بما يعرفون

عرف محل مصنفها من العلم قيل ان تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم سار الى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الاخلاق وتحسين الشمائل حتى مرن على ذلك ثم عاد الى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح العباد وارشادهم ودعائهم الى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين و يفيد الطالبين دون ان يرجع الى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة وكان معظم تدريسه فى التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة خصه الله تعالى بانواع الكرامة فى اخراه كما خصه بها فى دنياه قيل وكانت مدة القطبية للغزالى ثلاثة

أتريدون أن يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا فاعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ماذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان مايسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى وأن ألق عصاك أي كل مايتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغي أن يلقيه وفي قوله صلى الله عليه وسلم (١) تسحروا فان في السحور بركة أراد به الاستغفار في الاسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى ألفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم (٢) يتناول الطعام ويقول تسحروا (٣) وهلموا الى الغذاء المبارك فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم (٤) من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه (٥) اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من أهل الطامات

ودعوا ما ينكرون الحديث البخاري موقوفا على علي ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم (١) حديث تسحروا فان في السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث تناول الطعام في السحور البخاري من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٣) حديث هلموا الى الغذاء المبارك أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان (٤) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٥) حديث اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم

أيام على ماحكي في كرامات الشيخ سعيد العمودي نفع الله به وذكر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن اسعد اليافعي رحمه الله تعالى باسناده الثابت الى الشيخ الكبير القطب الرباني شهاب الدين احمد الصياد اليمني الزبيدي وكان معاصرا للغزالي نفع الله بهما قال بينما أنا ذات يوم قاعد اذ نظرت الى أبواب السماء مفتحة واذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خلع خضر ومركوب نفيس فوقفوا على قبر من القبور وأخرجوا صاحبه وألبسوه الخلع وأركبوه وصعدوا به من سماء الى سماء الى أن جاوز السموات السبع وخرق بعدها ستين حجابا ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه فسألت عنه فقيل لي هذا الامام الغزالي وكان ذلك عقيب موته رحمه الله تعالى ورأى في النوم السيد الجليل أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقد

مثل هذه التأويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ وبزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم [١] من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر فى تأويل هذه الالفاظ أطم وأعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة الى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامى فان اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم المشهور من غير التفات الى ماعرف فى العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الالفاظ (اللفظ الخامس) وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وقال صلى الله عليه وسلم [٢] كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا [٣] لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى والذين يحيون ما اماتوه من سنتى وفى خبر آخر هم [٥] المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفى حديث اخر [٦] الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثورى رحمه الله اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

﴿ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة ﴾

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم ❊ فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا اذ فيه

وقال صحيح الاسناد (١) حديث من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث ابى هريرة وعلى وانس (٢) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا تقدم بنحوه (٣) حديث لما سئل عن شر الخلق ابى وقال اللهم اغفر الحديث الدارمى بنحوه من رواية الاحوص بن حكيم عن ابيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف (٤) حديث بدا الاسلام غريبا الحديث مسلم من حديث ابى هريرة مختصرا وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٥) حديث هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم يقوله فى وصف الغرباء لم اره اصلا (٦) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون احمد من حديث عبد الله بن عمرو

باهى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالامام الغزالى وقال انى آمتكما حبر هكذا قالا وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول لاصحابه من كانت له منكم الى الله حاجة فليتوسل بالغزالى وقال جماعة من العلماء رضى الله عنهم منهم الشيخ الامام الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم فى ان الله تعالى يحدث لهذه الامة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة انه كان على رأس المائة الأولى عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثانية الامام الشافعى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثالثة الامام أبو الحسن الاشعرى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلانى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالى رضى الله عنه وروى ذلك عن الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه فى الامامين الاولين أعنى عمر بن عبد العزيز

ضرر

ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل عنه * وأما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى و بصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة و بذل المقدور فيه الى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذى لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب و يعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى اول الامر و يعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالانبياء والاولياء ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها * واما العلوم التى لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فان فى كل علم منها اقتصارا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن أحد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الأهم الذى اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها من الواجبات مع ان الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحسوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها من القلب وانما فزع الاكثرون الى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب فى الطلاء و يزيد فى المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريداً للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك يدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر و يساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب و يستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على

والشافعي ومناقبه رضى الله عنه أكثر من ان تحصر وفيما أوردناه مقنع و بلاغ ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة فى الفقة واحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجلها وله فى أصول الفقة المستصفى والمنخول والمنتحل فى علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب منهاج العابدين والدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة وكتاب الانيس فى الوحدة وكتاب القربة الى الله عز وجل وكتاب خلاق الابرار والنجاة من الاشرر وكتاب بداية الهداية وكتاب جواهر القرآن والاربعين فى أصول الدين وكتاب المقصد الاسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وكتاب ميزان العمل وكتاب

غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار فى التفسير مايبلغ ضعف القران فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد مايبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وماوراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له الى انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل مافى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ماتحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ماخرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فماوراء ذلك الى استيعاب كل مانقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة احوال الرجال واسمائهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه على مايحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر الذى اوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه فى البسيط الى ماوراء ذلك من المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها اهل السنة من السلف الصالح لاغير وماوراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقتها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذى اوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه مايبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى اوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع الامع العوام قبل اشتداد تعصبهم واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيأ يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عند غيره جوابا ماوهو عاجز عنه وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة واما العامى اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس وهو من آفة العلماء السوء فانهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لا نجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس واما الخلافيات التى احدثت فى هذه الاعصار المتأخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف فاياك وان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ماجهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع انها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذى يشهد له حدس المفتى اذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن فى امان واحتراز من

وكتاب كيمياء السعادة وكتاب تلبيس ابليس وكتاب نصيحة الملوك وكتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وكتاب شفاء العليل فى القياس والتعليل وكتاب المقاصد وكتاب الجام العوام عن علم الكلام وكتاب الانتصار وكتاب الرسالة اللدنية وكتاب الرسالة القدسية وكتاب اثبات النظر وكتاب الماخذ وكتاب القول الجميل فى الرد على من غير الانجيل وكتاب المستظهرى وكتاب الامالى وكتاب فى علم أعداد الوفق وحدوده وكتاب مقصد الخلاف وجزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ احياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة وقال يمدحه تلميذه الشيخ الامام أبو الفتيان الاقليشى المحدث الصوفى صاحب كتاب النجم والكواكب شعر

أباحامد أنت المخصص بالمجد * وأنت الذى علمتنا سنن الرشد وضعت لنا الاحياء تحيي نفوسنا * وتنقذنا من طاعة النازع المردى فربع عبادات وعاداته لتى * يعاقبها كالدر نظم فى العقد وثالثها فى المهلكات وانه * لمنسج من الهلك المبرح والبعد ورابعها فى المنجيات وانه ليسرح بالارواح فى جنة الخلد ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر ومنها صلاح للقلوب من الحقد وأما سبب رجوعه الى هذه الطريقة واستحسانه لها فذكر رحمه الله فى كتابه المنقذ من الضلال ماصورته أما بعد فقد سألتنى أيها الاخ فى الدين أن أبث لك غاية العلوم وأسرارها وغاية المذاهب وأغوارها وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استأجرت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام وما اجتويته من طرق أهل

شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء ان تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ماسواه والسلام وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له ماخبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت الا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل (١) وفى الحديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفى الحديث فى معنى قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ الآية (٢) هم اهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم وقال بعض السلف يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفى بعض الاخبار (٣) انكم فى زمان الهمتم فيه العمل وسياتى قوم يلهمون الجدل وفى الخبر المشهور (٤) ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم (٥) وفى الخبر ماأوتى قوم المنطق الامنعوا العمل والله اعلم

﴿ الباب الرابع فى سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها ﴾

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء فى احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى ومايتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم فى جميع احوالهم لاستفتائهم فى مجارى احكامهم وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الأعصار عز العلماء واقبال الأئمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى ورضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الاعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة اليها فى الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة فى الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعى وابى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واثالوا على المسائل الخلافية

---

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل الترمذى وابن ماجه من حديث ابى امامة قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث هم اهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث انكم فى زمان الهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل لم اجده (٤) حديث ابغض الخلق الى الله الألد الخصم متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ماأوتى قوم المنطق الامنعوا العمل لم اجد له اصلا

بين الشافعى وابى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الأئمة أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

﴿ بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ﴾

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا أخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان الأول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هى فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب الثانى أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها وأقربها الطب اذ لا يوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر فى مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد أن يتقرب الى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضى الله عنه أنه قيل يارسول الله (١) متى يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عليه السلام اذا ظهرت المداهنة فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى اراذلكم الثالث أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وانما يفتى فيما يسئل عنه

﴿ الباب الرابع ﴾

(١) حديث أنس قيل يارسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الحديث ابن ماجه باسناد حسن

التعليم القاصرين لدرك الحق على تعليم الامام وماازدريته ثالثا من طرق أهل التفلسف وما ارتضيته آخرا من طرق أهل التصوف وماانتحل لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل أهل الحق وماصرفنى عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعانى الى معاودته بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت لاجابتك الى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجئا اليه اعلموا أحسن الله أرشادكم والآن الى قبول الحق انقيادكم ان اختلاف الخلق فى الاديان والملل ثم اختلاف الائمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون وكل فريق يزعم انه الناجى وكل حزب بما لديهم فرحون

لى فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى ان أناف السن على

ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد فى اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه به فانه ربما يفتى باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التى فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا الرابع ان لا يناظر الا فى مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضى الله عنهم ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هى من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار او لانها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام والمقصود فى الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول الخامس ان تكون المناظرة فى الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب واذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام السادس ان يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل عليا رضى الله عنه فاجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال ابو موسى لا تسألونى عن شئ وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان امير الكوفة فقام ابن مسعود فقال اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه فاعاد الجواب فقال ابن مسعود وانا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو فى الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق السابع أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمنى ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمنى ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله انى أعرفه ولا اذكره اذ لا يلزمنى كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه

الخمسين اقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل فى كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار مذاهب كل طائفة لأميز بين كل محق ومبطل ومستن ومبتدع لا أغادر باطنيا الا وأحب أن أطلع على باطنيته ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على فلسفته ولا متكلما الا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا الا وأريد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لاسباب جراءته فى تعطيله وزندقته وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبى وديدنى من أول أمرى وريعان عمرى غريزة من الله وفطرة وضعها الله فى جبلتى لا باختيارى وحيلتى حتى انحلت

فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ماعرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه و ينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف ان اظهار ماعلم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اى فى شرع الجدل الذى ابدعناه بحكم التشهي والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل مايخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه الثامن ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على السنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن فى هذه الشروط الثمانية مايهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوله ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب فى الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق

﴿ بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق ﴾

اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الاخبار والآيات فى ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ماتهيجه المناظرة فمنها الحسد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا فلابد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم [2] من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى [3] العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والأمثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم لتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبوداود من حديث أبى هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف وفى تاريخ بغداد باسناد حسن (٢) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثورى ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن (٣) حديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى الحديث أبوداود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

نشء الا على التنصر وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء الا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء الا على الاسلام وسمعت الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه فتحرك باطنى الى طلب الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتميز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفى تميز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت فى نفسى أولا انما مطلوبى العلم بحقائق الامور ولابد من طلب حقيقة العلم ماهى فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط كالوهم ولا يتسع

والقرب من وسادة الصدر والبدء منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم (١) وان المؤمن منهي عن الاذلال لنفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد مالا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه و يتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق و يترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه ادنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه و يصغي الى خصمه و يقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله و يستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجة حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس با دنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا و يستحسن ذلك منه و يعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن قوم من اكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه في الفضل و يكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما ان احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا او سبعا ضاريا فاين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين و يبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق فلا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد اليهم باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم و يعلم ذلك

---

(١) حديث نهي المؤمن عن اذلال نفسه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٢) حديث المؤمن ليس بحقود لم أقف له على أصل

العقل لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا للنفس مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وامكانا فاني اذا علمت ان العشرة أكثر من الواحد لو قال لي قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم اشك في معرفتي لكذبه ولم يحصل معي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه وأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت ان كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المستيقنات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات

المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان أبغض شئ الى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم (١) من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذى يدعو الى أكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى الى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان أولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعنى وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم في صلاته ما صلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التى تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق له الاصابة في الاموال لم يطمع في السلامة من

---

(١) حديث اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذى حسن

فلابد من أحكامها أولا لاتبين ان يقيني بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذى كان من قبل في التقليدات أومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان محقق لا تجوز فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات انظر هل يمكنني أشكك نفسى فيها فانتهى بعد طول التشكك بي الى انه لم تسمح نفسى بتسليم الامان في المحسوسات وأخذ يتسع الشك فيها ثم انى ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت ان أصنفه فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودى ولم أزل أتفكر فيه مدة وانا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمى على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لى

الاذلال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم (١) ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الامر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله سبحانه ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اى الاقسام انت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى

﴿الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم﴾

﴿اما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل﴾

(الوظيفة الاولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وانجاس الاوصاف قال صلى الله عليه وسلم (٣) بنى الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٤) لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكنى أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير

---

(١) حديث أن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائى من حديث أنس باسناد صحيح (٢) حديث أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبى هريرة

﴿الباب الخامس﴾

(٣) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان (٤) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبى طلحة الانصارى

رغبة فى طلب الآخرة الا حمل عليها جند الشهوة حملة فيغيرها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبنى بسبب ميلها الى المقام ومنادى الايمان ينادى الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا القليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العمل رياء وتخييل وأن لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطعها فعند ذلك تنبعث الرغبة وينجزم الامر على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة اياك أن تطاوعها فانها سريعة الزوال وان أذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشأن العظيم الخالى عن التكدير والتنغيص والامر السالم الخالى عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين التجاذب بين شهوات الدنيا والدواعى قريبا من ستة أشهر أولها رجب من سنة ست وثمانين وأربعمائة وفى هذا

الشهر جاوز الأمر حد الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لسانى حتى اعتقل عن التدريس فكنت اجاهد نفسى

الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخلق الى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهى السبعية واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية (١) فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى أموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم فى صورة نمر وطالب الرياسة فى صورة أسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والابصار (فان قلت) كم من طالب رديء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم فى شيء قال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف فى القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكأنه أشار الى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه (فان قلت) انى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا فى الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبقت الى هذا الاشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وايضاح ان شاء الله تعالى (الوظيفة الثانية) أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فأنت من عطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع (الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقى اليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس (٢) فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ليس من أخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده الى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار

(١) حديث حشر الممزق لاعراض الناس فى صورة كلب ضار الحديث الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف (٢) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل الا أنهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم (٣) حديث ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى امامة باسنادين ضعيفين

ان ادرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة الى فكان لا ينطق لسانى بكلمة ولا أستطيعها البتة حتى أورثت هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب بطلت معه قوة الهضم ومرىء الطعام والشراب وكان لا تنساغ لى شربة ولا تنهضم لى لقمة وتعدى ذلك الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم فى العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح السر عن الهم المهم ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى التجأت الى الله التجاء المضطر الذى لا حيلة له فأجابنى الذى يجيب المضطر اذا دعاه وسهل على قلبى الاعراض عن المال والجاه والاهل والاولاد وأظهرت عزم الخروج الى مكة

بالجهال

بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان فلذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالى ❊ كالسيل حرب للمكان العالى ❊ فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده انفع له من صوابه فى نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض اوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل فى مراددته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران (فان قلت) فقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مأمور به (فاعلم) أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال أى دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف وما لم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه وقد قال على رضى الله عنه ان من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشى له سرا ولا تغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ❊(الوظيفة الرابعة)❊ أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب والشبه وان لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوى الى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفى ذلك قال بعضهم من رآنى فى البداية صار صديقا ومن رآنى فى النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الأعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بان أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله الى صفته ولمثل هذا جوز للنبى صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره [1] حتى أبيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى

(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف وفى الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبى صلى الله عليه وسلم تسع الحديث

وأنا أدبر فى نفسى سفر الشام حذرا من ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على غرضى فى المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل فى الخروج من بغداد على عزم أن لا أعادها أبدا واستهزأ بى أئمة العراق كافة اذ لم يكن فيه من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الاعلى فى الدين فكان ذلك هو مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس فى الاستنباطات فظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب منهم فكان يشاهد لجاجهم فى التعلق بى والانكار على واعراضى عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوى ليس له سبب الا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد وفارقت بما كان معى من مالى ولم أدخر من ذلك الا قدر الكفاف وقوت الاطفال ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح

منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن وأماغيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا و ينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض و يستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم قال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى ﴿الوظيفة السادسة﴾ أن لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب و يبتدئ بالأهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شئ أحسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بايمان العالمين لرجح[1] كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندى أن ما يعتقده العامى و يرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى الا فى صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغى أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك فى الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه روئى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد احدهما رقعة فيها ان أحسنت كل شئ فلا تظنن انك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفى يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب ﴿الوظيفة السابعة﴾ أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضرورويا و بعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى الى ما هو فوقه فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطإ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطإ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطإ اتفق لآخر والكل خطأ بل ينبغى أن يعرف الشئ فى نفسه

(١) حديث لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح

والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسى ثم تحركت بى داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه وثم سرت الى الحجاز ثم جذبتنى الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن وعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن ان ارجع اليه وآثرت العزلة حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير فى وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان

فلا

فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله ﴿ الوظيفة الثامنة ﴾ أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم وان ذلك يراد به شيآن أحدهما شرف الثمرة والثانى وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الابدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وان كان أكثره بالتخمين وبهذا تبين ان أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وأن ترغب الا فيه وأن تحرص الا عليه ﴿ الوظيفة التاسعة ﴾ أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى الى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذى يسقيهم الماء ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين فى العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعه لا محالة ﴿ الوظيفة العاشرة ﴾ أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك فى الدنيا والآخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف فى هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر الى وجهه الكريم أعنى النظر الذى طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وأتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل * الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة * والثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل * والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله فى كل مقام منازل من أول اعداد الاسباب الى آخره ومن أول سلوك البوادى الى آخره ومن أول اركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم يجرى مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات

لا يصفولى الحال الا فى أوقات متفرقة لكنى مع ذلك لا أقطع طمعى عنها فيدفعنى عنها العوائق وأعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذى ينبغى أن نذكره لينتفع به أنى علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيأ من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل فى طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها

الجارى منها مجرى التحرم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله تعالى وهو اقواها

الطريق ومنازله وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها كذلك لا يغنى علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ماذكرناه فى تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم * واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعنى انهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان وأشار به الى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة (فان قلت) لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعى الى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة فى ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو أمر الهى كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والاراضين والجبال اذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الامر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هى الساعية الى قرب الرب لانها من أمر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه فى حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه فى أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال فى الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب

بالاضافة الى ما تحت الاختيار انتهى قال العراقى فلما نفذت كلمته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت اليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتاقت الى الاخرى فاطرحها وسعى فى طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز ان لى نفسا تواقة لما نالت الدنيا تاقت الى الآخرة قال بعض العلماء رأيت الغزالى رضى الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة فقلت له يا امام أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا فنظر الى شذرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وظهرت شموس الوصل

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل * وعدت الى مصحوب أول منزل * ونادتنى الأشواق مهلا فهذه * منازل من تهوى رويدك فانزل

وعلم

وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الاسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق اصلاح القلب الموصل الى علم المكاشفة كنسبة أولئك الى سالكى طريق الحج أو ملابسى اركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم

﴿ بيان وظائف المرشد المعلم ﴾

اعلم أن للانسان فى علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فانه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق كما قيل

ماهو الاذبالة وقدت * تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه ﴿ الوظيفة الاولى ﴾ الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) انما أنا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا و يتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد و لا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق فى الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق فى طريقه ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون فى مقتضى قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴿ الوظيفة الثانية ﴾ أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل و يا قوم لا اسئلكم

(1) حديث انما انا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله على ما خصص وعمم وصلى الله على سيد جميع الانبياء المبعوث الى العرب والعجم وعلى آله وعترته وسلم كثيرا وكرم سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقربك مقامات الولاية تحل معاليها عن بعض ما وقع فى الاملاء الملقب بالاحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشىء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الانعام واجماع العوام وسفهاء الاحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه الى الضلال واضلال ونبذوا قراءه ومنتحليه

عليه مالا ان أجرى الا على الله فان المال ومافى الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذى يقوم فى العرض الاكبر مع المجرمين ناكسى رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارا له فى حاجاته ومسخرا بين يديه فى أوطاره فان قصر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من أن يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات ﴿الوظيفة الثالثة﴾ أن لا يدع من نصح المتعلم شيأ وذلك بان يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهات والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه باقصى مايمكن فليس مايصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذى يطلبه فان كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم أن يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه فى أثناء الامر أو آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدى الى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة فى القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا فى الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله المستعان وقد روى سفيان الثورى رحمه الله حزينا فقيل له مالك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى اذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا ﴿الوظيفة الرابعة﴾ وهى من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم [1] لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شىء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان فاين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده

ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمون فى شقاق بعيد ولا عجب فقد توى أدلاء الطريق وذهب أرباب التحقيق ولم يبق فى الغالب الا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبه متصفين بحكايات موضوعة متزينين بصفات منمقه متظاهرين بظواهر من العلم فاسده متعاطين لحجج غير صادقة كل ذلك لطلب الدنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر وتألفوا جميعا على المنكر وعدمت النصائح بينهم فى الامر وتصافوا بأسرهم على الخديعة والمكر ان نصحتهم العلماء أغروا بهم وان

للمعلمين

للمعلمين ينبغى أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغى ان يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة ﴿ الوظيفة السادسة ﴾ أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم (١) حيث قال نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم أنه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم ماأحد يحدث قوما بحديث لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال على رضى الله عنه وأشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضى الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغى أن يفشى العالم كل مايعلم الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لاتعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شىء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمنى فقد قال الله تعالى ولاتؤتوا السفهاء أموالكم تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق (شعر)

أأنثر درا بين سارحة النعم * فأصبح مخزونا براعية الغنم
لانهم أمسوا بجهل لقدره * فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه * وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة * والا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

﴿الوظيفة السابعة﴾ أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى اليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من أحد الا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغى أن يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغى ان يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة فى الصناعات التى هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص ﴿ الوظيفة الثامنة ﴾ أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الابصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيأ وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على مانهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الاشياء وألذها لما كان

(١) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم الحديث رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه وعند أبى داود من حديث عائشة انزلوا الناس منازلهم (٢) حديث من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبى سعيد باسناد ضعيف وتقدم حديث أبى هريرة بنحوه

ضمنت عنهم العقلاء ازروا عليهم أولئك الجهال فى علمهم الفقراء فى طولهم البخلاء عن الله عز وجل بانفسهم لا يفلحون ولا ينجح تابعهم ولذلك لا تظهر عليهم مواريث الصدق ولا تسطع حولهم أنوار الولاية ولا تحقق لديهم أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الخشية لانهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الاوتاد وفوائد الاقطاب وفى هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم حجبوا عن الحقيقة باربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة واظهار الدعوى أورثهم الكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط وهو على كل شىء شهيد فلا يغرنك أعاذنا الله

واياك من أحوالهم شانهم ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم ولا يغوينك بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكأن قد جمع الخلائق فى صعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وتلى لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيل ومتابعة الاباطيل فاعرض عن الجاهلين ولا تطع كل أفاك أثيم كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ولقد جئناك بحول الله وقوته وبعد استخارته مما سألت عنه وخاصة فارفضوه

يستأثر به ومثل العلم المرشد من المسترشد بن مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش من الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل فى المعنى

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم

﴿ الباب السادس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الاخرة والعلماء السوء ﴾

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم (٢) العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم (٣) يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم (٥) لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الائمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم (٦) من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم إما متعرض لهلاك الابد أو السعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة (وأما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه أن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم أضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندما قال أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدرى ويدرى انه لا يدرى فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزى (٣) حديث يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف (٤) حديث لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح (٥) حديث لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبى ذر باسناد جيد (٦) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف الا انه قال زهدا وروى ابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا على الحسن من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله الا بعدا وروى أبو الفتح الازدى فى الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما

فارفضوه وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما
ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى
قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة
وأنشدوا عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب
وقال صلى الله عليه وسلم (١) أن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال
أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم (٢) يقول يوتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه
فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى
عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين فى
الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا
قالوا انه ثالث ثلاثة الا أنهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ
منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك
العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت
فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى
تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن
ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس
حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات * فمنها أن لا يطلب الدنيا
بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء
نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما أرضيت أحداهما أسخطت الاخرى وانهما
ككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت
عن الآخر وانهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلىء تفرغ الآخر فان
من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة
والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر
مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع
فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله الى آخره فكيف يعد من زمرة
العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته
فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى أن أدنى ما اصنع بالعالم
اذا آثر شهوته على محبتى أن احرمه لذيذ مناجاتى ياداود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى
أولئك قطاع الطريق على عبادى ياداود اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما ياداود من رد الى هاربا كتبته جهبذا
ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل
الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا

ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (١) حديث أن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده
بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده (٢) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى
فى النار فتندلق أقتابه الحديث متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم

ماز عمت فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذى ذكر فيه الاقلام اذ قد اتفق ان يكون آشهر مافى الكتاب وأكثر
تصرفا على السنة
الصدور والاصحاب
حتى لقد صار
المثل المذكور فى
المجالس تحية
الداخل وحديث
الجالس فساعدتنا
أمنيتك ولولا
العجلة والاشتغال
لاضفنا الى املائنا
هذا بيانا غيره مما
عدوه مشكلا
وصار لعقولهم
الضعيفة مخبلا
ومضلا ونحن
نستعيذ بالله
من الشيطان
ونستعصم به من
جراءة فقهاء
الزمان ونتضرع
اليه فى المزيد من
الاحسان انه
الجواد المنان

(ذكر مراسم الاسئلة فى المثل)

ذكرت رزقك
الله ذكره وجعلك
تعقل نهيه وأمره
كيف جاز انقسام
التوحيد على
أربعة مراتب
ولفظة التوحيد
تنافى التقسيم فى
المشهود كما ينافى
التكرير التعديد
وان صح انقسامه
على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت مزيد البيان فى تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها ان

رأيتم العالم يغشى الامراء فهو لص وقال عمر رضى الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت فى بعض الكتب السالفة ان الله تعالى يقول أن أهون ما أصنع بالعالم اذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه وكتب رجل الى أخ له أنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول للعلماء الدنيا بأصحاب العلم قصوركم قيصرية و بيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين الشريعة المحمدية قال الشاعر وراعى الشاة يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر يامعشر القراء ياملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة انه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا اشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثورى فتنة الحديث أشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما أراد به طلب الاسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصرى أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال تعالى فى علماء الآخرة وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال أوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين و يتعلمون لغير العمل و يطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياى يخادعون وبى يستهزؤون لافتحن لهم فتنة تذر الحليم

---

(١) حديث أبى هريرة من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبو داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبى الدرداء أوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف

افشاؤه وما معنى قول أهل هذا الشان افشاء سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه فى الشرع اذ الايمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة انما هى مأخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجمادات ومخاطبة الجمادات للعقلاء و بماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الآذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهى وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى ان الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التى يكون معتقدها منزها مجلا وما معنى الطريق فى فانك بالوادى المقدس طوى ولعله ببغداد أو اصفهان أو نيسابور أو طبرستان فى غير الوادى حيرانا .

حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فأوحى الله عز وجل اليه لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان ان رد عليه شىء من علمه أو تهون بشىء من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب وفى خبر آخر (٣) ان العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروى ان الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) لا تجلسوا عند كل عالم الا الى عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة قال تعالى فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن الآية فعرف أهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا * ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو أول عامل به قال الله تعالى

---

(١) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبرانى فى الاوسط باسناد ضعيف (٢) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزى فى الموضوعات (٣) حديث ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة لم أجده هكذا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٤) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى الموضوعات

سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبي أذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتسلق الى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الالهوان كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد الاعلى من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع فى النداء اذا سمع أهل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الامر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذى أوصله الى مقامهم وهو فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين وما معنى انصراف السالك وصوله الرفيق وجهته فى الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذى يمنعه من البقاء فى الموضع الذي وصل اليه وهو أرفع من الذى خلفه وأين هو

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقل تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون وقال تعالى في قصة شعيب وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقل تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقل تعالى واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال صلى الله عليه وسلم (٢) هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي رحمه الله شكت النواويس ماتجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وانما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا * فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها * وأنت أكثر منهم رغبة فيها

(وقال آخر)

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابراهيم ابن أدهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال ابراهيم ابن أدهم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن ابن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فقال تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن ينهدم الزمان احداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم

(١) حديث مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس
(٢) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث (٣) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا علقه ابن عبد البر وأسنده ابن عدي وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف رواه الدارمي موقوفا على معاذ بسند صحيح

من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الالهية وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض ومندوب اليه أو غير ذلك ولم كسبت المشكل من الالفاظ واللغز من العبارات وان جاز ذلك للشارع فما له ان يختبر به ويمتحن فما بال من ليس شارعا انتهى جملة مراسم الاسئلة في المثل فاسأل الله تعالى ان يملي علينا ما هو الحق عنده في ذلك وان يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات المسالك وان يعم نفعه أهل المدارك انه امهد أؤكد

كد وصية أما المقدمة فالغرض بها تبيين عبارات انفرد بها أرباب

حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله فما أخصب الالسن يومئذ وما أجدب القلوب فوالله الذى لا اله الاهو ماذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفى التوراة والانجيل مكتوب لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه انكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين * واعلم ان مثل العالم مثل القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أولا يعلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار وقال كعب رحمه الله يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ان الشيطان ربما يسوفكم بالعلم فقيل يارسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سرى السقطى اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت فى النوم قائلا يقول لى الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت انى لاحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك رحمه الله ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيأ وقال ابن مسعود رضى الله عنه أنزل القران ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها وفى مثله قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وفى الخبر (٣) مما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال منافق فى القرآن * ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعة مجتنبا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى (٤) أن رجلا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم فقال له ما صنعت فى رأس العلم فقال وما رأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت فى حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم * بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتنى قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت منى فى هذه المدة قال ثمانى مسائل قال شقيق له انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم الا ثمانى مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وانى لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت

(١) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم الحديث فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتى زلة عالم الحديث الطبرانى من حديث أبى الدرداء ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم الحديث ابن السنى وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا

من كلامنا مختصا بهذا الفن فى هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذى يكون سلوكنا فى هذه العلوم عليه والسمت الذى ننوى بمقصدنا اليه ليكون ذلك أقرب على المتأمل وأسهل على الناظر المتفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر فى كلام الناس وآخذ نفسه بالاطلاع على اغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم وكيف يكون نظره فيها واطلاعه عليها واقتباسه منها فذلك أوكد عليه ان يتعلمه من ظهورها فشردوا عنها وغلقت فى وجوههم الابواب واسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها بالترحيب وولجوا

 على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثير من حجب الغيوب والله يهدى من يشاء الى صراط

القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عزوجل وأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع
الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة ومقدار
رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله عزوجل ماعندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شئ له قيمة ومقدار وجهته
الى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب
والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لاشئ ثم نظرت الى قول الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت في
التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم
بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عزوجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد
واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا
الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عزوجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه أنه عدولي فتركت عداوة الخلق غيره
السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له
ثم نظرت الى قوله تعالى ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها
فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت مالي عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا
على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت
الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله عزوجل فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله
تعالى فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور
على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له
الا علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي
بعث الله بها الانبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم ومايتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم
اليوم مايتعلمون الا الكلام * ومنها أن يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في
الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل الى الاكتفاء بالاقل
في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ماحكي
عن أبي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا
نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين
فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة
المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى
الباب فاذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء
قوراء واسعة نزهة واذا بزة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه واذا بفرش وطئة وهو راقد
عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ اليه ابن مقاتل أن اجلس
فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا
حتى أسألك فاستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم ففيما
أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى

مستقيم (المقدمة) اعلم ان الألفاظ المستعملة منها مايستعمله الجماهير والعموم ومنها مايستعمله ارباب الصنائع والصنائع على ضربين علمية وعملية فالعملية كالمهن والحرف ولاهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما تحرر من الموازين ولاهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لا يشاركهم فيها غيرهم الا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد وتكون المشاركة اذا اتفقت اما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرفه من بحث عن مجاري الالفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وانما سمينا من العلوم صنائع ماقصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدأ وغاية ومالم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الانبياء صلوات الله عليهم

الى أصحابه وأصحابه الى الثقات وأداء الثقات اليك هل سمعت فيه من كان فى داره اشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت انه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الرى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسى بقزوين أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة ياغلام هات اناء فيه ماء فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا فقال الطنافسى ياهذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا فقال حاتم ياسبحان الله العظيم أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج الى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا ياأباعبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد الا قطعته قال معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى أفرح اذا أصاب خصمى وأحزن اذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قال له ياأبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال ياأباعبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال ياقوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلى فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور انما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض قال حاتم ياقوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لا تعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم الاصم رحمه الله تعالى وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه * والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وأمور أخر هى محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى (١) نزع القميص المطرز بالعلم (٢) ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتى بيانه وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب الى مالك بن أنس رضى الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطى وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يامالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن

(١) حديث نزع القميص المعلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر

والصحابة رضى الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من بعدهم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذى هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسميها عندهم صناعة ونسميها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات الى الحقائق والمسلمين بالسادة والملقبين بالصوفية والمتشبهين بالفقراء والمعروفين بالرقة والمعزى اليهم والعلم والعمل ألفاظ جرى رسمهم بالتخاطب بها فيما يتذاكرونه أو يذكرونه ونحن ان شاء الله نذكر ما يغمض منها اذ قد يقع منا عند ما نذكر شيأ من علومهم ونشير الى غرض من أغراضهم فلم نر أن يكون ذلك بغير ما عرف من ألفاظهم وعباراتهم ولا حرج فى ذلك عقلا وشرعا ونحن بحكم مصرف التقدير وهو على كل شئ قدير * فمن ذلك السفر والسالك والمسافر والحال والمقام والمكان والشطح والطوالع

الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس الى يحيى بن يزيد سلام الله عليك أما بعد فقد
وصل الى كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل
الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ماذكرت لي اني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب
وأجلس على الوطيء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج
لعباده والطيبات من الرزق واني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك
من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بانه مباح وقد
صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى
أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراآت والمداهنة والتجاوز الى المكروهات وأما
غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصة علماء الله تعالى
الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر * ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة
مادام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي
السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين
الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما أن يلتفت الى تجملهم فيزدري
نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين
حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال
والحرام مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين ومالا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم
مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) من بدا جفا يعني من سكن البادية
جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم (٢) سيكون عليكم أمراء تعرفون
منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا نقاتلهم
قال صلى الله عليه وسلم لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة اياكم
ومواقف الفتن قيل وماهي قال أبواب الامراء يدخل أحدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك
فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه أنس وقيل للاعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا
تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منه الا القليل
ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي مامن شيء
أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار
الامراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقي رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان
تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى الى مجلسه فلا
يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الامير قال وكنت أسمع أنه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم
حتى جربت ذلك اذ مادخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وأنتم ترون

(١) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس (٢) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن ماجه بالشطر الاول نحوه من حديث ابي هريرة بسند ضعيف

والذهاب والنفس والسر والوصل والفصل والادب والرياضة والتحلي والتخلي والتجلي والعلة والانزعاج والمشاهدة والمكاشفة واللوائح والتلوين والغيرة والحرية واللطيفة والفتوح والوسم والرسم والبسط والقبض والفناء والبقاء والجمع والتفرقة وعين التحلم والزوائد والارادة والمريد والمراد والهمة والغربة والمكر والاصطلام والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فنذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بمشيئة الله تعالى وان كانت ألفاظهم المصرفة بينهم في علومهم أكثر مما ذكرنا فانما قصدنا أن نريك منها أنموذجا ودستورا تتعلم به اذا طرأ عليك مالم نذكره لك ههنا اذ لها مبحث والها سبيل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فاما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بآلة الفكر في طريق المعقولات وعلى ذلك ابتني لفظ السالك والمسافر في لغتهم ولم يرد بذلك سلوك الاقدام التي بها يقطع مسافات ما

ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان أنجو من الدخول عليه كفافا مع أنى لا آخذ منه شيأ ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بنى اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص و بما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال وكان لا يغشى السلاطين و ينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام فلو أتيتهم فقال يابنى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها قالوا ياأبانا اذن نهلك هزالا قال يابنى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب الى من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان وفى هذا اشارة الى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال أبو ذر لسلمة ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيأ من دنياهم الا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقى اليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم و يقيم شعائر الشرع الى أن يخيل اليه أن الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن و يخوض فى الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا اشتغلوا فاذا اشتغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن أما بعد فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم اما لميلهم الى الدنيا وأما لمخالطتهم السلاطين * ومنها أن لا يكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو اجماع أو قياس جلى أفتى وان سئل عما يشك فيه قال لا أدرى وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره ان كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر (١) العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى قال الشعبى لا أدرى نصف العلم ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب الى هذا الامير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدرى فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شئ أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم و يسكت بعلم يقول أنظروا الى هذا سكوته أشد على من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أى لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول أعرفونى وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال أبو حفص النيسابورى العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان ابراهيم التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى و يقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الى وكان أبو العالية الرياحى

---

(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمرو لأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

الاجسام فان ذلك مما شاركه فيه البهائم والانعام وأول مسالك السفر الى الله تعالى عزوجل معرفة قواعد الشرع وخرق حجب الامر والنهى وتعلق الغرض فيها والمراد بها ومنها فاذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطنها أشرفوا على مفاوز أوسع و برزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك بمعرفة أركان المعارف النبوية النفس والعدو والدنيا فاذا تخلصوا من أوعارها أشرفوا على غيرها أعظم منها فى الانتساب وأعرض بغير حساب من ذلك سر القدر وكيف خفى بحكم فى الخلائق وقادهم بلطف فى عنف وشدة فى لين وبقوة فى ضعف وباختيار فى جبر الى ماهو فى مجاريه لا يخرج المخلفون عنه طرفة عين ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه والاشراف على الملكوت الاعظم ورؤية عجائب ومشاهدة غرائب مثل العلم الالهى واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة وملائكة الله يطوفون حول العرش بالبيت المعمور وهم يسبحونه

وابراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم (١) ماأدري أعزير نبي أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين نبي أم لا (٢) ولماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع في الارض وشرها قال لاأدرى حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال لاأدرى الى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع و يسكت عن واحدة وكان فى الفقهاء من يقول لاأدرى أكثر ممن يقول أدرى منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد ابن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنهم أحد يسئل عن حديث أوفتيا الاود أن أخاه كفاه ذلك وفى لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الأول وروى أن أصحاب الصفة أهدي الى واحد منهم رأس مشوي وفي هو غاية الضر فأهداه الى الآخر وأهداه الآخر الى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا منه ويشهد لحسن الاحترازمن تقلد الفتاوى ماروى مسندا عن بعضهم أنه قال لا يفتى الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الامامة والوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لماسمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم (٣) كل كلام ابن آدم عليه لاله الا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أوذكر الله تعالى وقال تعالى لاخير فى كثير من نجواهم الامن أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام فقال مارأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى فكره وجهه وأعرض عنه وقال ماوجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين أن أحدهم ليفتى فى مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم الا عند الضرورة (٤) وفي الحديث اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتى وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبه مغطاة لايقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر عملا وقال أبو سليمان المعرفة الى السكوت أقرب منها الى الكلام وقيل اذا كثر العلم قل الكلام واذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان الى أبى الدرداء رضى الله عنهما (٥) وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأخى بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لاتقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان أنس رضى الله عنه اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا سئل يقول سلوا حارثه بن زيد وكان ابن عمر رضى الله عنهما

(١) حديث ماأدرى أعزير نبي أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٢) حديث لماسئل عن خير البقاع وشرها قال لاأدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله الا ثلاث الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٤) حديث اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلاد باسناد ضعيف (٥) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء البخارى من حديث أبى جحيفة

والقادر على كل شئ فتغشاهم الانوار المحرقة و يتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات ويشاهدون الموصوف ويحضرون حيث غاب أهل الدعوى ويبصرون ما عمى عنه أولو الابصار الضعيفة بحجب الهوي (والحال) منزلة العبد فى الحين فيصفوله فى الوقت حاله ووقته وقيل هو مايتحول فيه العبد و يتغير مما يرد على قلبه فاذا صفا تارة . وتغير اخرى قيل له حال وقال بعضهم الحال لا يزول فاذا زال لم يكن حالا (والمقام) هو الذى يقوم به العبد فى الاوقات من أنواع المعلات وصنوف المجاهدات فمتى أقيم العبد بشئ منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه الى غيره (والمكان) هو لاهل الكمال والتمكين والنهاية فاذا أكمل العبد فى

عنها يقول سلوا سعيد ابن المسيب وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ماعندى الا مارويت فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم به وقال تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم * ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضى الى المشاهده ودقائق علوم القلوب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عزوجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم تقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ماتحار فيه عقول ذوى الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم وفى بعض الكتب السالفة يابنى اسرائيل لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به الى الارض ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا الى باخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم و يغمركم وقال سهل ابن عبد الله التسترى رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الآية ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى (٢) لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه واعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لايدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر مارزق منه و بحسب ماوفق له من حسن العمل وفى صفة هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء أحياء باقون مابقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا و يستطيل بنعم الله على أوليائه و يستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لاهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه أقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم لاتخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى و بيناته وكم واين أولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة بحفظ الله تعالى

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ كنت سمعه و بصره وهو فى الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

معانيه فقد تمكن من المكان وغير المقامات والاحوال فيكون صاحب مكان كما قال بعضهم مكانك من قلبي هو القلب كله فليس لشيء فيه غيرك موضع (والشطح) كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى الا أن يكون صاحبه محفوظا (والطوالع) أنوار التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة شعاعها فيطمس سلطان نورها الالوان كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب (والذهاب) هو أن يغلب القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبها (والنفس) روح سلطه الله على نار القلب ليطفئ شرها (والسر) ماخفى عن الخلق فلايعلم به الا الحق وسر السر مالايحس به السر والسر ثلاثة سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة فسر العلم حقيقة العالمين بالله عزوجل وسر الحال معرفة مراد الله وسر الحقيقة ماوقعت به الاشارة (والوصل) ادراك الفائت (والفصل) فوت ماترجوه من

بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم و يزرعوها فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله فى أرضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذى ذكرناه اخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة * ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) اليقين الايمان كله فلابد من تعلم علم اليقين أعنى أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٢) تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم (٣) لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم ما من آدمى الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٤) ان من أقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفى وصية لقمان لابنه يا بنى لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى فى القرآن الى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات (فان قلت) فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلابد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشئ له أربع مقامات الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفى بل تستوى عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثانى أن تميل نفسك الى أحد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه لكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اخفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث أن تميل النفس الى التصديق بشئ بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها اذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة أمامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ أمامه نفر عن قبوله الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه تسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله أنه اذا قيل للعاقل هل فى الوجود شئ هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة

(١) حديث اليقين الايمان كله البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد ابن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس باسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيأ اقل من اليقين ولا قسم شيا بين الناس اقل من الحلم الحديث

التشمر عن العلامات والتجرد عن اللاحظات والثالث أدب الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة (والرياضة اثنان) رياضة الادب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد (والتحلى) التشبه بأحوال الصادقين بالاحوال واظهار الاعمال (والتخلى) اختيار الخلوة والاعراض عن كل ما يشغل عن الحق (والتجلى) هو ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (والعلة) تنبيه عن الحق (والانزعاج) انتباه القلب من سنة الغفلة والتحرك للانس والوحدة (والمشاهدة) ثلاثة مشاهدة بالحق وهى رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهى رؤية الحق فى الاشياء مشاهدة الحق هى حقيقة اليقين بلا ارتياب (والمكاشفة) أتم من المشاهدة وهى ثلاثة

لان

لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شئ قديم أزلى ضروريا مثل العلم بان الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا أيضا ضرورى فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له ان لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدى الى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بوجود شىء قديم بالضرورة لان الأقسام ثلاثة وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدى الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بان السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت فى نفى الشك ﴿ الاصلاح الثانى ﴾ اصلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين فى اتيان الرزق مع انه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشىء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن انما أردنا بقولنا ان من شأن علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت ان المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الاول فلا ينكر أيضا أما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر أعنى الاصطلاح الثانى وفيما انتفى الشك أيضا عنه لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع انك لا تشك فى الامرين جميعا فمستند هما جميعا التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لان السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالادلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أى معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه ﴿ فان قلت ﴾ قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فانى ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ﴿ فاعلم أن جميع ما ورد به الانبياء صلوات

مكاشفة بالعلم وهى تحقيق الاصابة بالفهم ومكاشفة بالحال وهى تحقيق رؤية زيادة الحال ومكاشفة بالتوحيد وهى تحقيق صحة الاشارة (واللوائح) ما يلوح من الاسرار الطاهرة الصافية من السمو من حالة الى حالة أتم منها والارتقاء من درجة الى ما هو أعلى منها (والتلوين) تلوين العبد فى أحواله وقالت طائفة علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة وقال آخرون علامة الحقيقة التلوين لانه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة (والغيرة) غيرة فى الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة فى الحق برؤية الفواحش والمناهى وغيرة على الحق هى كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه (والحرية) اقامة حقوق العبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرا (واللطيفة اشارة دقيقة المعنى تلوح

فى الفهم ولا يسعها العبارة (والفتوح) ثلاثة فتوح العبادة فى الظاهر وذلك بسبب اخلاص القصد وفتوح الحلاوة فى الباطن وهو سبب جذب الحق باعطافه وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق (والوسم والرسم) معنيان يجريان فى الابد بما جريا فى الازل (والبسط) عبارة عن حال الرجاء (والقبض) عبارة عن حال الخوف (والفناء) فناء المعاصى ويكون فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك (والبقاء) بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شىء (والجمع) التسوية فى أصل الخلق وعن آخرين معناه اشارة الى الحق بلا خلق (والتفرقة) اشارة الى اللون والخلق فمن أشار الى تفرقة بلا جمع فقد جحد البارى سبحانه ومن أشار الى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر واذا جمع بينهما فقد وحد (عين الجمع)

الله وسلامه عليهم من أوله الى آخره هو من مجارى اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة المعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى احصائها ولكن أشير الى بعضها وهى أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الازلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها واليقين بأن ذلك يأتيه وان ماقدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على مافاته وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة * ومن ذلك أن يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والافاعى الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ * ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا فى جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى القلب مثل الاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار وكالانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاصل والاساس وله مجاور وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات ان شاء الله تعالى وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن * ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ماألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الانبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قاله سهل التسترى رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم

المفتون

المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله تعالى لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى و بامر الله تعالى و بايام الله تعالى وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم وأراد بايام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم و يقال ما آتى الله عبداً علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق و رفقا فذلك هو العلم النافع وفى الاثر من آتاه الله علما وزهداً وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفى الخبر[1] أن من خيار أمتى قوما يضحكون جهراً من سعة رحمة الله و يبكون سراً من خوف عذابه أبدانهم فى الارض وقلوبهم فى السماء أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يتمشون بالسكينة و يتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت فى السماء و الارض و يروى فى الاسرائيليات أن حكيما صنف ثلثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشىء وانى لا أقبل من نفاقك شيأ فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الاسواق وواكل بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الآن وفقت لرضاى وحكى الاوزاعى رحمه الله عن بلال ابن سعد انه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطى فيستعيذ بالله منه و ينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى[2] وروى انه قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فاى الاصحاب خير قال صلى الله عليه وسلم صاحب ان ذكرت الله أعانك وان نسيته ذكرك قيل فاى الاصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين اذا رأوا ذكر الله قيل فاى الناس شر قال اللهم غفراً قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم[3] ان أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكراً فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا وقال على رضى الله عنه فى خطبة له ذمتى رهينة وأنا به زعيم أنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره وان أبغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباهه من الناس وأرذالهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما بكر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى اذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتلخيص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض اليه أولئك الذين

(١) حديث ان من خيار أمتى قوما يضحكون جهراً من سعة رحمة الله و يبكون سراً من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقى فى شعب الايمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله وللدارمى من رواية الاحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ألا أن شر الشر شرار العلماء وأن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم (٣) حديث ان أكثر الناس أمنا يوم القيامة أكثرهم خوفا فى الدنيا الحديث لم أجد له أصلا

اظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط والدعاء (والزوايد) زيادات الايمان بالغيب واليقين (والارادات) ثلاثة ارادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى وارادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وارادة الله سبحانه وذلك موضع الاخلاص (والمريد) هو الذى صح له الابتلاء ودخل فى جملة المنقطعين الى الله عزوجل بالاسم (والمراد) هو العارف الذى لم يبق له ارادة وقد وصل الى النهاية وغير الاحوال والمقامات (والهمة) ثلاثة همة منية وهى تحرك القلب للمنى وهمة ارادة وهى أول صدق المريد وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل فان الامر اد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الاخرة مع

حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما (١) لقد عشنا برهة من الدهر وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده ينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه (٢) كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الزهد فاما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وأما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وأما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وأما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا (٣) ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله *ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل

عرفت الشر لا * للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

ولان الاعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع أبدا وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات

النفس

---

(١) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٢) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٣) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود

كثيرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في أقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق أن لا علم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح وهي جمع المنعم بصفاء الالهام (والغربة) ثلاثة غربة عن الاوطان من أجل

النفس وقد قيل له يا أبا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفى لفظ آخر كانوا يقولون يارسول الله مالمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يارسول الله مايفسد كذا وكذا فلما رآنى أسأله عن آفات الأعمال خصنى بهذا العلم وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسئل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم ولا يخبر باسمائهم وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيأ من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضى الله عنه اذا دعى الى جنازة لصلى عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعى الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشئ منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق و يرون ان التحقيق فى دقائق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طرق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء و ينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق ولذلك قيل انه كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة منهم سهل التسترى والصبيحى وعبد الرحيم وكان يجلس الى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب * ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد مايسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وانما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ مايقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى أن يقلد غيره ولذلك (٢) قال ابن عباس رضى الله عنهما مامن أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبى ابن كعب ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجاه مختصرا (٢) حديث ابن عباس مامن أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من حديثه يرفعه بلفظ من قوله ويدع

(والاصطلام) نعت وله يرد على القلوب بقوة سلطان فيستكنها (المكر) ثلاثة مكر عموم وهو الظاهر فى بعض الاحوال ومكر خصوص وهو فى سائر الاحوال ومكر خفى فى اظهار الآيات والكرامات (والرغبة) ثلاثة رغبة النفس فى الثواب ورغبة القلب فى الحقيقة ورغبة السر فى الحق (والرهبة) رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق (والوجد) مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده (والوجود) تمام وجد الواجدين هو أتم الوجد عندهم وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ماتطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ماتجده من الله الكريم الوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين (والتواجد) استدعاء الوجد والتشبه فى تكلفه بالمصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة

على الرأس والعين وماجاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك وماجاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن
رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا
أدركت بالقرائن فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة
ما يحرسهم فى الاكثر عن الخطا واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب
والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شئ منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد
سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب
والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن
الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من
الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيأ ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا
شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم
وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع اليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبى بكر رضى الله
عنه لذلك فجمع القرآن فى مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع
ما لم تفعله الصحابة رضى الله عنهم * وقيل أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة ثم كتاب معمر ابن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا
مأثورة نبوية * ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثورى * ثم فى القرن الرابع حدثت
مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والغوص فى ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ
بها فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات
النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه
بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن
سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم
العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن
الخواص منهم كانوا اذا قيل لهم فلان أعلم ام فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص
يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا
وقد انتهى الامر الى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته الى الجنون فالأولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت
* ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما أحدث
بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان
فيه أكثرهم أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الاوقاف والوصايا وأكل مال
الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر
والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان الى غير
ذلك من علوم الباطن * واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم الى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق
السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال على رضى الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغى أن
يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل
طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل الى الجنة سواه
ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا فى الاسلام رجل ذو رأى سيئ زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا

التى ينبغى عليها هذا الفن باسره فذلك اجتذاب أرواح المعانى والاشارة الى البعد فى القرب قصد الاستدلال
بالاقوال والاعمال والاحوال على الله تعالى قصدا ذاتيا لا على ما سلكه أرباب علوم الظاهر ثم التصديق بالقوة والنظر الى الملكوت من كوة ومعرفة العلوم فى الانصراف ومصاحبة القدر بالمساعدة وبالمعروف ومماطاة الوجودات الخمس الذاتى والحسى والخيالى والعقلى والشبهى حسبما فهم من الشرع وثبت معناه فى المحفوظ من الوحى وقلما أدرك شئ من العجز والعلم لا ينال براحة الجسم ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا (والوصية) أيها
الطالب للعلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب

لمايغضب ولمايرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن فعالهم ويقتفى آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك كونوا (١) وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسنداً انه قال انماهما اثنان الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ماهو آت قريب الا ان البعيد ماليس بآت وفى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الامور وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وانكم لا تزالون بخير ماعرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم اذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة فى دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة وقيل أنه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون انه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين فى القرآن والاذان ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ماأقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول لا ينبغى لمن ألهم شيأ من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق مافى نفسه وانما قال هذا لان ماقد أبدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال يامروان ماهذه البدعة فقال أنها ليست ببدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا ووالله لا صليت وراءك اليوم وانما أنكر ذلك عليه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء

(١) حديث ابن مسعود انماهما اثنتان الكلام والهدى الحديث ابن ماجه (٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن على بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبرانى من حديث البراء ونحوه فى يوم الاضحى

الحكمة ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفى الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك أو الى من جهات نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو امام متبع أو صحة مين أو ماشا كل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار عملك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت فى الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك ان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك الستر وتحجب اللب واذا نظرت فى كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء كمن يستغنى عنه فى الظاهر وله اليه كثير حاجة فى الباطن ولا تقف به حيث يقف بكلامه فلعله أوسع من العبارات والصدور أنسخ من الكتب المؤلفات وكم علم [illegible] برعنه وأطمح بنظر قلبك فى كلامه

على قوس أو عصا الا على المنبر وفى الحديث المشهور (١) من أحدث فى ديننا ماليس منه فهورد (٢) وفى خبر آخر من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول الله وما غش أمتك قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ان لله عزوجل ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجانى على الدين بابداع مايخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة الى من خالف أمره فى خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه العالى و يرتفع اليه التالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ماأحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكى عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا اليه محسورين فقال ماشأنكم قالوا مارأينا مثل هؤلاء مانصيب منهم شيأ وقد أتعبونا فقال انكم لاتقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشىء بعد الشىء من الذنوب فاذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم أين شاؤوا فان قلت من أين عرف قائل هذا ماقاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان أرباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الامثلة كما يكون فى المنام وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة فاياك أن يكون حظك من هذا العلم انكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون انهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للاولياء لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما انقطع الابدال فى أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التسترى رضى الله عنه ان من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى الى قوله بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول لان كل انسان يخوض فيما أحب ويدفع مالا يوافق محبوبه ولذلك قال الله

ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه فى الصغير من حديث سعد القرظ كان اذا خطب فى العيدين خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس الحديث (١) حديث من أحدث فى ديننا ماليس فيه فهورد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ فى أمرنا ما ليس منه وعند أبى داود فيه (٢) حديث من غش أمتى فعليه لعنة الله الحديث الدار قطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث ان لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته لم أجد له أصلا (٤) حديث عليكم بالنمط الاوسط الحديث أبو عبيد فى غريب الحديث موقوفا على على بن أبى طالب ولم أجده مرفوعا

الى غاية مايحتمل فذلك يعرفك قدره و يفتح باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد وليكن تحسين النظار أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك بما تتيقن من معانيه واذا رأيت له حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ماتجده ولا تعجل على احد بالتخطئة ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فلكل عالم عورة وله فى بعض مايأتى به احتجاج وناهيك ما جرى بين ولى الله تعالى الخضر وكليمه موسى على نبينا وعليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن فى الظاهر بمحال أو اختلال فخذ ماظهر لك علمه ودع مااعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه الى الله عز وجل فهذه وصيتى لك فاحفظها وتذكيرى اياك فلا تذهل عنه

اسمع وصيتى ان تحفظ حظيت بها * وان تخالف فقد يردى بك الخلف

عز

عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وأن ماهو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمراً عليه الى الموت واذا غلب هذا على أكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ماظنك بمن بقي لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما أو كانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وان احسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده ولو تأمل هذا المسكين وعلم ان افادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم ان المستفيد انما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له على ذلك وردءا وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين اما متصفا بهذه الصفات أو معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بان بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

﴿ الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه ﴾

﴿ بيان شرف العقل ﴾

اعلم أن هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ماهو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) الشيخ في قومه كالنبي في أمته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد أن نورد ما وردت به الاخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة وسمي العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقال سبحانه أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم (٢) يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا

﴿ الباب السابع في العقل ﴾

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي من حديث أبي رافع بسند ضعيف (٢) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود

وأزيدك زيادة تقتضي التعريف باصناف العلماء لكي يعرف الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر منفعة ولي في وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وبآياته مهما بالخشية لله سبحانه والورع في الدين والزهد في الدنيا والايثار لله عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع الى اقامة الحجة واطفاء نار البدعة قد أخرس المتكلمين وأفحم المتخرصين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ماينازع شواهده بينة ونجومه نيرة قد حمى صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبأمره وبآياته ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه وحجبه عن الورع والزهد في الدنيا والرغبة والحرص وبعده من بركات علمه محبة العلو والشرف وخوف السقوط والفقر فهو عبد لعبيد الدنيا خادم لخدمها مفتون بعد علمه

مغتر بمعرفته مخذول بعد نصرته شأنه الاحتقار لنعم الله والازدراء لأوليائه والاستخلاف بالجهال من عباده وتحرّ بلقاء أمير وصلة سلطانه وطاعة القاضي والوزير والحاجب له قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه والاتباع له ومن يكون بعده قدوة به ومراده من الدنيا مثله في مثل هذا ضرب الله المثل حين قال واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فويل لمن صحب مثل هذا في دنياه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عباده تراه ان أعطى من الدنيا رضي بالمدحة لمن أعطاه وان منع رش بالذم لمن منعه وقد نسي من قسم الارزاق وقدر الاقدار وأجرى الاسباب وفرغ من الخلق كلهم

بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم (١) أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة وعن أنس رضي الله عنه (٢) قال أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم (٤) ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه أنه قال (٦) لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل وعن البراء بن عازب رضي الله عنه (٧) قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (٨) لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان اشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم (٩) قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر

(١) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين (٢) حديث أنس أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا في الثناء فقال كيف عقل الرجل الحديث ابن المحبر في العقل بتمامه وللترمذي الحكيم في النوادر مختصرا (٣) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المحبر في العقل وعنه الحارث بن أبي أسامة (٤) حديث ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٥) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٦) حديث عمر انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٧) حديث البراء كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٨) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المحبر (٩) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا

عقولهم فاعملهم بطاعة الله عزوجل أوفرهم عقلا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله (١) بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون باعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم ياعائشة وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ماعملوا يجزون وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) لكل شىء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرىء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذى ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان أحب المؤمنين الى الله عزوجل من نصب فى طاعة الله عزوجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به أيام حياته فافلح وأنجح وقال صلى الله عليه وسلم (٤) أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا

﴿ بيان حقيقة العقل واقسامه ﴾

اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه (فالاول) الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى أراده الحرث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما الا أن الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة ويقال لا فرق الا أن الله عزوجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيآت بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه

فى طاعة الله بالعقل الحديث ابن المحبر كذلك وعنه الحارث فى مسنده ورواه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذى رواه ابن المحبر (١) حديث عائشة قلت يارسول الله بأى شىء يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل الحديث المحبر والترمذى الحكيم فى النوادر بنحوه (٢) حديث ابن عباس لكل شىء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل الحديث ابن المحبر وعنه الحارث (٣) حديث ان أحب المؤمنين الى الله من فى نصب طاعة الله الحديث ابن المحبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسناد اخر ضعيف (٤) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المحبر من حديث أبى قتادة

فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وانما زدتك هذه الزيادة وان ظهر لكثير انها ليست من الغرض الذى نحن فيه فقصدى ان يعلم من ذهب من الناس ومن بقى ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم ان الصنفين الاولين من العلماء قد ذهبوا وان كان بقى منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة شعر

غاب الذين اذا ماحدثوا صدقوا * وظنهم كيقين انهم حدسوا

وذلك لما سبق فى القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد نعم وعدم الصنف الثالث على غربته وأعز شىء على وجه الارض وفى الغالب مايقع عليه فى الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به وانما الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وهم أكثر من عمر الارض وصبروا أنفسهم أوتاد

الغريزة (الثانى) هى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين أكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح فى نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم (الثالث) علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا (الرابع) ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى أن يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثانى هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثانى اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهى الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم [1] ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم [2] اذا تقرب الناس بابواب البر والاعمال الصالحة فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى الدرداء رضى الله عنه [3] ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بأبى أنت وأمى وكيف لى بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز وعن سعيد بن المسيب [4] أن عمر وابى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقى وان كان فى الدنيا خسيسا ذليلا قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر [5] انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا فى الاستعمال وانما أطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشىء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها الا فى القسم الاول والصحيح وجودها بل هى الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث اذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم فى الحلية من حديث على اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب واسناده ضعيف (٣) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قربا الحديث قاله لابى الدرداء ابن المحبر ومن طريقه الحارث بن ابى أسامة والترمذى الحكيم فى النوادر (٤) حديث ابن المسيب ان عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن المحبر (٥) انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة

وانتقاض أهل الارادة والدين شعر مثل البهائم جهال بخالقهم * لهم تصاوير لم يعرف لهن حجا كل يروم على مقدار حيلته * زوائر الاسد والنباحة اللهثا فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون شعر أولو النفاق فان قلت اصدقوا كذبوا من السفاه وان قلت اكذبوا صدقوا (ولنأخذ) فى جواب ما سألت عنه على نحو ما رغبت فيه واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريرة وهو ربى ورب كل شىء واليه المصير (ابتداء الاجوبة عن مراسم الاسئلة) جرى الرسم فى الاحياء بتقسيم التوحيد

ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها أي كل آدمي فطر على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من أعرض فنسي وهم الكفار والى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل لعلهم يتذكرون وليتذكر أولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه ٧ السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر واقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأطم منه وأعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض الآية وسمي ضده عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمي الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

(بيان تفاوت النفوس في العقل)

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال أن التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك وأما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك

٧ (قوله يستروجه) من الرواج أي يكون السماع والتقليد رائجا عنده فتأمل اهـ مصححه

التوحيد ينافي التقسيم اذ لا يخلو بأن يتعلق بوصف الواحد الذي ليس بزائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالجنس ولا بالفصل ولا بغير ذلك واما أن يتعلق بوصف المكلفين الذين توجب لهم حكمه اذا وجد فيهم فذلك ايضا لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقل وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لا يتصور فيه مذاهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين أحدهما الشرك والثاني الالباس وكلا الطرفين كفر والوسط ايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الغلل ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل ايمان جميع المؤمنين والملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المرسلين وانما تختلف طرق ايمانهم التي هي علومهم ومذاهبهم في ذلك معروف ونحن لا نلم في هذه الاجابة كلها بشيء

المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوتا في الغريزة واما تفاوتا في الممارسة فاما الاول وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى أن يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان أوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيأ فشيأ على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بأدنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور بدون التعليم كما قال تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال[1] ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ماروى أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت[2] يا ربنا هل خلقت شيأ أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومنهم من أعطي حبتين ومنهم من أعطي الثلاث والاربع ومنهم من أعطي فرقا ومنهم من أعطي وسقا ومنهم من أعطي أكثر من ذلك فان قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم

(١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث الشيرازي في الالقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الاصغر والاوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف (٢) حديث بن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يارب

من أنحاء الجدال ومقابلة الاقوال بالاقوال بل بقصد ازالة غبر الاشكال ودفع ما طعن به أهل الضلال والاضلال (واعلم) أن التقسيم على الاطلاق يستعمل على أنحاء يتوجه ههنا بشيء قدح به المعترض أو هجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من أنحائه ما تتميز به بعض الاشخاص بما اختصت به من الاحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تنفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لاجله موحدا ما دام يظن أن قلبه موافق للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ماشرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون اليه والميل الى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمي أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيا والحنبلي حنبليا.

انكم

انكم أخطأتم فى التسمية اذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الالسنة به ورسوخه فى القلب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى و يعرف صدق رسله فكيف يصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذى بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الامور وأكثر هذه التخبطات انما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الالفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول ﴾ فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الاسلام فنقول وبالله التوفيق

الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها الا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف اياهم انه فى ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه واحد قديم لا أول له أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شىء ولا هو مثل شىء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شىء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الارض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شىء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار فى دار القرار واتماما منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم (الحياة والقدرة) وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة

هل خلقت شيأ أعظم من العرش الحديث ابن المحبر من حديث أنس بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا

جدلى ونحوى وفقيه ومعناه يعرف الجدل والفقه والنحو (وأما) من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جملته حتى لا يجد فيه فضلا لغيره الاعلى طريق التبعية له ويكون شهود التوحيد لكل ما عداه سابقا له مع الذكر والفكر مصاحبا من غير ان يعتريه ذهول ولا نسيان له لا لاجل اشتغاله بغيره كالعادة فى سائر العلوم فهذا يسمى موحدا ويكون القصد بالمسمى من ذلك المبالغة فيه (فأما الصنف) الاول وهم ارباب النطق المفرد فلا يضربون فى التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شىء من أحكام أهله فى الحياة الا مادام الظن بهم ان قلب أحدهم موافق للسانه كما يفرد القول عليه بعد هذا ان شاء الله عز وجل (وأما) الصنف الثانى وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبى صلى الله

عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ (٨٠) يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يامر به ويلزم البشر قول لا اله الا الله المنبئ عنه فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذى هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهم منهم (وأما الصنف الثالث والرابع) فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها الى أنفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فراوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربى ولا سريانى ولا عبرانى ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر الى قراءته من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الالهى المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحى وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذى يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة

والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خالق الخلق واعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته (العلم) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الارضين الى اعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال (الارادة) وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر ايمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لامره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة على طاعته الا بمشيئته وارادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وان ارادته قائمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن (السمع والبصر) وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق (الكلام) وأنه تعالى متكلم امر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالالسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات (الافعال) وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم فى افعاله عادل فى أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من انس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه انشاء بعد ان لم يكن شيأ اذ كان فى الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق فى الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له اذ لا يجب عليه لاحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بايجابه على

السنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به (معنى الكلمة الثانية) وهى الشهادة للرسل بالرسالة وانه بعث النبي الأمي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشريعته الشرائع الا ما قرره وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير[1] وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة و يقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك وهما[2] فتانا القبر[3] وسؤالهما أول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر[4] وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على مايشاء[5] وان يؤمن بالميزان ذوالكفتين واللسان وصفته فى العظم انه مثل طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيآت فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله[6] وأن يؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون الى دار القرار[7] وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة اذا قبر الميت أوقال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير وفى الصحيحين من حديث أنس ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث (٢) حديث أنهما فتانا القبر واحمد وابن حبان من حديث عبد الله ابن عمر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث ان سؤالهما اول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجاه من حديث عائشة انكم تفتنون او تعذبون فى قبوركم الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر (٥) حديث الايمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم انه مثل طباق السموات والارض البيهقى فى البعث من حديث عمر قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث واصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حي قد علمنا الموازين هى الكفتان فيوضع فى هذه الشئ ويوضع فى هذه الشئ فيرجح احداهما وتخف الاخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس وأطلبنى عند الميزان ومن حديث عبد الله ابن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة الحديث وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كاطباق الدنيا كلها (٦) حديث الايمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشيخان من حديث أبى هريرة و يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعد ان الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفعه احمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث انس وضعفه وفى البعث من رواية عبيد ابن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث مايدل على انه مرفوع (٧) حديث الايمان بالحوض وانه يشرب منه المؤمنون مسلم من حديث انس فى نزول انا اعطيناك الكوثر هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة بن عامر وجندب وسهل بن سعد انا فرطكم على الحوض ومن حديث

فلو قرؤا ذلك الخط وجدوا تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه أبدية مالكه والتصريف له بالقدرة على حكم الارادة بما سبق فى ثابت العلم من غير مزيد ولا تقصير فتركوا الكتابة والمكتوب وترقوا الى معرفة الكتاب الذى احدث الاشياء وكونها ولا يخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنت بانفسها عن حوله وقوته ولا انتقلت الى الحرية عن رق استعباد فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فخلصت لهم التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد امنهم توحيد خالقها باذنه وايجاده عن غيره وعقلت أنها عقلت توحيده فسبحان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس فى وسعها أن تدركه الا به وهو اللطيف الخبير.

و بعد جواز الصراط(١) من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله اباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وان يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه الى مناقش فى الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى(٤) من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين (٥) و يسأل المبتدعة عن السنة(٦) و يسأل المسلمين عن الأعمال وان يؤمن (٧) باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد فى النار موحد وان يؤمن (٨) بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عزوجل فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة

ابن عمر أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح وقال الطبرانى كما بينكم و بين جرباء وأذرح وهو الصواب وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وعبد الله بن عمرو وحذيفة وأبى ذر وجابر بن سمرة وحارثة ابن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء(١) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله اباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله ابن عمرو ولهما من حديث أنس فيه من الاباريق عدد نجوم السماء وفى رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء(٢) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق(٣) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش فى الحساب ومسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقى فى البعث من حديث عمر فقال يارسول الله ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله و بالموت و بالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت على الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن ابن أبى بكر بعد هذه الزيادة فقال فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبى بكر بين يديه الحديث(٤) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين البخارى من حديث أبى سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته الحديث ولابن ماجه يجيء النبي يوم القيامه الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٥) حديث سؤال المبتدعة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشئ من القدر سئل عنه يوم القيامة ومن حديث أبى هريرة ما من داع يدعو الى شئ الا وقف يوم القيامة لازما لدعوته ما دعا اليه وان دعا رجل رجلا واسنادهما ضعيف(٦) حديث سؤال المسلمين عن الاعمال أصحاب السنن من حديث أبى هريرة ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتى فى الصلاة (٧) حديث أخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة ان يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيأ ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا اله الا الله الحديث(٨) حديث شفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع

لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم المقربون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم ان عرف به موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون و بينهما تفاوت كثير (وأما طريق) معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء باسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أمر التوحيد بأحد الانحاء المذكورة عنده فأما من عدمت عنده فهو كافر ان كان فى زمن الدعوة وعلى قرب يمكن وصول علمها اليه أوفى فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعد عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخلو ان يكون مقلدا فى عقده أو عالما به والمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية فى الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد ان يكون بلغ الغاية التى اعدت لصنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب

رضى

رضى الله عنهم وترتيبهم وأن (١) أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم (٢) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة و يثنى عليهم كما أثنى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

﴿الفصل الثانى﴾ فى وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم الى الصبي فى أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيأ فشيأ فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل فى الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه فى أول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء على معنى أنه يقبل الازالة بنقيضه لو ألقى اليه فلابد من تقويته واثباته فى نفس الصبي والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق فى تقويته واثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه و يشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه و بما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها و بما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها و بما يسرى اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالقاء بذر فى الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر و يقوى و يرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء و ينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك و يفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق فى التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شىء والاستدلال بالنظر شىء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق اذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه أصلا وان

يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم فى العلم وللشيخين من حديث أبى سعيد الخدرى من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان فأخرجوه وفى رواية من خير فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث (١) حديث أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على البخارى من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبى داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم زاد الطبرانى و يسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٢) حديث احسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى وللشيخين من حديث أبى سعيد لا تسبوا أصحابى وللطبرانى من حديث ابن مسعود اذا ذكر أصحابى

من البلوغ فالذى لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التى اعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا تقسيم ظاهر الصحة اذ هو دائر بين النفى والاثبات ومحصور بين المبادىء والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الاولى فى شىء من تصحيح هذا التقسيم اذ ليس هم من أهله الا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لابد من الوفاء بما وعدناك به من ابداء بحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله حقيقة كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والامكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه لا يتصورون صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه

أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه ﴿ مسئلة ﴾ فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم وهو مباح واليه مندوب فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قائل أنه بدعة وحرام وان العبد ان لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل أنه واجب وفرض أما على الكفاية او على الاعيان وأنه أفضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى والى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الاعلى رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن احكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ماظننته قط ولان يبتلي العبد بكل مانهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد واصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال أيضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بانه من أهل الكلام ولا دين له قال الزعفراني قال الشافعي حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحرث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال له ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة وقال مالك رحمه الله أرأيت ان جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضا لا تجوز شهادة أهل البدع والاهواء فقال بعض أصحابه في تأويله أنه أراد بأهل الاهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الاهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ماسكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني عليه

فامسكوا

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود

ولا خطا دولا صوابه اذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه امالبعدهمتهم وقلة اكتراثهم وأما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدولهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموها فارقوا راحات أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وان لم يلتزموا شيأ من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أي يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه مخافة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الاطعمة والاشربة والانكحة أو كثير منها فيحتاج الى أن يتركها أو يرتكبها على رقبه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأسا فسائل هذا الصنف عن معنى مانطقوا به وهل اعتقدوه فيقولوا [illegible] اعتقد ومادعانا

على

وعلى أربابه (١) فقد علمهم الاستنجاء (٢) وندبهم الى علم الفرائض وأثنى عليهم (٣) ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال امسكوا عن القدر وعلى هذا استمر الصحابة رضى الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة وأما الفرقة الاخرى فاحتجوا بان قالوا ان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة رضى الله عنهم فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد أحدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع الى جميع الاسئلة التى تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء ومايفضى اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لايمنع من العلم لاجل أدائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وقال تعالى قل هل عندكم من سلطان بهذا أى حجة و برهان وقال تعالى قل فلله الحجة البالغة وقال تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه الى قوله فبهت الذى كفر اذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته وافحامه خصمه فى معرض الثناء عليه وقال عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقال تعالى قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال تعالى فى قصة فرعون ومارب العالمين الى قوله أولوجئتك بشىء مبين وعلى الجملة فالقرآن من أوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين فى التوحيد قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفى النبوة وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وفى البعث قل يحييها الذى أنشأها أول مرة الى غير ذلك من الآيات والادلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين و يجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن فالصحابة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين و يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على بن أبى طالب رضى الله عنه اذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال ماتنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك فى قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ماتستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الايمان قال عبد الله لو قلت انى مؤمن لقلت انى فى الجنة فقال له يزيد بن عميرة ياصاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها منى زلة فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة فلو طال اشكال الخصم أو الجاجه لطال لامحالة الزامهم وما كانوا

(١) حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنجاء مسلم من حديث سلمان الفارسى (٢) حديث ندبهم الى علم الفرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبى هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللترمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت (٣) حديث نهاهم عن الكلام فى القدر وقال امسكوا تقدم فى العلم

الى النطق الا مساعدة الجماهير وانخراطا باظهار القول فى الجم الغفير ولا نعرف هل ماقلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولاشك ان هذا الصنف الذى أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسألة الملكين أحدهم فى القبر اذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيقولان له لادريت ولاتليت وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والمرتاب والصنف الثانى نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا الى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابية طائفة من الشيعة القدماء أن عليا هو الاله و بلغ أمرهم عليا رضى الله عنه وكانوا فى فى زمنه فحرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا النكير و يسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة

يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما ادخار اليوم وقوعها وان كان نادرا أو تشحيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين * فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكأكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات الى أغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالأولى والابعد عن الالتباس أن يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب اليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان الا اذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك ان الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة * وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي

اعتقدوها

كلها في الجنة الا الزنادقة والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار واذا رجعوا الى أهل الالحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون * الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد وما نشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا الينا أو وصل اليهم أحد منا خوطبوا بالامر المقتضي للنطق بالشهادتين والاقرار بهما فقالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق فامهلوا أن يظهروا الرضا ويفهموا بلا مهلة فيسكنوا الي

اعتقدها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذى ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضر محض فى حقهم اذ ربما يثير لهم شكا و يزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح وأما العامى المعتقد للبدعة فينبغى ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامى اذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من وقع فى شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل انما ينفع فى موضع واحد وهو أن يفرض عامى اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه منها الادواء الجدل فجاز أن يلقى اليه وأما فى بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذى ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس ان يرقى منه الى القدر الذى ذكرناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان أقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه الى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الاكوان وعن الادراكات وعن الخوض فى الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وان كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثانى زيادة تقرير لتلك الادلة فى غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التى يذم فيها والحال التى يحمد فيها والشخص الذى لا ينتفع به والشخص الذى ينتفع به فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه فى دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضى الله عنهم فان الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم أن الحق أنه لا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم ينبغى أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال احداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام

ماقيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها فاخترم احدهم من حينه من قبل ان يأتى منه استفهام أو تصور يمكن أن يكون له معه معتقد فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف فى الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة أن يدعوا الى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاذاة ثم يدعوا الى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهيمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا فى الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود فى النار ولا بعد ان هذا الصنف باسره أعنى المخترم قبل تحصيله العقد مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى فرغبت

وازالة الشكوك اذا عرضت * والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع
بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه * والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى
ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي
بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا
المتعلم أكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان هذه الحجة المحمودة في الكلام انما هي من جنس
حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات
التي لا يفهمها أكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله
في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي
نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من
المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الاعصار
في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال
عنها وحفظها فاما ازالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليه وادراك الاسرار التي يترجمها
ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب
التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله *(مسئلة)* فان
قلت هذا الكلام يشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة
والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون
مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم ان انقسام
هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكر القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيأ
وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شأو العلاء ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله
عليه وسلم (١) ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره ان ههنا علوما جمة
لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) نحن معاشر الانبياء أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال صلى الله
عليه وسلم (٣) ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون وقال صلى الله عليه وسلم (٤) ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العالمون بالله تعالى
الحديث الى آخره كما أوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم (٥) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن ادراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك انهم
كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال ابو هريرة رضي الله
عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين اما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم
وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره رضي الله عنه ولا شك

(١) حديث ان للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث ان من العلم كهيئة المكنون الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجاه من حديث عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم

في

شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتي وهو ارحم الراحمين فيخرج من النار اقواما لم يعملوا حسنة قط و يدخلون
الجنة ويكون في أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله عز وجل والحديث يطول وهو صحيح وانما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الاول والثاني والثالث أجمعين ان لا يجب لهم حرمة ولا يكون لهم عصمة ولا ينسبون الى ايمان ولا اسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين فان عثر عليهم في الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صابرون الى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون *(فصل)* ولما كان اللفظ المنبئ على التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع به في حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه
بسببه نجاة الا مدة حياته عن السيف أن يراق دمه واليدان تسلط على ماله

فى ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خفيا بظواهره على غيره وقال سهل التسترى رضى الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء سر لو أظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وان الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة ﴿مسئلة﴾ فان قلت هذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفى والجلى واحدا فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التى ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الاعمال لما أوردناه فى هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه فى الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلابد من كلام وجيز فى حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان بل الاسرار التى يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون فى علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة أقسام القسم الاول أن يكون الشىء فى نفسه دقيقا تكل أكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه الى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح(1) وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شئ لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبى او العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر الا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحويمه

أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم فى العلم (1) حديث كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيأ الحديث

مجالس الطعام ولا تشتهيه النفوس الامادام منطويا على معظمه صونا على لبه فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشىء ولم يبق فيه غرض لاحد وهذا لا خفاء فى صحته والغرض بالتمثيل تقريب ماغمض الى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يكون مطابقا للواحد المراد منه ﴿فصل﴾ فان قلت فما الذى صد هؤلاء الاصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله وهم فى الظاهر قادرون على ذلك وما المانع الخفى الذى منعهم

على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وليس المعنى انى اعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ماعرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته * ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الافهام عن ادراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم (٢) ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره * القسم الثانى من الخفيات التى تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ماهو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من افشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وارادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوم اذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر ولو أفشى لاوهم عند أكثر الخلق عجزا اذ تقصر أفهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم * القسم الثالث * أن يكون الشئ بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر فى أعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق اذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ومن هذا قال الشاعر

رجلان خياط وآخر حائك * متقابلان على السماك الاعزل

لازال ينسج ذاك خرقة مدبر * ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أومثله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (٣) ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير

(١) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى سجوده (٢) حديث ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بين الله و بين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور واسناده ضعيف وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال أن بينى و بينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ولابن ماجه شئ أدركه بصره (٣) حديث ان المسجد لينزوى من النخامة الحديث لم أجد له أصلا

يخاف من التوغل فيها أن يخرج من المقصد ولكن لابد اذا وقع فى الاسماع ووعته قلوب الطالبين واشتاقت الى سماع الجواب عنه أن نوردفى ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله وقوته نعم ما سبق فى العلم القديم لا تجرى بخلافه المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالاخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليهم والملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه السلام والقلوب بيوت تولى الله بناءها بيده وأعدها لان تكون خزائن علمه ومشارق مكنوناته ومهبط ملائكته ومغاشى أنواره ومهاب نفحاته ومجال مكاشفته ومجارى رحمته وهي أهل لتحصيل المعرفة به فمتى كان فيها شئ من

له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (١) أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم (٢) قلب المؤمن بين أصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم انها كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالأصابع عن القدرة لان ذلك أعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل في كنايته عن الاقتدار قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية وان معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الاودية هي القلوب وان بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فانه وان ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرها وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر

(القسم الرابع) أن يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابساله فيتفاوت العلمان و يكون الاول كالقشر والثاني كاللباب والاول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضدا للاول بل هو استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام

(القسم الخامس) أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر و يعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى أن يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه أنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر فيه الى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبدالله بن عمرو

تلك الاخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة والم ينزل عليها شيء من الخير من قبله اذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والموصلون اليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الاخلاق المذمومة التي حلت فيهم وهي التي ذم الكلاب لاجلها لما احترمت الملائكة باذن الله عن حلولها فيها وهي لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها فحيثما حلت حل الخير في ذلك القلب بحلولها وانما هي لما فحيثما وجدت قلبا خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم ٧ نظير على الملائكة مازعجها عنه من تلك الاخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فان كان البيت كثيرا لاتساع كثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلئ البيت من متاعها وجهازها وهو الايمان بالله والصلاح

به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال * وفي كل شيء له آية * تدل على انه الواحد * وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك مامن شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله زعموا ان ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تأويل قوله كن فيكون وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول انه حسم باب التأويل الا لثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم (١) الحجر الاسود يمين الله في ارضه وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله صلى الله عليه وسلم (٢) انى لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب أرباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط لو جاوز حد الاقتصاد اذ حد ماجاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمروها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ماورد في الآخر وردوه الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم أسرار الامور على ماهي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ماشاهدوه بنور اليقين قرروه وماخالف أولوه فاما من يأخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له فقد انكشف بهذا الاقسام الخمسة

---

(١) حديث الحجر يمين الله في الارض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ورجاله ثقات

ومضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد الا في الكلاب وهو متاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المحل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد انشراحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى (فان قلت) فميزلي أصناف هذه الاخلاق المذمومة التي صدت هؤلاء الاصناف المذكورين عن اعتقاد الايمان ونفرت الملائكة عن النزول الى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنعهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيئا من الخيرات الكائن معها فاعلم ان الاخلاق التي

أمور كثيرة وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لايكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ماحررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

﴿الفصل الثالث﴾ من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فنقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ان لم تتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات أفعاله واثبات صدق الرسول وعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول الركن الاول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه يرى وانه واحد الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة الركن الثالث في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تعالى تكليف مالا يطاق وان له ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة اصول وهي اثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة وان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الامامة

﴿فان الركن الاول من اركان الايمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى
وان الله تعالى واحد ومداره على عشرة اصول﴾

﴿الاصل الاول﴾ معرفة وجوده تعالى وأول مايستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون الى قوله للمقوين فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل اذا تأمل بادنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى أفي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء

لايجتمع معها الملائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها معظمها وهي الطمع في غير خطير والحرص على فان حقير أما الصنف الاول فانهم رجعوا وخافوا ان تبدوا لهم صحة ما يشغلهم عن لذاتهم وينغص عليهم ما رغبوا فيه من راحاتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أمرهم على ماهم عليه وأما الصنف الثاني والثالث فصدهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألفوه من تبجيل أحدهم ان يزول ومؤانسة اشياعهم ان تتغير وتذهب ومواساة ايلافهم تنقطع واستثقالا لما يشاهدونه من أهل الايمان ان يلتزموه وفرارا من شرائطه وما يصحبه من الأعمال والوظائف اذ يمتثلوه والكلب ماذم لصورته وانما ذم بهذه الاخلاق التي هي الطمع في الخسائس والجزع من الصبر على مابعده من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب فان قلت فكيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل اذا

صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما أمروا أن يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفى عنفوان شبابهم ولذا قال الله عزوجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا فى فطرة الانسان وشواهد القرآن مايغنى عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بدائة العقول أن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغنى فى حدوثه عن سبب أما قولنا ان الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب فجلى فان كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ماقبله ومابعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه أن اجسام العالم لا تخلوا عن الحركة والسكون وهما حادثان ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففى هذا البرهان ثلاث دعاوى الاولى قولنا ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا الثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الاجسام ماشوهد منها ومالم يشاهد فمامن ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته ومامن متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارىء منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ماسيأتى بيانه وبرهانه فى اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس الثالثة قولنا مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه لولم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولولم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهى النوبة الى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء مالانهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لانهاية لها لكان لا يخلوا عددها عن أن تكون شفعا أووترا أو شفعا ووترا جميعا اولا شفعا ولا وترا ومحال أن تكون شفعا ووترا جميعا أولا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفى والاثبات اذ فى اثبات أحدهما نفى الآخر وفى نفى أحدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد وكيف يعوز مالانهاية له واحد ومحال أن يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لانهاية لاعدادها ومحال ان يكون لا شفعا ولا وترا اذ له نهاية فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث ومالا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة ﴿الاصل الثانى﴾ العلم بان الله تعالى قديم لم يزل أزلى ليس لوجوده أول بل هو أول كل شىء وقبل كل ميت وحى وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى مالانهاية وماتسلسل لم يتحصل أو ينتهى الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه ﴿الاصل الثالث﴾ العلم بانه تعالى مع كونه أزليا أبدى ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر والباطن لان ماثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلوا اما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شىء يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شىء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده فان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث ﴿الاصل الرابع﴾ العلم بانه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلوا من أن يكون ساكنا فيه أومتحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان ومالا يخلوا عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا

كانت الشياطين لاتفارق قلب الكافر والعاصى والضال بما تثبتون من الاخلاق المذمومة التى هى كلاب نابحة وذئاب عادية وسباع ضارية وأصناف الخير انما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهى لاتدخل موضعا يحل فيه شىء مما ذكرنا واذا لم تدخل لم يصل الى الخير الذى يكون معها ولم تصل اليه فعلى هـذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له الى الايمان على هذا المفهوم فاعلم ان هذا يستدعى اصنافا من علم القلوب ولا سبيل الى ذلك فى مثل هذا المقام المعلوم والقول والمعنى فى جواب ماسألت عنه ان للشيطان غفلات وللاخلاق المذمومة عدمات كما ان الملائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك كما أعلمتك قلبا خاليا ولو زمنا فوردخل فيه وأرواه ماعنده من الخير فان صادف منه قبولا

من

ولمعرض عليه من الخبر تشوقا ونزوعا أورد عليه مايملا ويستغرق لبه وان صادف منه صحوا وسمع منه بجنود الشياطين

من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ﴿ الاصل الخامس ﴾ العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جواهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولوجاز ان يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر أو لشئ آخر من أقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا فى الاسم مع الاصابة فى نفى معنى الجسم ﴿ الاصل السادس ﴾ العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محل لان العرض ما يحل فى الجسم فكل جسم فهو حادث لامحالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا فى الجسم وقد كان موجودا فى الازل وحده وما معه غيره ثم أحدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتى بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر وأعراض واجسام فاذا لا يشبه شيأ ولا يشبهه شئ بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شئ وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته ﴿ الاصل السابع ﴾ العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة أما فوق وأما أسفل وأما يمين وأما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس واسم السفل لما يلى جهة الرجل حتى ان النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا وان كان فى حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما أقوى من الاخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التى يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان فى الازل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن له أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق اذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت اذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذياله وكل محاذ لجسم فاما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الايدى عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه أيضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ﴿ الأصل الثامن ﴾ العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذى لا ينافى وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذى أريد بالاستواء الى السماء حيث قال فى القرآن ثم استوى الى السماء وهى دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ✽ من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل الى تأويل قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم اذ حمل ذلك

استغاثة بالاخلاق الكلابية استعانة رجل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا لب عن لمة ملك أو نزغة شيطان (فان قلت) فاى بيت فهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وأى كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت الآبن وكلب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته ان المقصود بالاخبار هو بيت الآبن وكلب الحيوان معلوم ولا يبتك فى ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه ويتخطى منه الى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر فى ذلك اذا دل عليه العلم وجملة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستضاءة ولم

تصادم به شيأ من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب

بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله فى أرضه على التشريف والاكرام لانه لوترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لوترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال ومايؤدى الى المحال فهو محال ﴿الاصل التاسع﴾ العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئى بالاعين والابصار فى الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى فى الدنيا تصديقا لقوله عزوجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله تعالى خطاب موسى عليه السلام لن ترانى وليت شعري كيف عرف المعتزلى من صفات رب الارباب ماجهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوى البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء أولى من الجهل بالانبياء صلوات الله عليهم وأما وجه أجراء آية الرؤية على الظاهر فهو انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز ان يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك ﴿الاصل العاشر﴾ العلم بان الله عزوجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثانى ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

﴿الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول﴾

﴿الاصل الاول﴾ العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى فى قوله وهو على كل شىء قدير صادق لان العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطاريز والتطاريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل ﴿الاصل الثانى﴾ العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء صادق فى قوله وهو بكل شىء عليم ومرشد الى صدقه بقوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أرشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم بانك لا تستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشىء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف ﴿الاصل الثالث﴾ العلم بكونه عزوجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات ﴿الاصل الرابع﴾ العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو المبدىء المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى أحد المقدورين ولو أغنى العلم عن الارادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده فيه ﴿الاصل الخامس﴾ العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع

النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع وحامل فقه الى من هو أفقه منه (سؤال) فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة وعلم السبب الذى جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه الى مثل ما ترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون واتبعنا هذا الباب ما يقرب منه ويبعد علينا التخلص عنه نعم يترقى منه الى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منها عليه وهو ان الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نبه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ونقص ادراك من دان به حين قال مخبرا

وكيف

وكيف تعتدل القسمة مهماوقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة ابراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبدمالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن اذ لافرق بينهما ﴿الاصل السادس﴾ أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم

ان الكلام لفي الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن مايحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سبحانه سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فماله من هاد ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل أن يرى ماليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ماعقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والارض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة فيعقل كون الكلام مقروأ بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولاحترق ﴿الاصل السابع﴾ أن الكلام القائم بنفسه قديم وهكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم مايجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لايخلو عنها ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبتت نعة الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب ابيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عزوجل اخلع نعليك بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم ﴿الاصل الثامن﴾ ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته ومايحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعالى ﴿الاصل التاسع﴾ ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة أخرى وكذلك الارادة الاخرى تفتقر

بيت فيه صورة لاجل ان فيه ما عبد من دون الله سبحانه أو ماحكى به ماهو على مثاله و يترقى من ذلك المعنى الى ان القلب الذي هو بيت بناه الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا للذكر ومعرفة عبادته وحده دون غيره فاذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضا (فان قيل) فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تعليلا ينبغي ان لا يقتضي الامنافرة ماعبد أوما نحت على مثاله قلنا تشابهت الصور المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها التصوير لاجله وهو مضارعة ذي الارواح وما نحت للعبادة انما قصد

به تشبيه ذي روح فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة

الى اخرى و يتسلسل الامر الى غير نهاية ولوجاز أن يحدث ارادة بغير ارادة لجاز أن يحدث العالم بغير ارادة ﴿الاصل العاشر﴾ ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع و بصير يبصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذلا فرق بين هذه الاوصاف

﴿ الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول ﴾

﴿الاصل الاول﴾ العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي قوله تعالى وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وأسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع و يصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض والسموات

﴿الاصل الثاني﴾ ان انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا و بقدرة العبد على وجه اخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها ﴿الاصل الثالث﴾ ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته و بارادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء و يهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة العدو ابليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجاري على وفق ارادة العدو أكثر من الجاري على وفق ارادته تعالى فليت شعري كيف يستجير المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم

في

منافرة للملائكة (فان قيل) فاوجه الترخيص فيما رقم في ثوب فذلك لانها ليست مقصودة في نفسها وانما المقصود الثوب الذي رقمت فيه (فان قيل) فما بال الثياب رخص في محاكاتها بالتصوير وذات انواط في العرب مشهورة معلومة فاعلم ان ذات أنواط انما كانت شجرة في ايام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما في السنة فاخر ثيابها وحلي نسائها لاجل اجتماعها عندها وراحتها في ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل المنحوتة والاصنام ولو كان ذلك ما سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حتى أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والمسيح عليه السلام وعلي رضي الله عنه ولم يعبدوا ما نحت على شكل النبات

فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد اظهار حجته بان يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال ﴿الاصل الرابع﴾ ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهى وكيف يتهدف لايجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين اما الفعل الذى فى تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت واما أن يراد به الذى يؤدى عدمه الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدى الى محال وهو أن يصير العلم جهلا فان أراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه للضرر وان أراد به المعنى الثانى فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى ثم ان مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة فاما أن يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العتاب وهول العرض والحساب فما فى ذلك غبطة عند ذوى الالباب ﴿الاصل الخامس﴾ أنه يجوز على الله سبحانه ان يكلف الخلق مالا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بان يأمره بان يصدقه فى جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه فى أنه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده ﴿الاصل السادس﴾ ان لله عز وجل ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف فى ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير اذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه فنقول من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان المراد به أنه لا يتضرر بتركه فهو محال وان أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم اذا خرج عن المعانى المذكورة للواجب ﴿الاصل السابع﴾ انه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شئ بل لا يعقل فى حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله ان الاصلح واجب عليه فى مسئلة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة فى الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فان الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلى فلو قال الصبي يارب لم رفعت منزلته على فيقول لانه بلغ واجتهد فى الطاعات ويقول الصبي انت أمتنى فى الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتى حتى أبلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل فى التفضل عليه بطول العمر له دونى فلم فضلته فيقول الله تعالى لانى علمت انك لو بلغت لاشركت أو عصيت فكان الاصلح لك الموت فى الصبا هذا عذر المعتزلى عن الله عز وجل وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون يارب اما علمت اننا اذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا فى الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك

فلم تعبد من هذه الاذات روح فما ابعد عن درها من حرمه الله تعالى اياها فله الحمد وهو اهله

(بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد) وأما أهل الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالادلة وشده بالبراهين فقد انقسموا فى الوجود الى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروه فى أنفسهم ولكنهم غير عارفين باستدلال على ما اعتقدوا وذلك لفرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتياص طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم الموحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثير على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضى الله عنهم ثم لم يبلغنا انه اعترض احد اسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمعروف عنه ولا كلفوا مع قصور فهمهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة ترك البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ما هم عليه.

وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان أهل الاعتزال بان قيل مهما قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى انه يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه و يستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور منه التصرف فى ملك الغير وان أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشبيه يشهد بخلافه ماقد فرضناه من مخاصمة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء القادر على أحكام فعلها على وفق ارادته و هذا من أين يوجب رعاية الاصلح وانما الحكيم منا يراعى الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى ﴿الاصل الثامن﴾ أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل وان أوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث وأما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو ما أن يرجع الى المعبود وذلك محال فى حقه تعالى فانه يتقدس عن الاعراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان وأما أن يرجع ذلك الى غرض العبد وهو أيضا محال لانه لا غرض له فى الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه وليس فى المآل الا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان اذ ليس له الى أحدهما ميل ولا به لاحدهما اختصاص وانما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لماله من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى الا بالنظر ولست أقدم على النظر أدى ذلك الى افحام الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائى ولا ألتفت ورائى ولا أنظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادى المرشد فكذلك النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفوا الى صدقى بالالتفات الى معجزتى والا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على ان هلك الناس كلهم أجمعون وانما على البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله فى المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا ان فى تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدى الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة ﴿الأصل التاسع﴾ أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة فى بعثتهم اذ فى العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدى الى الافعال المنجية فى الآخرة كما لا يهدى الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة و يعرف صدق النبي بالمعجزة ﴿الأصل العاشر﴾ ان الله سبحانه قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع

اليهود

وهؤلاء عندي معذورون يبعدهم ومقبولون بما توافقوا عليه من اقرارهم وعقدهم والله سبحانه قد عذرهم مع غيرهم بقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآيات بحال وسنبدى لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله عز وجل والصنف الثانى اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدت مع ذلك أنواعا من المخاييل قام فى مخيلتها انها أدلة وطأتها براهين وليست كذلك وقد وقع فى هذا كثير ممن يشار اليه فضلا عمن دونهم فان وقع الى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخاييل بالقدح ويبطلها عليهم بالمعارضة أو الاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا لما يأتى به ويترفعوا الى أن يجاوبوه لما يحملهم عليه من سوء الفهم أو رداءة الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك المخاييل

اليهود والنصارى والصابئين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة (١) كانشقاق القمر (٢) وتسبيح الحصى (٣) وانطاق العجماء وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التى تحدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا السبيه ونهبه وقتله واخراجه كما أخبر الله عزوجل عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القران اذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع مافيه من أخبار الاولين مع كونه امياغير ممارس للكتب والانباء عن الغيب فى أمور تحقق صدقه فيها فى الاستقبال كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدى النبي صلى الله عليه وسلم ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدى الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضرورى بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت

﴿ الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول ﴾

﴿الأصل الاول﴾ (٤) الحشر والنشر وقد رد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لانه فى العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عزوجل ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول ﴿الأصل الثانى﴾ (٥) سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعى الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذى به فهم الخطاب وذلك ممكن فى نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) يسمع كلام جبرائيل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه ﴿الاصل الثالث﴾ (٧) عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسبيح الحصا البيهقى فى دلائل النبوة من حديث أبى ذر وقال صالح بن أبى الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بنى سليم لم يسم عن أبى ذر (٣) حديث انطاق العجماء أحمد والبيهقى باسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة فى البعير الذى شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد فى كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقى فى الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس انكم لمحشورون الى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أبى هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفتنا فى بيت المقدس وأرض المحشر والمنشر الحديث واسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ياعائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الاغلب والا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم (٧) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجاه من حديث أبى هريرة وعائشة وقد تقدم

من يكون دليله خبراله ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمرى انهم ينبغى اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا فى شيء من الضلال أن يتركوا على ماهم عليه ولا يحركوا بامر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون اذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ فى نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقعوا فى تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلمها من أغذية النفوس فمن رغب فى أكلتها لم يقنع بدونها واذا حصل له ذلك قوى به ومن قنع بايسرها ولم تطمح همته الى ما هو أعلى من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيف وانما يهلك من لا بلغة له لا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابة بمن جاء بمضرة بدعة وسموم كفر فلا تذهل

على اعادة الادراك اليها ﴿الاصل الرابع﴾ الميزان وهو حق قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه الآية ووجهه ان الله تعالى يحدث فى صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب ﴿الأصل الخامس﴾ الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الانسان على الصراط ﴿الأصل السادس﴾ أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فقوله تعالى أعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذلا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴿الأصل السابع﴾ أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام أصلا اذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود فى البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن أبو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجرىء على اختراعه الا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الامامة اذ ظن على رضى الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى الى اضطراب أمر الامامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية ان تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة و يعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة على ذو تحصيل أصلا ﴿الأصل الثامن﴾ ان فضل الصحابة رضى الله عنهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة وانما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الاحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ﴿الأصل التاسع﴾ أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم (٢) الأئمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق ﴿الاصل العاشر﴾ أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان فى صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذى يبنى قصرا ويهدم مصرا او بين أن نحكم بخلو البلاد عن الامام و بفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الأربعة الحاوية للاصول الأربعين هى قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يسددنا بتوفيقه و يهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى

(١) حديث الثناء على الصحابة تقدم (٢) حديث الأئمة من قريش النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر

عما يشار لك اليه وانما المرغوب تنبيهك والله المستعان وقلما بين الصنف الثانى والاول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا غير انهم أوثق رباطا من الاولين لان أولئك ان وقع اليهم من شككهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء فى الاغلب لا سبيل الى انحلال عقودهم اذ لا يرون أنفسهم انهم مقلدون وانما يظنون انهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا * والصنف الثالث أقروا واعتقدوا كفعل الذين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ مالو نظروا لعلموا ولو استدلوا لتحققوا ولو طلبوا لادركوا سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا الى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستثقلوا الاعمال الموصلة اليه وقنعوا بالقعود فى

(الفصل)

﴿الفصل الرابع من قواعد العقائد﴾ فى الايمان والاسلام ومابينهما من الاتصال والانفصال ومايتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل ﴿مسئلة﴾ اختلفوا فى ان الاسلام هو الايمان أوغيره وان كان غيره فهل هومنفصل عنه يوجد دونه أومرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيآن لايتوصلان وقيل انهما شيآن ولكن يرتبط أحدهما بالآخر وقد أورد ابو طالب المكى فى هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل مالا تحصيل له فنقول فى هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين فى اللغة و بحث عن المراد بهما فى اطلاق الشرع و بحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة والبحث الاول لغوى والثانى تفسيرى والثالث فقهى شرعى ﴿البحث الاول﴾ فى موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وماأنت بمؤمن لنا أى بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام فى القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام أعم والايمان أخص فكان الايمان عبارة عن أشرف اجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا ﴿البحث الثانى﴾ عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل أما الترادف ففى قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم (١) بنى الاسلام على خمس (٢) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ومعناه استسلمنا فى الظاهر فاراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط و بالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفى حديث جبرائيل عليه السلام (٣) لماسأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرة بالبعث بعد الموت و بالحساب و بالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فاجاب بذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفى الحديث عن سعد انه صلى الله عليه وسلم (٤) أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهومؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أومسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما التداخل فماروى أيضا انه سئل (٥) فقيل أى الاعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الايمان وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة لان الايمان عمل من الاعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير

---

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الايمان فاجاب بهذه الخمس البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس تدرون ما الايمان شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث فى الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا خمسا من المغنم (٣) حديث جبريل لماسأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقى فى البعث وقد تقدم (٤) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهومؤمن فقال أومسلم الحديث أخرجاه بنحوه (٥) حديث سئل أى الاعمال افضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الايمان أحمد والطبرانى من حديث عمرو بن عنبسة بالشطر الاخير قال رجل يارسول الله أى الاسلام أفضل قال الايمان واسناده صحيح

حضيض الجهل فهؤلاء فيهم اشكال عند كثير من الناس فى البديهة و يتردد حالهم فى النظر وهل يسمون عصاة او غير ذلك يحتاج الى تمهيد اخر ليس هذا مقامه والالتفات الى هذا الصنف اوجب خلاف المتكلمين فى العوام على الاطلاق من غير تفريق بين بليد ومتيقظ وفطن فمنهم من لم يرأنهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم انهم اطلقوا اسم الكفر عليهم ولعلك تقول ان مذهبهم المشهور أن المحل لايخلوا عن الصفات الا الى ضدها فمن لم يحكم له بالايمان حكم عليه بالكفر كما ان من لم يحكم له بالحركة حكم عليه بالسكون وكذلك الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ماله من الصفات قلنا فلئن صح ذلك فى الصفات التى هى اعراض فقد لا يصح فى الاوصاف التى هى أحكام الايمان والفكر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الاعراض وانما ذكرت لك هذا فى معرض الشك فى شموب مانورد

خارج عن طريق التجوز فى اللغة اما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد أومسلم لانه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسلمين وأما التداخل فهو موافق أيضا للغة فى خصوص الايمان وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض مادخل فى الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان فى جواب قول السائل أى الاسلام أفضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف فى الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر فى معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين *(البحث الثالث)* عن الحكم الشرعى للاسلام والايمان حكمان أخروى ودنيوى أما الاخروى فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد اختلفوا فى ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قائل انه مجرد العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف فى ان مستقره الجنة وهذه درجة * والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل فى الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار وهذا باطل كما سنذكره * الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا فى حكمه فقال ابو طالب المكى العمل بالجوارح من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل فى حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع فى هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم (٢) لا يكفر احد الا بعد جحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو فى الجنة فلا بد ان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقى حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد فى النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا فى وجوده ولا فى

---

(١) حديث يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان اخرجاه من حديث ابى سعيد الخدرى فى الشفاعة وفيه اذهبوا لمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فاخرجوه الحديث ولهما من حديث انس فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة اوخردلة من ايمان لفظ البخارى منهما وله تعليقا من حديث انس يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من ايمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان ايمان (٢) حديث لا تكفروا أحدا الا بجحوده بما اقر به الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد لن يخرج أحد من الايمان الا بجحوده مادخل فيه واسناده ضعيف

على ذلك ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن اوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة فى الشرع جار على هذا النحو وهؤلاء لم يخالفوا المذكورين قبلهم لان أولئك سلبوا الايمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الايمان لمن اضافوا اليه المعرفة المشروطة فى صحة الايمان وانما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم انهم ألموا بقول من جعل المعارف كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا انما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لانهم اذا نبهوا وعرض عليهم ماقرب من الالفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار الى المحدث بعد لاعتقدوا وعدوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك واعلم

آن من يقول ان المعارف كلها ضرورية هكذا يقول انما افتقر الناس الى النسبة ولم يتدربوا على العبارة على

استحقاق الجنة به وان قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شئ من الاعمال الشرعية فنقول فاضبط تلك المدة وماعدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الايمان وماعدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر أصلا * الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالاعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه و بين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد فى النار ولم يشترط فى حديث جبرائيل عليه السلام للايمان الا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق * الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب و يساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد فى النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلابد أن يكون الايمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان أن الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس كلمتا الشهادة أخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والاول أظهر وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم * الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك فى ان هذا فى حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد فى النار ولا نشك فى أنه فى حكم الدنيا الذى يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ماقاله بلسانه الا وهو منطو عليه فى قلبه وانما نشك فى أمر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه و بين الله تعالى وذلك بان يموت له فى الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى و يقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن فى يدى فهل يحل لى بينى و بين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه اعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً و باطنا و يحتمل أن يقال تناط بالظاهر فى حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره و باطنه ظاهر له فى نفسه بينه و بين الله تعالى والاظهر والعلم عند الله تعالى انه لا يحل له ذلك الميراث و يلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وان كان من العبادات والتوقى عن الحرام أيضا من جملة مايجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو مايشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغى أن يظن القاصر فى العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده فى فن الكلام الذى يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر الى العادات والمراسم فى العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان أتى بكل المعاصى لقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون الآية ولقوله تعالى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ فقوله كلما ألقى فيها فوج عام فينبغى أن يكون كل من ألقى فى النار مكذبا ولقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفى ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون فالايمان رأس الحسنات ولقوله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا حجة لهم فى ذلك فانه حيث ذكر

مواضع العلوم والافهام اذا نبهوا عليها وتلطف بهم فى تفهيمها بالزوال الى ماألفوه من العبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا الى الفيئة ومثال هذا كمن نسى شيأ كان معه أو انسانا نصحه أو رآه فنسيه وغفل عنه لاجل غيبته ثم رآه بعد ذلك فذكر فانه يقال بدالانه كان عارفا بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ماوجد عدم الانكار وسرعة الالفة عنه وطائفة من المتكلمين ايضا أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق واولى بالصواب ليس من غرضنا فى هذه المواضع وانما غرضنا

 تبعيد ماشاعه فى الاحياء أهل الغلول والاغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد

الايمان في هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل اذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة[1] بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالاشقى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع للاشعري وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ظهور قرينة تدل على معناها * وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالايمان وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقوله تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا وقوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع أجر أصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا أي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الانسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه انسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية ﴿مسئلة﴾ فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فاقول السلف هم الشهود العدول ومالأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من

(١) حديث تعذيب العصاة البخاري من حديث أنس ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب اصابوها الحديث ويأتي في ذكر الموت عدة أحاديث (٢) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تتمة ماجرى فلتعلم أن ما منهم صنف الاوله على التقريب ثلاثة أحوال لايستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فاصنف الحالات لهم أن يعتقد احدهم جميع أركان الايمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق الحالة الثانية أن لا يعتقدوا الا بعض الاركان مما فيه خلاف اذا نفر ولم ننصف اليه في اعتقاده سواء ٧ هل يكون مؤمنا او مسلما أن يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد انه موجود حي لاغير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملا لايخطر بباله ولا يعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن التقدير الذي يعتقده من الاركان الثلاثة

ثلاثة أوجه (الاول) انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصرانى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع انه غير شاك فى عقده كالاول ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقى الماء فى نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى فى بعض الاخبار(١) الايمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات فى القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وادراك التفاوت فى السكون الى عقائد الايمان فى هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن أدرك الامرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال

رق الزجاج ورقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين أيضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال على كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم الآية ﴿ الاطلاق الثانى ﴾ أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم(٢) الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن واذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك فى زيادة الايمان الذى هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا الى أنه يؤثر فيه ﴿ الاطلاق الثالث ﴾ أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكنى أقول الامر اليقينى الذى لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس اليه فليس طمأنينة النفس الى أن الاثنين أكثر من الواحد

---

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحى يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء (٢) حديث الايمان بضع وسبعون بابا وذكر بعد هذا فزاد فيه أدناها اماطة الاذى عن الطريق البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة الايمان بضع وسبعون زاد مسلم فى رواية وافضلها قول لا اله الا الله وأدناها فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذى وصححه

موافق للحق غير منسوب لغيره الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد فى باقى الصفات على مالا يوافق الحق ما هو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذى يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الاولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلك خلاص ووصف ايمان أو اسلام وسواء فى ذلك الصنف الاول والثانى من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه وأما أهل الحالة الثانية وهى الاقتصار على الوجود المفرد أو الوجود ووصف آخر معه مع الخلو عن اعتقاد سائر الصفات التى للكمال والجلال وأركانهما فالمتقدمون من السلف لم تشتهر عنهم فى صورة المسئلة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان والاسلام والمتأخرون مختلفون فكثير خاف أن يخرج من اعتقد وجود

كطمأنينتها الى أن العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما فان اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي بعض المواضع في خبر آخر (١) مثقال دينار فأي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت ﴿مسئلة﴾ فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وأي فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثني يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا أعمل في غير معمل وقال ابراهيم بن أدهم اذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل أنا لا أشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناآت فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان الى الشك لا في أصل الايمان ولكن في خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان الى الشك * الوجه الاول الذي لا يستند الى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقال ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم وقال تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طبيب او فقيه أو مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء * الوجه الثاني التأدب بذكر الله تعالى في كل حال واحالة الامور كلها الى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم (٢) لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك أن فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة وكذلك العدول الى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الامر * الوجه الثالث مستنده الشك

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي في ذكر الموت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة

والرعيان وضعفاء النساء والاتباع على هذا بلا مزيد عليه لو سئلوا واستكشفوا عن الله عز وجل هل له ارادة او بقاء أو كلام أو ما شاكل ذلك وهل له صفات معنوية ليست هي هو ولا هي غيره بما وجدوا يجهلون هذا ولا يعقلون وجه ما يخاطبون به وكيف يخرج من اعتقد وجود الله ووحدانيته مع الاقرار بالنبوة من حكم الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قد رفع القتال والقتل واوجب حكم الايمان أو الاسلام لمن قال لا اله الا الله واعتقد عليها وهذه الكلمات لا تقتضي أكثر من اعتقاد الوجود مع الوحدة في الظاهر وعلى البديهة من غير نظر ثم سمعنا عمن قالها في صدر الاسلام أنه لم يعلم بعدها الا فرائض ومعناه

ومعناه أنا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم أولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين و يرجع هذا الى الشك فى كمال الايمان لا فى اصله وكل انسان شاك فى كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك فى كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه والثانى انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل(٧) قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون فيكون الشك فى هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى أولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم(١) الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا أدناها أماطة الأذى عن الطريق فهذا مايدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم(٢) أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض الروايات واذا عاهد غدر وفى حديث أبى سعيد الخدرى(٣) القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها وفى لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام(٤) أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها وفى حديث(٥) الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضى الله عنه(٦) كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت وانى لاسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى انه برىء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ماقدرنا أن نطأ على الارض باقدامنا(٧) وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت يتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة وقال ايضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لان أكون أعلم انى برىء من النفاق أحب الى من تلاع الارض

(١) حديث الايمان عريان تقدم فى العلم (٢) حديث اربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله ابن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب اجرد الحديث أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث ابن سليم مختلف فيه (٤) حديث اكثر منافقى هذه الامة قراؤها أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابى بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى وسيأتى فى ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الحديث أحمد باسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخارى الا انه قال شر بدل أكثر (٧) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج

(٧) هكذا بالنسخ ولعل صوابه حذف قوله أما العمل كما هو بنسخة الشرح التى كتب عليها تأمل اهمصححه

ولا هل الله تعالى عالم بعلم أو عالم بنفسه وهو باق ببقاء أو باق بنفسه واشباه هذه المعارف ولا يدفع ظهور هذا الامعاند أو جاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب فى الشرع ان من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى ان يذعن لتعلم ماز اد على ماعنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود فى النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بان من قال لا اله الا الله دخل الجنة ولعلك تقول قد قال فى مواطن أخرى الا بحقها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكماله من حقها نعم هى من حقها ما أعند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها ومن خلا من اعتقادها ولم يقوله أن يلقاها ولم يسمع بها ففيه مرمى هذا

ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه انى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفى رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء وقد علق نعله بيده و بين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هوهذا الرجل الذى وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه[2] اللهم انى استغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له اتخاف يارسول الله فقال وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل فى التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات وقال سرى السقطى لوان أنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا فى يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر فى المنافقين وقل أبو سليمان الدارانى سمعت من بعض الامراء شيأ فاردت ان أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقية الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين و يلحق بالكافرين و يسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يفضى بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات عليين و يحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وأمور أخر لا يخلو عنها الا الصديقون* (الوجه الرابع)* وهو أيضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدرى أيسلم له الايمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر فى أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من اخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان بكاء أكثر الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التى لا تظهر الا بظهور المقضى به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة ور بما يظهر فى الحال ماسبقت الكلمة بنقيضه فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل فى معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق أى بالسابقة يعنى أظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله مامن أحد يأمن أن يسلب ايمانه الا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنى لا أدرى مايعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد الى باب

(١) حديث كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فاكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس (٢) حديث اللهم انى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم انى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر مالم أعمل ولابى بكر ابن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل وشر ما أعلم وشر مالا أعلم

يقول فى الآخرة اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وذكر من المثقال الى الذرة والخردلة من الايمان الى ان اخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك ان يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لان التقدير وقع فى الايمان لا فى الاعمال فان قلت فان من الناس وائمة العلماء من لم يوجب الايمان لمن اعتقد جميع الاركان اذا لم يصحبها معرفة ولم يقصد هادليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أوكلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونبهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وانهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول فى ذلك لبدا له انه تسبب الى مايظهر له من تصوره عن معرفة شرطها

الدار وقال بعضهم لوعرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بينى وبينه سارية ومات لم أحكم انه مات على التوحيد وفى الحديث (١) من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل وقيل فى قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى ولله عاقبة الامور فمها كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة ومافسد قبل الغروب لايبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لايبعد أن يسئل عن الصوم الماضى الذى لايشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم أن شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيق هو المقبول والمقبول غائب عنه لايطلع عليه الا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا فى القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب جل جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الايمان وهى آخر ما نختم به الكتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة (أما بعد) فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) بنى الدين على النظافة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٤) الطهور نصف الايمان قال الله تعالى مايريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان أهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء والقائه وتخريب الباطن وابقائه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الاولى) تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فان الغاية القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر مالم يرتحل ماسوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان فى قلب وماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته

---

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبرانى فى الاوسط بالشطر الاخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبى سليم تقدم والشطر الاول روى من قول يحيى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الاصغر بلفظ من قال أنا فى الجنة فهو فى النار وسنده ضعيف

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان (٣) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث على قال الترمذى هذا أصح شئ فى هذا الباب وأحسن (٤) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بنى سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث أبى مالك الاشعرى بلفظ شطر كما فى الاحياء

فى إيمان غيره ولا اثر من حسه الركون الى ما رأيناه أولى من رأيه وأحق بالصواب ولعدل عن مذهبه

ثم بعد ذلك تراهم حين اخبروا عن سلب الايمان عنهم لم يتقوا اسم الكفر عليهم ثم يعرضوا على الاستتابة ان كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فاذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه ونقص ما قالوا اليه فلنرجع الى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما ارباب الحالة الثالثة وهى اعتقاد البدعة فى الصفات أو بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا واسلامهم حققنا أمر هؤلاء فما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن ايصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم فى العقد ماهو شرط الخلاص والنجاة من

الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردهم فى الدنيا وزجرهم عنه ان أظهروا المنع من الاقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل

كان ذلك وان فاتوا بالموت لم نقصرهم فى اعتقادنا عن ارباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم والله أعلم بالناجى

بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها مالم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاول وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينى نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشرة الاخيرة الظاهرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وحتى انهم ماكانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم باخمص أقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين الارض حاجزا فى مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة (١) كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر رضى الله عنه (٢) ماكنا نعرف الاشنان فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا اذا أكلنا الغمر مسحنا بها ويقال أول ماظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة فى النعلين أفضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) لما نزع نعليه فى صلاته باخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء اليها فاخذها منكرا لخلع النعال فكذا كان تساهلهم فى هذه الامور بل كانوا يمشون فى طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون فى المساجد على الارض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال فى دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هى مبنى الدين فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الارض حافيا أو صلى على الارض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته

(١) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء الحديث ه من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ولم أره من حديث أبى هريرة (٢) حديث عمر ماكنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر (٣) حديث خلع نعليه فى الصلاة اذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة د ك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى

والمالك من خلقه والمطيع والعاصى من عباده هكذا ينبغى أن يكون مذهب من نظر فى خلق الله تعالى بعين الرأفة والرحمة ولم يدخل بين الله عز وجل وبين عباده فيما غاب عنه علمه وعدم فيه سبيل اليقين وفهم معنى قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فان قلت وأين انت من تكفير كثير من الناس لجميع أهل البدع عامة وخاصة وقول النبي صلى الله عليه وسلم فى القدرية انهم مجوس هذه الامة وقوله صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وقال عن قوم يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول

ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه فان قلت أفتقول ان هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول ان هذا التنظيف والتكلف واعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به اذا لم يخرج الى منكر أو اسراف وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم اليه الا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيآت المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ الا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل بشيء شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من ان يصرفه الى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثال لنظائره من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها أربع مراتب فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره

﴿القسم الاول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة﴾

﴿الطرف الاول في المزال﴾

البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الاهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وان كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الاكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر امام المتقين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال مجوس هذه الامة أضافهم الى الامة وما حكم بان لم يقل مجوس على الاطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر انهم خالدون فيها وحين قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فقد قال متصلا بهذا القول وتمارى في الفرق وما موضع هذا التمارى من المثل الذى ضرب به فيهم رسول الله

وهي النجاسة والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه واما أجزاء الحيوانات فقسمان أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة * الاول أثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج * والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط أو سقطة * الثالث * ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة * الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فلبسته * الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد ودلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذلك أثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في أحواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها

(الطرف الثاني في المزال به)

وهو اما جامد واما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تجفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشيء منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم[1] اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد واما الماء الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لأن جريات الماء متفاصلات وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث[2] اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث اصغاء الاناء للهرة الطبراني في الاوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل ابي قتادة

الاناء

صلى الله عليه وسلم قالى اراك تلاحظ جهة وتترك أخرى وتذكر شيأ وتذهل عن غيره عليك بالعدل تكن من أهله واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهم قول الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا *(فصل)* ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا من رآه لقي عليه شبه القشر الثاني من الجوز لان ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صونا واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لا شيء معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشيء من الادلة ضعيفا فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الحرج

الاناء للهرة وعدم تغطية الاواني منها بعد أن يرى انهاتأ كل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لاتنزل الآبار والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت وأي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني والخامس انهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وان كان قليلا وأي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري هل الحوالة على عدم التغير اولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أتجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذا قضى بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى أن يجتمع في مستنقع قلتان فاي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة والسادس أنه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها والسابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضؤ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس أنهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم (1) خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه فهذا المعيار وقد أشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة وهو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا اذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل أراد به اذا لم يتغير فيمكن أن يقال أنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة (فان قلت) فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات المعتادة الى التساهل فهما من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل

---

(1) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير لونه أو طعمه وريحه ه من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء د ن ت من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره

والنكر ﴿ بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقربين ﴾ والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود أحدها أن يتكلم في الاسباب التي توصل اليه والمسالك التي يعبر عليها نحوه والاحوال التي يتخذها بحصوله كما قدره العزيز العليم واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور للسالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث في ثمرات ذلك التوحيد وما يلقى أهله به ويطلعون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الاول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلله للصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على تركه فيه بعث الانبياء ومن أجله ارسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز

﴿ الطرف الثالث فى كيفية الازالة ﴾

والنجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشئ له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون والمزيل للوسواس أن يعلم أن الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ولا ينبغى أن يتوصل بالاستنباط الى تقدير النجاسات ﴿ القسم الثانى طهارة الاحداث ﴾ ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة ان شاء الله تعالى

﴿ باب آداب قضاء الحاجة ﴾

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وان يستتر بشىء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان فى بناء والعدول أيضا عنها فى البناء أحب وان استتر فى الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لا يبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه وأن يتكئ فى جلوسه على الرجل اليسرى وان كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يبول قائما [1] قالت عائشة رضى الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضى الله عنه [2] رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما قال عمر فما بلت قائما بعد وفيه رخصة اذ روى حذيفة رضى الله عنه أنه عليه السلام [3] بال قائما فاتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه [4] ولا يبول فى المغتسل قال صلى الله عليه وسلم عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى وقال عليه السلام لا يبولن أحدكم فى مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيأ عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجى بالماء فى موضع الحاجة وأن يستبرىء من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفى الخبر [5] أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفى حديث سلمان رضى الله عنه [6] علمنا رسول

(١) حديث عائشة من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن ه قال ت هو أحسن شىء فى هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رآنى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجه باسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث انه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٤) حديث قال فى البول فى المغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت واسناده صحيح (٥) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن ه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم فى قواعد العقائد

والاولياء والانبياء بالكرامات لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته واياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وجميع ذلك محصور فى اثنتين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على آيتين الحرص الشديد والنية الخالصة والسر فى تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثانى فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الامثال تشبيها بالرمز تارة وبالتصريح

الله صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الخراءة أمرنا أن لا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة قال بلى وأبيك انى لاحسنها وانى بها لحاذق أبعد الاثر وأعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعى اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية والاقعاء هنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك

﴿ كيفية الاستنجاء ﴾

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعا فان أنقى استعمل خامسا لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام (٢) من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ويمره الى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة ادارة فان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى المؤخر أجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أو فى ثلاثة أحجار أو فى ثلاثة مواضع من جدار الى أن لا يرى الرطوبة فى محل المسح فان حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك ان أراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجى بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره أن يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجى من الفواحش ويدلك يده بحائط أو بالأرض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى (٣) فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التى أثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء والحجر

﴿ كيفية الوضوء ﴾

اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ان أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغى أن ينوى عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم (٥) صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال صلى الله عليه وسلم (٦) لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند

---

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا الحديث فى أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ه ك وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووى تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر فى أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم (٤) حديث ان أفواهكم طرق القران أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه ه موقوفا على على وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه د ك وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة (٦) حديث لولا ان أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبى هريرة

أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له جل ما يشار اليه اذا كان سالما من شرك التعصب بعيدا من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل الى ذكر شئ منه الا مع أهله بعد علمهم به على سبيل التذكار لا على التعليم انما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ما وصفناه لان الحد الاول فيه محض النصح للخلق واستنقاذهم من غمرة الجهل والتنكيب بهم من مهاوى العطب وقودهم الى معرفة هذا المقام وما وراءه مما هو أعلى منه مما لهم فيه الملك الأكبر وفوز الابد وقد بين لهم غاية البيان وأقيم عليه واضح البرهان وهو يومئذ الطريق وأول سبيل السعادة فمن عجز عن ذلك كان عن غيره أعجز ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول ان الله لا يضيع أجر

من أحسن عملا ومن وصل شاهدومن شاهدعلم وذلك غاية المطلوب ونهاية المرغوب والمحبوب ومن قعدحرم الوصول وما بعده فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ومن غاب لم تنفعه الاخبار ولم يفده كثير من الاحاديث وأيضا فان الاخبار بما وراء الحد الاول والثانى على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجرى بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه اهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لغرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه فى منازل الرفعة وبعده بالجملة والتفصيل من جميع ما عهد فى عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المالوفة ومباينته لكل ما نشؤا عليه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فلما كان لا يدرك شيء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كمقل الخطايا

كل صلاة وقال صلى الله عليه وسلم (١) مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا أى صفر الاسنان (٢) وكان عليه السلام يستاك فى الليلة مرارا وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال (٣) لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شئ وقال عليه السلام (٤) عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم (٥) وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بخشب الاراك أو غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الازم أو أكل ما تكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم (٦) لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى أى لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاناء ويقول اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا أن يكون صائما فيرفق ويقول اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم ياخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول فى الاستنشاق اللهم أوجدلى رائحة الجنة وأنت عنى راض وفى الاستنثار اللهم انى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدا سطح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ومن الاذن الى الاذن فى العرض ولا يدخل فى حد الوجه النزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الاذن والطرف الثانى على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والاهداب لانها خفيفة فى الغالب والعذاران هما ما يوازيان الاذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة أعنى ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما (٧) فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك ويامل عند ذلك خروج

---

(١) حديث مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد المطلب د والبغوى من حديث تمام بن العباس والبيهقى من حديث عبدالله بن عباس وهو مضطرب (٢) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس (٣) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٤) حديث عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى شعب الايمان (٥) حديث كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم الخطيب فى كتاب اسماء من روى عن مالك وعند د ت وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٦) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخارى أنه احسن شئ فى هذا الباب (٧) حديث ادخاله الاصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبى أمامة كان يتعاهد الماقين وروا الدار قطنى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء أعينكم

الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى أعلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام (١) من استطاع أن يطيل غرته فليفعل وروى ان (٢) الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم (٣) مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه الى السماء وقال أشهد لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي استغفرك اللهم وأتوب اليك فاغفرلي وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة * ويكره في الوضوء أمور منها ان يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وان يسرف في الماء (٤) توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء وقال (٥) سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال (٦) من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال ابراهيم بن أدهم يقال ان أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور قال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ رضي الله عنه انه عليه السلام مسح وجهه (٧) بطرف ثوبه وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم (٨) كانت له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره ان يتوضأ من اناء صفر

---

(١) حديث من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل خرجاه من حديث أبي هريرة (٢) حديث تبلغ الحلية من المؤمن مايبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه (٣) حديث مسح الرقبة أمان من الغل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٤) حديث توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد اساء وظلم د ن واللفظ له و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور د ه وابن حبان و ك من حديث عبد الله بن مغفل (٦) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجد له اصلا (٧) حديث معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب واسناده ضعيف (٨) حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء

عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وحكي عن ابن عباس رحمه الله انه قال ليس عند الناس من علم الآخرة الا الاسماء أو وراد من لم ينكشف له شيء من علمها وحقائقها في الدنيا وأيضا فلو جاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل الى تصورها الا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد ويتطرق اليه من أهل الغفلة وذوي القصور جحود وتبعيد فلهذا أمروا بالكتم اشفاقا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم الا كان عليهم فتنة وعلى هذا يخرج قول المشايخ افشاء سر الربوبية كفر رزقنا الله واياكم قلوبا واعية الخير انه ولي كل صالح واذا علمت ان الحد الاول قد تقرر عليه في كتب الرواية والدراية وملئت منه الطروس وكثرت به في المحافل الدروس وهو غير

وان يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما كراهية اناء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة والتخلق بالاخلاق الحميدة أولى وان من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه أعلم

﴿ فضيلة الوضوء ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم ايضا [2] الا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم [3] مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم [4] من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم [5] من توضأ على طهر كتب الله به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم [6] الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام [7] اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت اذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى [8] ان الطاهر كالصائم قال عليه الصلاة والسلام [9] من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء

---

(١) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما ومن حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما الحديث (٢) حديث الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٣) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به الحديث ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٤) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف (٥) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٦) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجد له اصلا (٧) حديث اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث ده من حديث الصنابحي واسناده صحيح ولكن اختلف في صحبته وعند م من حديث أبي هريرة وعمرو ابن عنبسة ونحوه مختصرا (٨) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٩) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزي في الاطراف وقد رواه ن في اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده

ولما كان حكم الحد الثالث الكتمان تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل الى تعدالى محدودات الشرع فلنثن العنان الى الكلام بالذي يليق بهذا الحال والمقام فنقول أرباب المقام الثالث في التوحيد وهم المقربون على ثلاثة اصناف وعلى الجملة فكلهم نظروا الى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة وعاينوا حالات الافتقار الى الله تعالى عليهم واضحة وسمعوا جميعها تدل على توحيده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإذن قلوبهم وشاهدوه بغيب أرواحهم ولاحظوا جلاله وجماله بخفي أسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الاصناف الثلاثة انما

وقال

وقال عمر رضى الله عنه ان الوضوء الصالح يطردعنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فان الارواح تبعث على ماقبضت عليه

﴿ كيفية الغسل ﴾

وهو أن يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى و يغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك و يزيل ماعلى بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوأه للصلاة كما وصفنا الا غسل القدمين فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ماأقبل من بدنه وماأدبر و يخلل شعر الرأس واللحية و يوصل الماء الى منابت ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت أن الماء لا يصل الى خلال الشعر و يتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها مالا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعداه من المسائل التى يحتاج اليها فى عوارض الاحوال فليرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ماذكرناه فى الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل * وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ماينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب وأما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب باربعة بخروج المنى والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعداه من الاغتسال سنة كغسل العيدين والجمعة والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا أسلم غير جنب والمجنون اذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن الوصول اليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه الا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيداً طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار و يضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه و يمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة و ينوى عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف ايصال الغبار الى ماتحت الشعور خفت أو كثفت و يجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار و يحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين و يكفى فى الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه و يضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الانامل من احدى الجهتين عن المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الايمن الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن و يمرها الى الكوع و يمر بطن ابهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه و يخلل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين و زيادة واذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم

(القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان أوساخ وأجزاء)

(النوع الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية)

الاول مايجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث عنه وكان صلى الله عليه وسلم (١) يدهن الشعر و يرجله غبا و يأمر به و يقول عليه السلام (٢) ادهنوا غبا وقال عليه

---

(١) حديث كان يدهن الشعر و يرجله غبات فى الشمائل باسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل أيضا باسناد حسن من حديث صحابى لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا

(٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووى غير معروف وعند د ت ن من

عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته وانقسامهم فى تلك المعرفة كانقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا فمن حافظ لبعضه و يكون ذلك البعض أكثر أو كثيراً منه دون كله ومن حافظ لجميعه لكنه متلعثم فيه متوقف على الانهمار فى قراءته ومن حافظ فى تلاوته غير متوقف فى شيء منه وكلهم ينسب اليه و يعد فى المشهد والمغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل الى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها أو بما كان فيما يقرأ من الصفحات مايغم عليه ومن قارئ لجميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبرة ومن ماهر فى قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة فى رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الأشياء فى فراغه وشغله و بحسب ذلك اختلفت أحوالهم فى الخوف والرجاء والقبض والبسط والفناء والبقاء ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لذوى الافهام من شمس النهار وقت الزوال

الصلاة والسلام (١) من كان له شعرة فليكرمها أى ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل (٢) ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان * الثانى ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع * الثالث ما يجتمع فى داخل الانف ومن الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار * الرابع ما يجتمع على الاسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما * الخامس ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم (٣) كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب وفى خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم (٤) كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم (٥) كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفى حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها (٦) اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته فقلت أو تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله عز وجل وهو ان يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الامور على النية فانها أعمال فى أنفسها تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث فى اللحية اظهار للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر * السادس وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع

حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل الا غبا باسناد صحيح (١) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبى هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس اسناده بالقوى (٢) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ت وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد (٣) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف وسيأتى فى آداب السفر مطولا (٤) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط (٥) حديث كان كث اللحية ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وأبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على وأصله عند ت (٦) حديث عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من راسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر

وعلمت لم سمى أهل هذه المرتبة مقربين فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا ابعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز فى لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما فى هذا الفن أحد الحالتين عماء البصيرة وانطماس القلب والخلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعدا ماخوذ من البعد عن محل الراحة والمنزل الواجب وموضع العمارة والانس والانقطاع فى مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة البيت بمشاهدة ما غاب عنه أهل الغفلة واللهو ولكنه يدل على أنه لم يصل * لعلك تقول أرى بعد أئمة الكلام

فى

وعن لحوق هذا المقام كان لم يضربوا فيه بسهم ولم يفز قدحهم منه بحظ رلاسهم وأراهم عند الجمهور فى الظاهر وعند

فى تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) بغسل البراجم * السابع تنظيف الرواجب أمر (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهى رؤوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لانها كانت لا يحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ (٣) فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء فى الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبرائيل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر أمتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله عزوجل فلا تقل لهما أف تعبهما أى بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذى بهما كما تتأذى بما تحت الظفر * الثامن الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الانصارى رضى الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات * فعليه واجبان فى عورته وواجبان فى عورة غيره أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفى اباحة مس ماليس بسوأة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ ألحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر فكذلك ينبغى أن تكون بقية العورة اعنى الفخذين * والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهى عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام فى نفسه فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله أعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز اعند التعيير بالمعاصى وذلك يؤثر فى تقبيح الامر فى عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الاوقات اذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لاسيما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام ورؤى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه * وأما السنن فعشرة * فالاول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطى الحمامى الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامى فتسليم الاجرة

---

(١) حديث الامر بغسل البراجم الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجمكم ولابن عدى فى حديث لأنس وان يتعاهد البراجم اذا توضأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم (٢) حديث الأمر بتنظيف الرواجب احمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يارسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقيل ولم لا يبطئ وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم وفيه اسمعيل بن عياش (٣) حديث التوقيت فى قلم الأظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما م من حديث أنس (٤) حديث الامر بتنظيف ما تحت الاظفار الطبرانى من حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك الى مالا يريبك (٥) حديث استبطاء الوحى فلما هبط عليه جبريل قال له كيف تنزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا بحديثين

أنفسهم انهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق الى مراشدهم ومجاهدون أرباب النحل المردية والملل الضالة المهلكة وقد سبق فى الاحياء انهم مع العوام فى الاعتقاد سواء وانما فارقوهم باحسانهم حراسة عقودهم فاعلم ان ما رأيت فى الاحياء صحيح ولكن بقى فى كشفه أمر لا يخفى على المستبصرين ولا يغيب عن الشاذين اذا كانوا منصفين وهو ان المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقود العوام وانما فارقوهم بالجدل عن الانخرام والجدل علم لفظى واكثره احتيال

وهى وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بثمرة المشاهدة والكشف ولاجل هذا كان فيه السمين والغث وشاع

قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فانه ان لم يكن فى الحمام الا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر فى العورات ثم لا يخلو الانسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى أطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدرى ولاجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامى لكرهه لاسيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا فى البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه أشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له فى كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء ينظر الى الحيطان يتأمل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الاشياء شيأ الا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر الى شئ الا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر أفاعى جهنم وان نظر الى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أو دار تذكر ماينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام فى الدنيا الى مدة المقام فى الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته * ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان أحب قال عافاك الله ولا بأس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام فى الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بان يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال أنه دلكنى فى الحمام مرة فاردت ان أكافئه بما يفرح به وأنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ماروى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ماهذا يارسول الله فقال ان الناقة تقحمت بى ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسئل عنه وقال ابن عمر رضى الله عنهما الحمام من النعيم الذى أحدثوه هذا من جهة الشرع أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام وقيل النورة فى كل شهر مرة تطفىء المرة الصفراء وتنقى اللون وتزيد فى الجماع وقيل بولة فى الحمام قائما فى الشتاء أنفع من شربة دواء وقيل نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال * وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفى البيت مستحم والمشهور (٣) أنه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة دخول

---

(١) حديث نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبرانى فى الاوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل لرجل ان يدخل حليلته الحمام الحديث يأتى فى الذى يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر الحديث النسائى والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل

الحمام

فى حال النضال ايراد القطعى وماهو حكمه من غلبة الظن وابداء الصحيح والزام مذهب الخصم والقام المشار اليه بالذكر وشبهه انما هو علم التوحيد وفهم الاحوال ومعرفته باليقين التام والعلم المضارع للضرورى بان لا اله الا الله ازلا فاعل غيره ولا حاكم فى الدارين سواه ومشاهدة القلوب لما حجب من الغيوب ومن أين للنازل طى المنازل وما لعلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الانوار ومدارك الاستبصار والمدارك فى أوقات الضرورات والاختيار وبين ما يراد لوقت حاجته ان دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذى ضلالة بما ينغص على ذوى اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم

الحمام الانفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضى الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه

﴿ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الاجزاء وهى ثمانية ﴾

الاول شعر الراس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا اذا تركه قزعا أى قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعار الهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا * الثانى شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) قصوا الشارب وفى لفظ آخر جزوا الشوارب وفى لفظ آخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها وحفاف الشىء حوله ومنه وترى الملائكة حافين من حول العرش وفى لفظ اخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا أى يستقصى عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة ابن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى أى كثروها وفى الخبر ان اليهود (٣) يعفون شواربهم و يقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة * الثالث شعر الابط و يستحب نتفه فى كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود نتفه فى الابتداء فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ فى النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ فى خللها و يحصل ذلك بالحلق * الرابع شعر العانة و يستحب ازالة ذلك اما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغى ان تتأخر عن أربعين يوما * الخامس الاظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) يا أباهريرة قلم أظفارك فان الشيطان يقعد على ماطال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لانه لا يمنع وصول الماء ولانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما فى أظفار الرجل وفى الاوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدى من العرب وأهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم و ينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الاوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم أر فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت أنه صلى الله عليه وسلم (٥) بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن

حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمتى قال صحيح الاسناد ولابى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامنعوها النساء الا من مريضة أو نفساء (١) حديث قصوا وفى لفظ جزوا وفى لفظ حفوا وفى لفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ احفوا ولمسلم من حديث أبى هريرة جزوا ولاحمد من حديثه قصوا (٢) حديث المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك دنت فى الشمائل (٣) حديث ان اليهود يعفون شواربهم و يقصون لحاهم فخالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يارسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم و يوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور ان هذا فعل المجوس ففى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس انهم يوفرون سبالهم و يحلقون لحاهم فخالفوهم (٤) حديث يا أباهريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ماطال منها الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر (٥) حديث البداءة فى قلم الاظفار بمسبحة اليمنى والختم بابهامها وفى اليسرى بالخنصر الى الابهام لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به

وتوقع علمه فيما مضى من الزمان اليهم لا نقول فى اكثرهم انهم لا يحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواه بما هو أعلى منه بل الظن بهم انهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم فى الظاهر الا ما كانت الحاجة اليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجم فى وقتهم من البدع وظهر من الاهواء وشاع من تشتيت كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والمنازعة لهم والسعى فى اجتماع الكلمة على السنة بعد افتراقها واهلاك ذوى الكيد فى احتيالهم واخماد نارهم الذين هم أهل الاهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الاشارات وكشف أحوال أرباب المقامات ووصف فقه الارواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وان كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ

يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه فالذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لابد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بهما ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي أن يبتدىء بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمنى وان وضعت ظهر الكف على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمين الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة الى أن يعود الى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم وانما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الاصابع كاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع وأما أصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت فيها نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها في اليد لا تتجه ههنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا واذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان أفعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدر على واحد منهما بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط أقرب وعن الاهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته الى رتبة الانبياء والاولياء أكثر وكان قربه من الله عزوجل أظهر اذ القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لابد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم [1] فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد من مناسبة الوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الاجفان بالكحل وانما خصص اليمين بالثلاث لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق (فان قلت) فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح [2] وهو الاولى ولو ذهبت أستقصى دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين الطبراني من حديث ابن عمر باسناد ضعيف.
(٢) حديث الاكتحال في كل عين ثلاثا قال الغزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن

فان علم الكلام انما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الالحاد والزيغ لقصورهم عن ملاحظة الحق موقع السيف للانبياء والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد والتمادي على الغي وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء وكما لا يقال في الصدر الاول فقهاء الامصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب الا علوم أخر كالفقه والحديث والتفسير لان الخلق أحوج الى علم ما حفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم فلولا ان حفظ الله تعالى تلك

الله عليه وسلم الادرجة واحدة وهى درجة النبوة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبياء عليها الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء عليهم السلام * السادس والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع فى أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى ان يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم (١) الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء و ينبغى ان لا يبالغ فى خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض يا أم عطية (٢) أشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن فى جماعها فانظر الى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم فى الكناية والى اشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التى هى أهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امى من هذا الامر النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم * الثامنة ما طال من اللحية وانما أخرنا ها لنلحق بها ما فى اللحية من السنن والبدع اذ هذا أقرب موضع يليق بذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا باس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والامر فى هذا قريب ان لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة و يطلق ألسنة المغتابين بالنبذ اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شىء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل

* فصل * وفى اللحية عشر خصال مكروهة و بعضها أشد كراهة من بعض خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين * أما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم (٣) خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر (٤) ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب (٥) أهل النار وفى لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار و تزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة الى عمر رضى الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك و يقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) أنه قال يكون فى آخر الزمان

(١) حديث الختان سنة للرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقى من رواية أبى المليح ابن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف
(٢) حديث أم عطية أشمي ولا تنهكي الحديث الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولابى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بكهولكم الحديث الطبرانى من حديث واثلة باسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ولمسلم من حديث جابر غيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب اهل النار وفى لفظ خضاب الكفار الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبى حاتم منكر (٦) حديث يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائى من حديث ابن عباس باسناد جيد

جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وان لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذه عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضى الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الاسلام وأن يضعف ويقل أهله ويرجع البلاد والعامة الى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والمبعوث لدعوة الحق عليه السلام رأوا ان الجهاد والرباط فى ثغر العدو والغزو فى سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وادخال الناس فى دين الله أولى بهم من سائر الاعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وانما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الاقل وهم فى حال ذلك الشغل والنظر الى حال العموم أوكد من النظر الى الخصوص لان

قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة * الثانى الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو وذلك لا بأس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة * الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما آتى الله عز وجل عبدا علما الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله عز وجل قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وكان أنس رضى الله عنه يقول (٢) قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه ويقال (٣) ان يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل فى مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سن القاضى أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمارة مكة وقضاءها فأفحمه وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء اذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السختيانى أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال على بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لأبى عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر ان علم سفيان ان فاتنى بعلو أدركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتنى لم أدركه بعلو ولا نزول * الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى عليه السلام (٤) عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو فى معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور * الخامس نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز

---

(١) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبرانى والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر قال ابن أبى حاتم منكر (٢) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شانه الله ببيضاء (٣) حديث ان يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن الخطيب فى التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة الى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة الى معاذ فانما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الانصارى ومالك وابن أبى حاتم انه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح انه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم (٤) حديث نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه نه من

الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والعموم ان لم يكن مشتغلا بهم وذائدا لهم عن هلكاتهم وسائقا بهم الى مراشدهم وصلاحهم كان الهلاك اليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك ان فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شىء كامل من البر فلا خاصة الا بعامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال والهلاك أشد واللطف بهم فى تخفيف الوظائف والاخذ بالرفق أبلغ وكان أهل القوة وذوى البصائر فى الحقائق يأخذون أنفسهم بالمشقات وكان هو صلى الله عليه وسلم يحب أن يعمل بالعمل من الطاعة فما يمنعه منه أو من المداومة عليه الا خوف أن يفرض على أمته حين علم من أكثرهم الضعف ولم يكره لهم وفيه زيادة الأجر وكثرة الثواب

رجل

رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من
كان ينتف لحيته وأما نتفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فان لله سبحانه
ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب
التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال أصحاب الاحنف بن قيس وددنا أن نشتري للاحنف
لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت ان لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم
الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه والتقديم على الجماعة و وقاية العرض
فان من يشتم يعرض باللحية ان كان للمشتوم لحية وقد قيل ان أهل الجنة مرد الا هرون أخا موسى صلى الله عليهما
وسلم فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا * السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء
والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة و يعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك
لا خلاق لهم * السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز
عظم اللحى و ينتهي الى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح * الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر
في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد * التاسع والعاشر النظر في سوادها
وفي بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الاخلاق والافعال على ما سيأتي بيانه فهذا
ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس
منها في الرأس وهي (١) فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق (٢) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل
وهي القلم وغسل البراجم (٣) وتنظيف الرواجب وأربعة في الجسد وهي نتف الابط والاستحداد والختان
والاستنجاء بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون
الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق ان فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى
وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطرق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله عز وجل * تم
كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه و يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه الذي تنزل عن عرش الجلال الى السماء الدنيا
من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء
فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له و باين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص

رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (١) حديث فرق شعر الرأس خ من حديث ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره الى ان قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٢) حديث
عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء
وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعني الاستنجاء قال مصعب
ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة ضعفه ن ولابي د ه من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه
المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر اعفاء اللحية وانتقاص الماء قال د روي نحوه عن ابن عباس قال خمس
كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر اعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس
الختان الحديث (٣) حديث تنظيف الرواجب تقدم

(باب أسرار الصلاة)

والقرب من الله تعالى ولكن خاف عليهم أن يقعوا في تضييع الفرض فيكون عليهم كفل من الوزر الاثري كيف
نهى الخلق عن قيام الليل كله وكان عثمان رضي الله عنه يقومه فلم ينهه ومنع السيف من كل من أراد أخذه بما شرط عليه فيه حتى جاء من علم منه القدرة على الوفاء بما شرط عليه فأعطاه اياه وقال لعائشة رضي الله عنها لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم وقال للانصار اما ترون ان يذهب الناس بالشاء والبعير فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم ومع ذلك فالذي حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وفقهاء الامصار وأعيان المتكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وانما
القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس

للعبادات فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما (أما بعد) فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومولاله اليها يفزع و يرجع ونحن الآن فى هذا الكتاب نقتصر على مالا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والاخلاص والنية مالم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب (الباب الاول) فى فضائل الصلاة (الباب الثانى) فى تفضيل الاعمال الظاهرة من الصلاة (الباب الثالث) فى تفضيل الاعمال الباطنة منها (الباب الرابع) فى الامامة والقدوة (الباب الخامس) فى صلاة الجمعة وادابها (الباب السادس) فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد الى معرفتها (الباب السابع) فى التطوعات وغيرها

(الباب الاول فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والاذان وغيرها)

(فضيلة الاذان)

قال صلى الله عليه وسلم (١) ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم بقوم وهم به راضون ورجل أذن فى مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) لا يسمع نداء المؤذن جن ولا انس ولا شىء الا شهد له يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل فى تفسير قوله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم (٤) اذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن وذلك مستحب الا فى الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وفى قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والارض وفى التثويب صدقت و بررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته انك لا تخلف الميعاد وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة

(فضيلة المكتوبة)

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم (٥) خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (٦) مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شىء قال صلى الله عليه وسلم فان

(١) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف (٢) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شىء الا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبى سعيد (٣) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبرانى فى الاوسط والحسن بن سعيد فى مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث اذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن متفق عليه من حديث أبى سعيد (٥) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه حب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٦) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولهما نحوه من حديث أبى هريرة

وما يذكر الا أولو الالباب (بيان المرتبة الرابعة) وهو توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدارين غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه فقد كان بيان اشارات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فيما خصوا من المعرفة فى هجيراهم فكان هجير أبى بكر الصديق رضى الله عنه لا اله الا الله وكان هجير عمر رضى الله عنه الله أكبر وكان هجير عثمان رضى الله عنه سبحان الله وكان هجير على رضى الله عنه الحمد لله فاستقرى السابقون من ذلك ان أبا بكر لم يشهد فى الدارين غير الله سبحانه وتعالى فلذا كان الصديق وسمى به كما علمت وكان يقول لا اله الا الله

الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم (١) ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال صلى الله عليه وسلم (٢) بيننا و بين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم (٤) الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين (٥) وسئل صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم (٦) من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا و برهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم (٧) مفتاح الجنة الصلاة وقال (٨) ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شىء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٩) من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أى قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) من ترك صلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضى الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطا و يروى أن (١١) أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم (١٢) يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فاطفؤها

﴿فضيلة اتمام الاركان﴾

اذا الكل قائم به غير معرى من النقصان والقائم بغيره معلول فكان يقول سبحان الله وعلى لا يرى نعمة فى الدفع والرفع والعطاء والمنع فى المكروه والمحبوب الامن الله سبحانه فكان يقول الحمد لله وأهل هذه الرتبة على الجملة فى حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون فى الغالب لا بد لهم من أن يحلوا فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والاوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم فان قلت أليس الوجود مشتركا بين الحادث والقديم والمألوه والاله ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث كثيرة

(١) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبى هريرة (٢) حديث بيننا و بين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا (٣) حديث من لقى الله مضيعا للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته وفى معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طب فى الاوسط من حديث أنس (٤) حديث الصلاة عماد الدين البيهقى فى الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال لـ عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال فى مشكل الوسيط انه غير معروف (٥) حديث سئل أى الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (٦) حديث من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا و برهانا الحديث أحمد حب من حديث عبد الله بن عمرو (٧) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسى من حديث جابر وهو عند الترمذى ولكن ليس داخلا فى الرواية (٨) حديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا أحب اليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (٩) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبى الدرداء باسناد فيه مقال (١٠) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (١١) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه فى الطيوريات من حديث أبى سعيد باسناد ضعيف ولأصحاب السنن لـ وصحح اسناده نحوه من حديث أبى هريرة وسيأتى (١٢) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب لم أقف له على أصل

قال صلى الله عليه وسلم (١) مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال (٢) يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم (٥) أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار وقال صلى الله عليه وسلم (٦) من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم (٧) أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين

﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (٨) صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال (٩) لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فاحرق عليهم بيوتهم وفي رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا (١٠) من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم (١١) من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا في المسجد وقال محمد

---

(١) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس باسناد فيه جهالة (٢) حديث يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٣) حديث ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المحبر في العقل من حديث أبي أيوب الانصاري بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبي اسامة في مسنده عن ابن المحبر (٤) حديث لا ينظر الله الى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدي فيعزو الى مشايخ مصر من حديث جابر ما يؤمنه اذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام ان يجعل الله وجهه وجه حمار (٦) حديث من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طب في الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٧) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي قتادة (٨) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٩) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (١٠) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليله الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا (١١) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وانما هو من قول سعيد ابن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة

فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الاشياء شيئا واحدا اذ ذلك على طريق قلب الاعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تتحد بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يغني عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخييل للولي لما لا حقيقة له فكيف يحتج به أو كيف يعد حالا لولي أو فضيلة لبشر (الجواب) عن ذلك ان الحوادث لم تنقلب الى القدم ولم تتحد بالفاعل ولا اعترى الولي تخييل فتخيل مالا حقيقة له وانما هو ولي مجتبي وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عيانا ما ازداد الا يقينا وان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فتشت الخلق بمعاركك وكتبهم

ابن

ابن واسع ما أشتهي من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها و يكتب لي فضلها و روى ان أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بي آنفا حتى أريت ان لي فضلا على غيري لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الأصم فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب و روى ان ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم (١) من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار و يقال أنه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد وروى ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى و يعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ما تقرب العبد الى الله بشيء أفضل من سجود خفي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) مامن مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروى (٤) ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وان يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أعني بكثرة السجود وقيل (٥) أقرب ما يكون العبد من الله تعالى ان يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم (٦) اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي و يقول ياويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار و يروى عن علي بن عبد الله ابن عباس انه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد و يروى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف ابن أسباط يقول يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم مامن خصلة في العبد احب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء

---

(١) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته تكبيرة الاحرام الحديث ت من حديث أنس باسناد رجاله ثقات (٢) حديث ما تقرب العبد الى الله بشيء أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا (٣) حديث مامن مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة * من حديث عبادة بن الصامت باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٤) حديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني من أهل شفاعتك و يرزقني مرافقتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الاسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٥) حديث ان أقرب ما يكون العبد الى الله أن يكون ساجدا م من حديث ابي هريرة (٦) حديث اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة

بكيالك وفضلك نفسك على الجميع اذ لا سبب لانكارك ان صح الا أنك تخيلت انه لم يرزق أحدا ما لم ترزق أو يخص من المعرفة ما لم تخص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينساه ولا في حال نومه وشغله و هذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله انه اذا نام أو اشتغل لم يفقده في شغله ونومه كما لا يفقده في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهورة آثارها في المخلوقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل الهت الولي عن غيره وصار لم ير سواه ومعنى ذلك انه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير

الله عز وجل ومامن ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب مايكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عندذلك

﴿ فضيلة الخشوع ﴾

قال الله تعالى وأقم الصلاة لذكرى وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال عز وجل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذبين فيه العلة فقال حتى تعلموا ماتقولون وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم مايقول فى صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم (١) من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا غفرله ماتقدم من ذنبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروى عن الله سبحانه فى الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل أتقبل صلاته انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على عبادى وأطعم الفقير الجائع لوجهى وقال صلى الله عليه وسلم (٣) انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولاهيبة فاقيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه (٤) واذا صليت فصل صلاة مودع أى مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال عز وجل ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم (٥) من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن ادم اذا شئت أن تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم (٧) لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه

---

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا غفرله ماتقدم من ذنبه ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث صلة ابن أشيم مرسلا وهو فى الصحيحين من حديث عثمان بزيادة فى أوله دون قوله بشىء من الدنيا وزاد طس الا بخير (٢) حديث انما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن العباس باسناد مضطرب (٣) حديث انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله دت من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث اذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبى أيوب وك من حديث سعد بن ابى وقاص وقال صحيح الاسناد والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ورواه طب وأسنده ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عباس باسنادلين والطبرانى من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر الحديث واسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرته الصلاة كانه لم يعرفنا ولم نعرفه الازدى فى الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع الأذان كانه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب واسناده ضعيف

اليها مع هذا الوضوح ولا فهم الا بالله ولا شرح الا منه ولا نور الا من عنده وله الحول والقوة وهو العلى العظيم

﴿فصل﴾ وأما معنى افشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى ذلك تعظيما لما أتى به المفشى وتعظيما لما ارتكبه ويعترض هذا بان يقال لا يصح أن يسمى هذا كفرا الا انه ضد الكفر اذ الكفر الذى سمى على معناه ساتر وهذا المفشى للسر ناشر وأين النشر والاظهار من التغطية والاعلان من الكتم واندفاع هذا هين بان يقال ليس الكفر الشرعى تابع الاشتقاق وانما هو حكم لمخالفة الامر وارتكاب النهى فمن رد احسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر لجهتين.

على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى أن الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى وقيل لخلف بن ايوب ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها قال لاأعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لاهله تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم ويروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك ياأمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن على بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته الهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فاوحى الله اليه ياداود انما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس ان دعانى لبيته وان سالنى أعطيته أجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا وانما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لاتيبس أنهارها ولاتتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة اسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم الى صلاتى واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الايسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

(فضيلة المسجد وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال صلى الله عليه وسلم (٥) لاصلاة لجار المسجد الا فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم (٦) الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث أو يخرج من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم (٧) يأتى فى آخر الزمان ناس من

(١) حديث رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه ت الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم (٢) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث ه من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبى ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة (٣) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب فى الأوسط من حديث أبى سعيد بسند ضعيف (٤) حديث اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس متفق عليه من حديث أبى قتادة (٥) حديث لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد الدار قطنى من حديث جابر وأبى هريرة باسنادين ضعيفين و ك من حديث ابى هريرة (٦) حديث الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث يأتى

احداهما من جهة الاشتقاق ويكون اذ ذاك اسما ينبىء عن وصف والثانية من جهة الشرع ويكون اذ ذاك حكما يوجب عقوبة والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم ولاتذهب مع الألفاظ ولا يغرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفطن لخداعتها واحترس من استدراجها فاذا من أظهر ماأمر بكتمه كان كمن كتم ماأمر بنشره وفى مخالفة الامر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم وفى ارتكاب النهى عصيان ويسمى فى باب القياس على المذكور كفران البدن وقسمة أخرى وذلك ان المسلم ان حلل الى ماعلم من أجزائه بالاستقراء فرأس الانسان تشابه سماء علما لا من حيث ان كل ماعلا فهو سماء وحواسه تشابه الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضىء

بها والحواس أجسام لطيفة مشفة تستمد من الروح فيضىء مسالك المدركات وروح الانسان مشابهة للشمس

أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل فى بعض الكتب (١) ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الا خيرا ويروى فى الاثر أو الخبر (٣) الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعى كانوا يرون ان المشى فى الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوءه وقال على كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكى عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراسانى ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم

﴿ الباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله ﴾

ينبغى للمصلى اذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة الى الركبة أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويزاوج بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى صلى الله عليه وسلم (٤) عن الصفن والصفد فى الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله عز وجل الصافنات الجياد هذا ما يراعيه فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب وأما رأسه ان شاء تركه على استواء القيام وان شاء أطرق والاطراق اقرب للخشوع وأغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذى يصلى عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه أؤدى فريضة الظهر لله ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معانى هذه الالفاظ حاضرة فى قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد أن يستديم ذلك

فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود وك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (١) حديث قال الله تعالى ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبى سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك فيقول اين قراء القرآن وعمار المساجد وهو فى الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسند ابن حبان فى الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٢) حديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ت وحسنه و ه وك وصححه من حديث أبى سعيد (٣) حديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل

﴿ الباب الثانى ﴾

(٤) حديث النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وانما ذكره

فضياء العالم ونور نباته وحركة ضواربه وحيوانه وحياته فيها تظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل فى الظاهر نمو أجزاء بدنه ونبات شعره وحلول حياته وجعلت الشمس وسط العالم وهى تطلع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط جسم الانسان وهى تغيب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية ممحوة والنفس مثلها ومحو القمر فى آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس فى آن ليس عقلها منها ويعترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعترى النفس والروح وسائر الحواس غيب

الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر فى قلبه ذلك (١) فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذى بكفيه منكبيه و بابهاميه شحمتى أذنيه و برؤوس أصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه و يكون مقبلا بكفيه وابهاميه الى القبلة و يبسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل فى الأثر النشر والضم (٢) وهذا بينهما فهو أولى واذ استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر و يضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون محمولة و ينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد و يقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روى (٣) ان التكبير مع رفع اليدين ومع (٤) استقرارهما ومع الارسال (٥) فكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال أليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى فى صورة العقد ومبدؤه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغى ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير و يرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا و يستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم (٦) كان اذا كبر ارسل يديه و اذا اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغى ان يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء أكبر ورائه الفا كأنه يقول أكبار و يجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه * (القراءة) * ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن (٧) يقول عقيب قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (٨) وجهت وجهى الى قوله وأنا من المسلمين ثم يقول (٩) سبحانك اللهم و بحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد فى الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام

أصحاب الغريب كابن الاثير فى النهاية وروى سعيد ابن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا قدميه فقال أخطأ هذا السنة (١) حديث رفع اليدين الى حذو المنكبين وورد الى شحمة أذنيه وورد الى رؤوس اذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الاول ود من حديث وائل ابن حجر باسناد ضعيف الى شحمة اذنيه ولمسلم من حديث مالك ابن الحويرث فروع اذنيه (٢) حديث نشر الاصابع عند الافتتاح ونقل ضمها ت وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبى هريرة والبيهقى لم يفرج بين اصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الاصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخارى من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولابى داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) التكبير مع استقرار اليدين أى مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د وهما كذلك (٥) حديث التكبير مع ارسال اليدين د من حديث ابى حميد كان اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا قال ابن الصلاح فى المشكل فكلمة حتى التى هى للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أى من ابتداء التكبير مع الارسال (٦) حديث كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبرانى من حديث معاذ باسناد ضعيف (٧) حديث انه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث ود من حديث جبير ابن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٨) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهى الحديث م من حديث على (٩) حديث سبحانك اللهم و بحمدك الحديث فى الاستفتاح ايضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعفه قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجمع بين وجهت و بين سبحانك اللهم

وذهول وفى العالم نبات ومياه ور ياح وجبال وحيوان وفى الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهى العظام وحيوان وهى هوام الجسم فحصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ماهى لنا غير معروفة ولا معلومة كان فى استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه ما يحصل به لذوى العقول تشبيه وتمثيل فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد عليه اذ قد كثر الخلاف فى ذلك فاعلم انه انما على الانسان أن يبنى كلامه على ما يعلم لا على ما يجهل وأنت لو علمت النفس والروح علمت انهما اثنان فان قلت فقد سبق فى الاحياء انهما شئ واحد وقلت فى هذه الاجابة ان النفس من أسماء الروح فالذى سبق فى الاحياء ورأيت فى هذه الاجابة وهو

شيء واحد لا يتناقض مع ما قلناه الآن وذلك ان لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى وبغير ذلك ثم لا يعدان

سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا أن يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة

﴿الركوع ولواحقه﴾

ثم يركع ويراعي فيه أمورا وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشر حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح (١) ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود

﴿السجود﴾

ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبغي ان يكون أول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع جبهته وأنفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وان يكون في سجوده مخويا على الارض ولا تكون المرأة مخويه والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وان يضع يديه على الارض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليهما وان لم يضم الابهام فلا بأس (٢) ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا أن يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه وهو أقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ كالابتداء

﴿التشهد﴾

(١) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث دت وحسنه ون من حديث الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر واسناده صحيح

(٢) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الارض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث انس

يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الاضافة التي في ضمير صورته والوجه الآخر وهو ان من حمل اضافة الصورة الى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لان الله سبحانه نبا بانه حي قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكنونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم الا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ

فقط ولا يفهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وانما مرادنا تباين ما بين

ثم يشهد فى الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى و يقبض أصابعه اليمنى الا المسبحة ولا بأس بارسال الابهام أيضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله و يجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفى التشهد الاخير يستكمل (١) الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس فى الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر و يضجع رجله اليسرى خارجة من تحته و ينصب اليمنى و يضع رأس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله و يلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من الجانب اليمين و يلتفت شمالا كذلك و يسلم تسليمة ثانية و ينوى الخروج من الصلاة بالسلام و ينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين فى الاولى و ينوى مثل ذلك فى الثانية (٢) و يجزم التسليم ولا يمده مدا فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد و يرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته الا بقدر مايسمع نفسه و ينوى الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة و يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد و يجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح واولتى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد و يجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذلك الماموم و يقرن المأموم تأمينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويسكت الامام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب اليه نفسه و يقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام و يقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا الماموم ولا يزيد الامام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد فى التشهد الاول بعد قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد و يقتصر فى الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه فى التشهد الاخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينوى عند السلام السلام على القوم والملائكة و ينوى القوم بتسليمهم جوابه و يثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام و يقبل على الناس بوجهه والاولى ان يثبت ان كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم و ينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين احب الى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا و يجهر به و يؤمن القوم و يرفعون أيديهم حذاء الصدور و يمسح الوجه عند ختم الدعاء لحديث نقل فيه والا فالقياس ان لا يرفع اليد كما فى اخر التشهد

﴿ المنهيات ﴾

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن فى الصلاة والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء (٣) وعن السدل (٤) والكف (٥) وعن الاختصار (٦) وعن الصلب (٧) وعن المواصلة (٨)

---

(١) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث على فى دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر مايقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لى ما قدمت الحديث وفى الصحيحين من حديث عائشة اذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفى الباب غير ذلك جميعها فى الاصل (٢) حديث جزم السلام سنة د ت من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان (٣) حديث النهى عن الاقعاء ت ه من حديث على بسند ضعيف لاتقع بين السجدتين و م من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان ولك من حديث سمرة وصححه نهى عن الاقعاء (٤) حديث النهى عن السدل فى الصلاة د ت لك وصححه من حديث أبى هريرة (٥) حديث النهى عن الكفت فى الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا (٦) حديث النهى عن الاختصار د لك وصححه من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى ان يصلى الرجل مختصرا (٧) حديث النهى عن الصلب فى الصلاة د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٨) حديث النهى عن المواصلة عزاه رزين الى ت ولم

الصورتين بابعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى الا فى الاسماء الملفوظ بها لاغير وفوران تنبعث صورة لله تعالى و يطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق مايقرع سمعك و يلج قلبك و يظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان حملت احدى الصورتين على الأخرى فى الوجود تكن مشبها مطلقا ومعناه تتيقن انك من المشبهين لا من المنزهين على نفسك بالتشبيه معتقدا ولا تنكر كما قيل كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة أى تتلبس بدينهم وتريد أن لا تنسب اليهم أى تقرأ التوراة ولا تعمل بها وان كنت تعتقد الصورة الباطنة منزها مجللا ومقدسا مخلصا أى ليس تعتقد من الاضافة فى الضمير الى الله تعالى الا الاسماء دون المعانى فتلك المعانى المسماة لا يقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبلى رحمة الله عليه فى معنى ماذكرناه من

وعن صلاة الحاقن (١) والحاقب (٢) والحاذق (٣) وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم (٤) وهوستر الوجه أما الاقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه و ينصب ركبتيه و يجعل يديه على الارض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض منه الا رؤوس أصابع الرجلين والركبتين * وأما السدل فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه و يدخل يديه من داخل فيركع و يسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع و يسجد و يداه في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الازار على رأسه و يرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والاول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه اذا أراد السجود وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث (٥) أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه ان يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف * وأما الاختصار فان يضع يديه على خاصرتيه * وأما الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه في القيام و يجافي بين عضديه في القيام * وأما المواصلة فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما * وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحاذق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم (٦) اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء الا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب وفي الخبر (٧) لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وفي الحديث (٨) سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى

أجده عنده وقد فسره الغزالي بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د ت وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في صلاته فاذا فرغ من قراءته واذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة الحديث (١) حديث النهي عن صلاة الحاقن ه وقط من حديث أبي أمامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلي الرجل وهو حاقن و د من حديث أبي هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وله و ت وحسنه نحوه من حديث ثوبان و م من حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الاخبثان (٢) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهري بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا (٣) حديث النهي عن صلاة الحاذق عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأي لحاذق وهو صاحب الخف الضيق (٤) حديث النهي عن التلثم في الصلاة ده من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابي هو التلثم على الافواه (٥) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٧) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٨) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك ت من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني و بين صلاتي الحديث وللبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم

هذا الوجه قول بليغ مختصر حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على الاسماء والصفات لا على الذات فان قلت فكذا قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بتناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه في ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق فاعلم ان الذي ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد اعراضا عنه وأبلغ في الانكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذي ألممنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته اياه بل يدل منك انك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تعقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا و بين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك اننا اثبتنا الصورة في التسميات وهو اثبتها حالة للذات فاين من لب الجوز قشور تفرقع والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التي أشرنا

وان

وان تصلى بطريق من يمر بين يديك ونهى أيضا عن أن يشبك اصابعه (١) أو يفرقع أصابعه (٢) أو يستر وجهه (٣) أو يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه (٤) فى الركوع وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ فى الارض عند السجود للتنظيف وان يسوى الحصى بيده فانها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند فى قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالاظهر بطلان صلاته والله اعلم

﴿تمييز الفرائض والسنن﴾

جملة ماذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيآت مما ينبغى لمريد طريق الآخرة ان يراعى جميعها * فالفرض من جملتها اثنا عشر خصلة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء فى الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا تجب وماعدا هذا فليس بواجب بل هى سنن وهيآت فيها وفى الفرائض * أما السنن فمن الافعال اربعة رفع اليدين فى تكبيرة الاحرام وعند الهوى الى الركوع وعند الارتفاع الى القيام والجلسة للتشهد الاول فاما ماذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهى هيآت تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيآت تابعة للجلسه والاطراق وترك الالتفات هيآت للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنة فى الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة فى نفسها ولذلك لم تفرد بذكر * وأما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء فى آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر أربعة منها بسجود السهو * وأما من الافعال فواحدة وهى الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلاة فى أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر فى تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود وأما الاذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو الا ثلاثة القنوت والتشهد الاول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا تغير صورة العبادة * وأما الجلسة للتشهد الاول فنعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركها ظاهر التأثير واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء فى التشهد الاخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال فى الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمدمع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفى الممدود احتراز عن غير الصبح وفى خلوه عن ذكر

ان العبد وللشيخين من حديث أبى هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبى هريرة ان احدكم اذا قام يصلى جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدرى كم صلى (١) حديث النهى عن تشبيك الاصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ودت ه حب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٢) حديث النهى عن تفقيع الأصابع فى الصلاة ه من حديث على باسناد ضعيف لا تفقع اصابعك فى الصلاة (٣) حديث النهى عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبى هريرة حديث نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة قد تقدم (٤) حديث النهى عن التطبيق فى الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص قال كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا ان نضع الايدى على الركب

اليها واخرجناها الى حيز الوجود بها يدالله تعالى بالعبارة عنها وانما ظهر له شىء لم يكن له به الف وعلاه الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذى هو موجب عند ذوى القصور تشبيها وبين التأويل الذى ينفيه فاثبت المعنى المرغوب عنه وأرادنفى ما خاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فما هو صورة لا كالصورة ولكل ساقطة لاقطة فتبادر الناس الى الاخذ عنه

﴿فصل﴾ ومعنى قاطع الطريق فانك بالواد المقدس طوى أى دم على ماأنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادى المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى فى الوادى وانما تقدس الوادى بما أنزل فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادى مقاما حصل فيه فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والا فالمقصود ما حذف لا ما أظهر بالقول اذ المواضع لا تأثير لها وانما هى ظروف ﴿فصل﴾

واجب احتراز عن أصل القيام فى الصلاة ﴿فان قلت﴾ تميز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة و يتوجه العقاب به دونها فاما تميز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه * فاعلم أن اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك لك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته و بعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان و بعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون و بعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والاهداب وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتى ونحن الآن فى أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزى من الصلاة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف * وأما الهيآت وهى ماوراء السنن فتجرى مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون * وأما وظائف الاذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عزوجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسأت فعليها ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهى قول الطبيب ان فقء العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان اذا اخرجه فى معرض الهدية فهكذا ينبغى ان تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتنى فطالع الاخبار التى اوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها

﴿ الباب الثالث فى الشروط الباطنة من اعمال القلب ﴾

ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ماينبغى أن يحضر فى كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

﴿ بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب ﴾

اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى أقم الصلاة لذكرى وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهى وظاهره التحريم وقوله عزوجل حتى تعلموا ماتقولون تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفى وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله

موسى انى انا ربك اى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعارف وارتياح سلوك الطريق واشارات قرب الوصول وسر القلب كما يقول أدن الرأس ووسع الآذان ومايوحى اى مايرد من الله تعالى بواسطة ملك أوالقاء فى روع أومكاشفة تحقيقيه أوضرب مثل مع العلم بتأويله ومعنى لعلك حرف ترويج ومعنى ان لم تدركك آفة تقطعك عن سماع الوحى من اعجاب بحال أو اضافة دعوى الى النفس أوقنوع بما وصلت اليه واستبداده به عن غيره وسرادقات المجد هى حجب الملكوت وما نودى به موسى هو علم التوحيد التى وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له ياموسى انى انا الله لا اله الا انا والمنادى باسمه الله

الله عليه وسلم (١) كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به الا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها والتحقيق فيه أن المصلى (٤) مناج ربه عزوجل كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبته و بيانه أن الزكاة ان غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة مايحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فاما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة أو المقصود منه الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا أعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاى سؤال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد هذ حكم الاذكار بل أقول لو حلف الانسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا فى يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه مالم يكن هو حاضرا فى قلبه فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولاشك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لاسبيل الى انكارها فى النطق وتميزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن يكون معظما لله عزوجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة مايقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام و يقدم على الحج وسائر العبادات و يجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى ان هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة الا أن يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر هى المطلوبة فكيف الامر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها فهذا مايدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب (فان قلت) ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن

---

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ن ه من حديث أبى هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن (٢) حديث ليس للعبد من صلاته الا ماعقل لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ماسهى عنه (٣) حديث المصلى يناجى ربه متفق عليه من

أزلا وأبدا هو اسم موسى لما سمى السالك الموجود فى كلام الله تعالى فى ازل الازل قبل ان يخلق موسى لا الى أول وكلام الله تعالى صفة له لا يتغير كما لا يتغير هو اذا ليست صفاته المعنوية لغيره وهو الذى لا يحول ولا يزول وقد زل قوم عظم اقتراحهم وهو انهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوة وعياذا بالله من أين يحتمل هذا القول ما حملوه من المذهب أليسوا وهم يعرفون أن كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يخاطب انسانا آخر قلد ولاية كبيرة وفوض اليه عملا عظيما وحباه حباء خطيرا وهو ينادى باسمه أو يأمره بما يمتثل من أمره ثم ان السامع للملك الحاضر معه غير المولى لم يشارك المولى المخلوع عليه والمفوض اليه فى شىء مما ولى واعطى ولم تجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة المخاطب بالولاية

القلوب ولا فى طريق الآخرة بل ينبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحرث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته الا ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هـذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط الا ان مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس احضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة واذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق أحد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة وان أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة وكم من حى لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل فى جميعها الا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون

﴿بيان المعانى الباطنة التى بها تتم حياة الصلاة﴾

اعلم ان هذه المعانى تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهى حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها * أما التفاصيل * فالاول حضور القلب ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شىء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة * وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب

حديث أنس (١) حديث ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث د ن حب من حديث عمار بن ياسر بنحوه

والمفوض اليه الامر ولذلك هـذا السالك المذكور اذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك اذ هو محل سماع الوحى على الدوام وموضع الملائكة وكفى بهما انها الحضرة الربوبية وموسى عليه السلام ما استحق الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحى مقصودا بذلك بمحاوله فى هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى الى ذلك المقام اضعافا فجاوز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل فمقامه اعلى بكثير مما نحن آخذون فى أطرافه لان هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة ليست من غايات

والفهم

والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما * وأما الهيبة فزائدة على التنظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد ومايجرى مجراه من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال * وأما الرجاء فلاشك انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما انه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل * وأما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب * وأما أسباب هذه المعاني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة اليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وأبقى وان الصلاة وسيلة اليها فاذا أضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدى بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع * وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ماهو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر اليها ومالم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيأ أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه * وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة مايجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف مايشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات * وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم مايقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ماطلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الايمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء

مقام الولاية بل هو الى مباديها أقرب منه الى غايتها فمن لم يفهم درجات المقام وخصائص النبوة واحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيهما والطعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا يعرف انه مؤاخذ بكلامه محاسب بظنه ويقينه مكتوب عليه خطراته محفوظ عليه لحظاته مخلصا منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبه ان تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول فاذا باب السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية مايرد ماقلناه ولا يكسره لانا

الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم و بقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا و نحدثه فاذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روى ان الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتنى فاذكرنى وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا واذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق وروى ان الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى آليت على نفسى ان من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان و باختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها و بعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه و يساره ووجيب قلب ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أووزير يحدثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه و يموت على ماعاش عليه و يراعى فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

﴿ بيان الدواء النافع فى حضور القلب ﴾

اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشئ الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطنا أما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهمم حتى يتبعه و يتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره و يتسلسل و يكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم أو لا يترك بين يديه مايشغل حسه و يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره و يحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والاقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد و يغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود و يرون كمال الصلاة فى ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه * وأما الاسباب الباطنة فهى أشد فان من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لا ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ماوقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا الى فهم مايقرؤه فى الصلاة و يشغلها به عن غيره و يعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر

أليس من يسمع كلام انسان مثلا مما يتكلم به غيره السامع فيقال فيه ان كلمه وقد حكى ان طائفة من بنى اسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذى خاطب به موسى حين كلمه ثم اذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة فى نبوته ورسالته على انا نقول نفس ورود الخطاب الى السامعين من الله تعالى يمكن الاختلاف فيه فيكون النبي المرسل يسمع كلام الله تعالى عز وجل الذاتى القديم بلا حجاب فى السمع ولا واسطة بينه و بين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى فى روعه ومما ينادى به فى سمعه أوسره واشباه ذلك كما ذكر ان قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى انهم سمعوا

المقام

المقام بين يدى الله سبحانه وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى شيبة (١) انى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذى يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو أن ينظر فى الامور الصارفة الشاغلة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه أضر عليه من اخراجه فيتخلص منه باخراجه كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس (٢) الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا بها الى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بانبجانية ابى جهم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صلاته اذ كان جديدا فامر أن (٣) ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم (٤) قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى عز وجل كى لا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى أول سائل لقيه ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه (٥) وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروى ان أبا طلحة (٦) صلى فى حائط له فيه شجر فاعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت * وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغنى غيره فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التى لا تشغل الا حواشى القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السوانى ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات اذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول فى دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمى ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى

---

(١) حديث انى نسيت أن أقول لك تخمر القرنين اللذين فى البيت الحديث د من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخميصة وقال ائتونى بانبجانية أبى جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم فى العلم (٣) حديث أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق اذ نظر اليه فى صلاته ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النضر مرسلا باسناد صحيح (٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى الحديث ابو عبد الله بن حقيق فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف (٥) حديث رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم ن من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق (٦) حديث ان أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر فى الشجر الحديث فى سهوه فى الصلاة وتصدقه بالحائط مالك عن عبد الله بن أبى بكر ان أبا طلحة الأنصارى فذكره بنحوه

بالحقيقة الذى هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضرورى وسمى ذلك الذى سمعوه كلامه اذ كان دلالة عليه كما تسمى التلاوة وهى الحروف المتلو بها القرآن كلام الله تعالى اذ هى دلالة عليه فان قلت فما يبقى على السامع اذا سمع كلام الله تعالى الذى يستفيد معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العلم الضرورى فيما أرى بانه الشىء المرسل الا بان يشتغل باصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه

أخرعنه ومقامه مقامه ٧ فاعلم ان الذى أوجب عثورك ودوام زللك واعتراضك على العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالخايل أنك بعيد عن غوز

مال الى شىء منها الا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغى ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

﴿بيان تفصيل ماينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة﴾

فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها * أما الشروط السوابق فهى الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوأ بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) أرحنا يا بلال أى أرحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فاذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهى غلافك الاقرب ثم فى بشرتك وهو قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر معبودك * وأما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها الا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسىء الآبق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الامور الى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فانها اذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه وأما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل

(١) حديث أرحنا بها يا بلال قط فى العلل من حديث بلال ولابى داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح (٢) حديث اذا قام العبد الى صلاته وكان وجهه وهواه الى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاولى وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد به وبين من لا يستحق أكثر من سماعه من يخاطب به غيره فهذا من الاشارة باختلاف ورود الخطاب اليهما مما يوجب فوزا وتباين ما بينهما فان فهمت الآن والا فقد عنى لا ندر بحبال ٧ فان قيل ألم يقل الله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما فى الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس برسول قلنا فى الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع

صالح

صالح من أهلك أو ممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال (١) أبو هريرة كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك وروى من أهلك ❊ وأما النية فاعزم على اجابة الله عزوجل فى امتثال أمره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه باذنه اياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف ❊ وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فان كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عزوجل فانت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه ❊ وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذى تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه هو الى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات واياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجات بالكذب والاختلاط ولن ينصرف الوجه الى الله تعالى الا بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغى أن يخطر ببالك ان المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك ان وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عزوجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عزوجل وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عزوجل لا بمجرد قولك فان من قصده سبع اوعدو ليفترسه أو ليقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عزوجل عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال عزوجل فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم (٢) لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى

---

(١) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك الخرائطى فى مكارم الاخلاق هق فى الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا بنحوه وأرسله هق بزيادة ابن عمر فى السند وفى العلل قط عن ابن عمر له وقال انه أشبه شىء بالصواب لو روده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة (٢)

الصادق والمشاهدة الصورية وهو ان يكون معناه الامن ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالاخلاص والاستقامة أو عمل بما جاء به لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل يبقى الا ما غاب عنه أن ينكشف اليه وقال ان يكن منكم محدثون فعمر أو كما قال المؤمن ينظر بنور الله وفى القرآن العزيز قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فعلم ما غاب عن غيره من امكان بيان ما وعد به وأراد انه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذى القرنين من اخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وان كان وقع الاختلاف فى نبوة ذى القرنين فالاجماع على انه ليس برسول وهو خلاف المسطور فى الآية وان رام أحد المدافعة بالاجتيال لما أخبر به

والتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه فامامن اتخذ الهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله عز وجل واعلم ان مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ماتقرأ فاعلم أن كل مايشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها *فاما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهى درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعانى أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعانى انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم ان معناها ان الامور كلها بالله سبحانه وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث انه مسخر من الله عز وجل ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلانه لا ملك الا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق أنه ماتيسرت طاعتك الا باعانته وأن له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا الى جوارك ويفضى بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل امين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم [1] قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدنى عبدى وأثنى على وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغى أن تفهم ماتقرؤه من السور كما سيأتى فى كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهى والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق أخبار الانبياء وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور خر ميتا وكان ابراهيم النخعى اذا سمع قوله تعالى اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلى مغلوبا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدى جبار قاهر وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات أيضا ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نغماته فى اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد

حديث قال الله تعالى لا اله الا الله حصنى ك فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية من طريق أهل البيت من حديث على باسناد ضعيف جدا وقول أبى منصور الديلمى انه حديث ثابت مردود عليه (٦) حديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث م عن أبى هريرة

جرى للخضر وما أنبأ الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد ان يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول الا من ارتضى من رسول فدل على ان فى الآية حذف مضاف معناه ماتقدم وانظر الى ماظهر من كلام سعد رضى الله عنه انه يرى الملائكة وهو غيب الله وأعلم أبو بكر بما فى البطن وهى من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأول ويلهو المعاند هذا والقول بتخصيص العموم أظهر من الجراءة وأشهر مما نقل الكافة ويحتمل ان يكون المراد فى الآية بالرسول المذكور فيها ملك الوحى الذى بواسطته تتجلى العلوم وتنكشف الغيوب فمتى لم يرسل الله ملكا باعلام غيب أو يخاطب مشافهة

والتعظيم والتمجيد كان النخعى اذا مر بمثل قوله عز وجل ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يخفض صوته كالمستحى عن أن يذكره بكل شئ لا يليق به وروى أنه يقال(١) لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وأما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل(٢) مقبل على المصلى مالم يلتفت وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود اليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعى ولهذا ورد فى الدعاء(٣) اللهم أصلح الراعى والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدى الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة فى قوله عز وجل الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديدنية ٧ ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء فى نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أى أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الارض ثم تهوى الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه أجلب للخشوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى أصله فانك من التراب خلقت واليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الاعلى وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى رحمة الله فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أى من الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك فى أنه يبلغه ويرد عليك ماهو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتى

(١) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق د ت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح
(٢) حديث ان الله يقبل على المصلى مالم يلتفت د ن ك وصحح اسناده من حديث أبى ذر (٣) حديث اللهم أصلح الراعى والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح

قوله بتجديدنية هكذا هو فى النسخ ولينظر ما معناه فان هذا ليس موضع نية وليس نسخة الشرح التى كتب عليها اه مصححه

غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ان يرسله الى من يشاء من عباده فى يقظة أو منام فانه يطلع على ذلك أيضا ويكون فائدة الاخبار بهذا فى الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شئ من مكنوناته واعلامه انه لا تصل اليها نفسه ولا مخلوق سواه الا بالله تعالى حين أرسل اليه الملك بذلك وبعثه الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع الى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شئ من علم أو معرفة أو غير ذلك الا بارادته ومشيئته ويحتمل وجه آخر وهو ان يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى

يريد من سائر خلقه واصناف عباده ويكون معنى من رسول أى عن بدء رسول من الملائكة (فصل) ومعنى ولا يتخطى رقاب الصديقين

الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك فى دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه صل صلاة مودع ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ماشاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبا القدر الذى يسر له منه ينبغى أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة الا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله ان يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذلا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته

واعلم ان تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله عز وجل واداءها بالشروط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار فى القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض وأسرار الربوبية انما يكاشفون فى الصلاة لاسيما فى السجود اذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب وانما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشئ بعينه وينكشف لبعضهم الشئ بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعانى فى كل وقت أسباب خفية لا تحصى وأشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شئ معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراءى الا فى المرائى الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم الصدا على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود الانسان فى متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ماربما أنكر مايزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان فى كل طور يكاد ينكر مابعده ومن أنكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطوارا فلا ينبغى أن ينكر كل واحد ماوراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فانكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففى الخبر(١) ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادى مناد لو علم هذا المناجى من يناجى ماالتفت وان أبواب السماء تفتح للمصلين وان الله عز وجل يباهى ملائكته بعبده المصلى ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذى ذكرناه وفى التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدى مصليا باكيا فانا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف

(١) حديث ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث لم اجده

يجاوزه وانما خاصية من هو فى رتبة الصديقين عدم السؤال لكثرة التحقق بالاحوال وخاصية من هو فى رتبة القرب كثرة السؤال طمعا فى بلوغ الآمال ومثالهما فيما اشير اليه مثال انسانين دخلا فى بستان أحدهما يعرف جميع انواع نبات البستان ويتحقق انواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شئ مما يراه ولا يحتاج الى ان يخبر به والثانى لا يعرف مما رأى شيأ او يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقى وذلك من تمكننا عليه حين اكثر السؤال عما يبعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه الى ماهو أعلى منه وكان غير مراد لذلك اما فى ذلك الوقت أو الابد وتلك العلوم متى كانت لا تنال بالكسب وانما

الحجاب و يقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك وذلك ان العبد قدجمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقدفرق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لايركعون الى يوم القيامة والساجدون لايرفعون الى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فان مارزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لايزيد ولا ينقص ولذلك أخبر الله عنهم انهم قالوا ومامنا الاله مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة فى الترقى من درجة الى درجة فانه لايزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه و باب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد الارتبته التى هى وقف عليه وعبادته التى هومشغول بها لاينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات قال الله عزوجل قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح أولا وبوراثة الفردوس آخرا وماعندى أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى الى هذا الحد ولذلك قال عز وجل فى أضدادهم ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسال الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت أفعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضى الله عنهم ﴾

اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة بل فى خلوته وفى بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس انه أعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الاعمى قدجاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفى لفظ اخر لأحبك وفى لفظ اخر لضحك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل الساعة التى صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف وكان الربيع يقول مادخلت فى صلاة قط فهمنى فيها الا ماأقول ومايقال لى وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين وكان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء قال نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيا مما نجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الاسنة فى أحب الى من أن أجد فى صلاتى ماتجدون وكان يقول لوكشف الغطاء ماازددت يقينا وقدكان مسلم بن يسار منهم وقدنقلنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة فى المسجد وهوفى الصلاة وتأكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه فى الصلاة لايحس بما يجرى عليه فقطع وهو فى الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فاذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشىء من الدنيا فى الصلاة فقال لا فى الصلاة ولا فى غيرها وسئل بعضهم هل تذكر فى الصلاة شيأ فقال وهل شىء أحب

مقامهم فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فى حاله وسيرته فسلك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حالة القرب وهى تتلو الصديقية فهذا معناه ﴿فصل﴾ ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله الى ذلك الرفيق الاعلى اما أنه لما وصل اليه بالسؤال صرف اليه مالاق به من الاحوال ليحكم مابقى عليه من الاعمال كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم للذى سأله أن يعلمه غرائب العلم اذهب فاحكم ما هناك وبعد ذلك أعلمك غرائب العلم وأما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع بالتذكر وفوائد المزيد ووجهه ان من لم يستطع المقام فى ذلك الموضع بعد

وصوله اليه فذلك لتعلق خبر المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه

الى من الصلاة فاذكره فيها وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلاة ليدخل فى الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن[1] عمار بن ياسر صلى صلاة فاخفها فقيل له خففت ياأباالبقظان فقال هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال انى بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لايتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عزوجل فيها سئل أبو العالية عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذى ان صلاها فى أول الوقت لم يفرح وان أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة فى الصحة لاتتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذورد[2] جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفى الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا منى عبدى وبالنوافل تقرب الى عبدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم[3] قال الله تعالى لاينجو منى عبدى الا باداء ماافترضته عليه وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم[4] صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا اقرأت فسكت القوم فسأل أبى بن كعب رضى الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فماندرى أنسخت أم رفعت فقال أنت لها ياأبى ثم أقبل على الآخرين فقال مابال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لايدرون مايتلوعليهم من كتاب ربهم ألا ان بنى اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم أن قل لقومك تحضرونى ابدانكم وتعطونى ألسنتكم وتغيبون عنى بقلوبكم باطل ماتذهبون اليه وهذا يدل على أن استماع مايقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها الى الله عزوجل ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ماسبق على ان الاصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق

﴿الباب الرابع فى الامامة والقدوة﴾

وفى أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة

---

(١) حديث ان عمار بن ياسر صلى فاخفها فقيل له خففت ياأبا اليقظان الحديث وفيه ان العبد ليصلى صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها الى آخره أحمد باسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند د ن (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ان اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فان انتقص من فرضه شيئا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بهاما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله لاينجو منى عبدى الاباداء ماافترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا اقرأت فسكت القوم فسأل أبى بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمى من حديث أبى بن كعب ورواه ن مختصرا من حديث عبدالرحمن بن ابزى باسناد صحيح

﴿الباب الرابع﴾

بعد بالموت وطول الغيب عنه لايمكن فى العادة ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت الاوصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا وقد سبق فى علمه ولن تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول أبى سليمان الدارانى لووصلوا مارجعوا مارجع الى حالة الانتقاص من وصل الى حالة الاخلاص والذى طمع الناظر فى الحصول فيه سؤاله وتماديه الى حال القرب منه اذا لم يصلح لذلك ولم يصف ولم يخلص أعماله بافصل) ومعنى ان ليس فى الامكان ابدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة كان ذلك بخلا يناقض الكرم الالهى وان لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا يناقض القدرة الالهية فكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا وكان ذلك ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار اخراج العالم من العدم الى الوجود

(أما

﴿ أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة ﴾ أولها أن لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم أهل الخير والدين فالنظر اليهم أولى وفى الحديث[1] ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام أم قوما وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عن التقدمة ان كان وراءه من هو أفقه منه الا اذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فان لم يكن شىء من ذلك فليتقدم مهما ندم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روى من مدافعة الامامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه ايثارهم من رأوه انه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لا سيما فى جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس *الثانية اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغى أن يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى أن يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة أولى وقال قائلون الاذان أولى لما نقلناه من فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم[2] الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم[3] الامام أمين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفى الحديث[4] فان أتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولانه صلى الله عليه وسلم قال[5] اللهم أرشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة أولى بالطلب فان الرشد راد للمغفرة وفى الخبر[6] من أم فى ٧ مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح أن الامامة أفضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والائمة بعدهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الامارة والخلافة أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم[7] ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه فقد قال صلى الله عليه وسلم[8] أئمتكم شفعاؤكم أو قال وفدكم الى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة[9] فى تقديم أبى بكر الصديق رضى الله

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد الآبق الحديث ت من حديث أبى أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبى هريرة وحكى عن ابن المدينى انه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبى أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبى هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فان أتم فله ولهم وان انتقص فعليه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة ابن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وان أخطؤا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين (٦) حديث من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشطر الاول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة الطبرانى من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (٨) حديث أئمتكم وفدكم الى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم قط هق وضعف اسناده من حديث ابن عمر والبغوى وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم و ك من حديث مرثد بن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الاسلمى وهو ضعيف (٩) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وانى

٧ قوله من أم الخ هكذا هو فى النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن فى العراقى والشارح بلفظ اذن فى الموضعين فليحرر الحديث اه مصححه

مثل ماقيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لان تأخيره بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم الى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان الفاعل المختار له أن يفعل فاذا فعل فليس فى الامكان أن يفعل الا نهاية ما تقتضيه الحكمة التى عرفنا انها حكمة ولم يعرفنا بذلك الا لنعلم مجارى أفعاله ومصادر أموره وأن نتحقق ان كل ما اقتضاه ويقضيه من خلقه بعلمه وارادته وقدرته ان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله فى صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان ما خلق ناقصا بالاضافة الى غيره ما قدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظننا اذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم

عنه وعنهم للخلافة اذقالوا انظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا للدنيا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وماقدموا[1] بلالا احتجاجا بأنه رضيه للاذان وماروى أنه قال له رجل يارسول الله[2] دلنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع فقال صل بازاء الامام فلعله ظن أنه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليها الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه[3] ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث[4] ان العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد[5] تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنتم هكذا فافعلوا وقد[6] تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره * الرابعة أن يؤم مخلصا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته أما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبى العاص الثقفى وقال[7] اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الاذان أجرا فالاذان طريق الى الصلاة فهى أولى بان لا يؤخذ عليها أجر فان أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية فى الفرائض أشد منها فى التراويح وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد فى اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة وأما الامانة فهى الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغى ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغى أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر فى أثناء

لشاهدما أنا بغائب ولابى مرض فرضينا للدنيا مارضى به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس (١) حديث تقديمه الصحابة بلالا احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه للاذان أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد فى بدء الاذان وفيه قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فروى الطبرانى أن بلالا جاء الى أبى بكر فقال ياخليفة رسول الله أردت أن اربط نفسى فى سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يابلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفى أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ماقال لابى بكر فأبى عليه فقال عمر فمن يابلال فقال الى سعد فانه قد أذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الاذان الى سعد وعقبه وفى اسناده جهالة (٢) حديث قال له رجل يارسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء و طب فى الاوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٣) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٤) حديث ان العبد ليصلى الصلاة فى أول وقتها ولم تفته الحديث الدار قطنى من حديث أبى هريرة نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر وكان فى سفر وانما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة (٦) حديث تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٧) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه

ه قول العراقى تقديمه الصحابة بلالا لعل المناسب عدم تقديمه فليتأمل اه مصححه

فهو ما وعرفهم ما اكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ومن حيث اعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض هنا ويتزر به الامن لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح فى مشابه ذلك أصلا فى العلم أو كان نسخا له ومعنى فقيس عليه غيره وأما انكشافه بخير ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم فى حق المخبر اذ أفشاه لغيره أهله وأهداه لمن لا يستحقه كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام لا تعلقوا الدر فى أعناق الخنازير وانما أراد اقطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وأما سر العلم الذى يوجب كشفه بطلان الاحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضعيفة بطلت الاحكام

صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغى أن يستحى بل يأخذ بيد من يقرب منه و يستخلفه فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) الجنابة فى اثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل فى الصلاة وقال سفيان صل خلف كل بر و فاجر الا مدمن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق * الخامسة ان لا يكبر حتى تستوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب و يتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس فى الصلاة ففى الخبر (٢) ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر مايفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى (٣) عن مدافعة الاخبثين (٤) وأمر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب * السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر مايسمع نفسه و ينوى الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدىء بعد فراغه والله أعلم ﴿وأما وظائف القراءة فثلاثة﴾ أولها أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد و يجهر بالفاتحة والسورة بعدها فى جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد و يجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذا المأموم و يقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا (٥) و يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة (٦) واختيار الشافعى رضى الله عنه الجهر * الثانية أن يكون للامام فى القيام ثلاث سكتات هكذا رواه (٧) سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن اذا كبر وهى الطولى منهن مقدار مايقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه مانقص من صلاتهم فان لم يقرؤا الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لا عليهم * والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الاولى فاتحته وهى كنصف السكتة الاولى * السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى اخفها

أجرة أصحاب السنن و ك وصححه من حديث عثمان بن أبى العاص الثقفى (١) حديث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الجنابة فى صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبى بكرة باسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وانما قال ثم أومأ اليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر فى قصة طعنه (٢) حديث يمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر مايفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره ت ك من حديث جابر يابلال اجعل بين اذانك واقامتك قدر مايفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر اذا دخل لقضاء حاجته قال ت إسناده مجهول وقال ك ليس فى اسناده مطعون فيه غير عمرو ابن فائد قلت بل فيه عبد المنعم الرياحى منكر الحديث قاله خ وغيره (٣) حديث النهى عن مدافعة الاخبثين م من حديث عائشة بلفظ لاصلاة وللبيهقى لا يصلين أحدكم الحديث (٤) حديث الامر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه (٥) حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححاه من حديث ابن عباس (٦) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وللنسائى يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (٧) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين فى سكتات الامام احمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتات فى صلاته وقال عمران انا أحفظهما عن رسول صلى الله عليه وسلم فكتبوا فى ذلك الى ابى بن كعب فكتب ان سمرة قد حفظ هكذا وجدته فى غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف ان عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا فى غير موضع من المسند و د ه حب و ت فانكر ذلك عمران وقال حفظنا سكتة وقال حسن انتهى وليس فى حديث سمرة الا سكتتان ولكن اختلف عنه فى محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبى هريرة

فى حقها لمن يطلع عليه فى ذلك السر من معرفة مآل الاشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العباد ومايظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا انه من اهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه فى خير وكذلك لو انكشف له انه من أهل النار كل انهماكه فلا يحتاج الى تعب زائد ولا تصيبه مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الاحكام الجارية عليه وان كان كشفها من مخبر استروح الضعيف الى مايسمع من ذلك فيعطل وينخرم حاله وينحل قيده وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل الا على مايقدر لا على مايوجد ولذلك جعله مقرونا بحرف لو الدال على امتناع الشىء لامتناع غيره كما يقال لو كان للانسان جناحان لطار ولو كان للسماء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكا لفقد الشهوات فعلى هذا يخرج كلام سهل فى ظاهر العلم ﴿فصل﴾ وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر

وذلك بقدر ماتنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة * الوظيفة الثالثة ان يقرأ في الصبح سورتين من المثاني مادون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بان يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين الى أن يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وأدعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم (١) قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وروى أنه صلى الله عليه وسلم (٢) قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وفي الثانية ربنا آمنا بما أنزلت (٣) وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت و يقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ما صلى بعدها حتى قبض و بالجملة التخفيف أولى لاسيما اذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة (٥) اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ماشاء وقد كان (٦) معاذ ابن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فقال أفتان أنت يا معاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها ﴿ وأما وظائف الاركان فثلاثة ﴾ أولها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال (٧) ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم روى أيضا أن انس بن مالك (٨) لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ماصليت وراء احد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروى مجملا انهم قالوا (٩) كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع أحسن فاذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين

حديث النبي صلى الله عليه وسلم اسكن أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وقال بعضهم اسال الارض تخبرك عمن شق انهارها وفجر بحارها وفتق أهواءها ورتق احواءها وأرسى جبالها ان لم تجبك اجابتك اعتبارا وانما الذي يتوقف على الاذهان و يتحير في قوله والسامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ففي هذا وقع الانكار اذضطرب النظار وكذب في تصحيح وجوده او السمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام العقلاء من لم يعقل عنه في المشهود يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتي كما تتلق من أهل النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك أكثر مايكون للانبياء

وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الامام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سكتاته (١) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٢) حديث قرأ في الفجر قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما أنزلت م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الاولى منهما قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما آمنا بالله وأشهد وابانا مسلمون و د من حديث أبي هريرة قل آمنا بالله وما انزل علينا الآية وفي الركعة الآخرة منهما ربنا آمنا بما انزلت أو انا أرسلناك بالحق (٣) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه (٤) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي اخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل (٥) حديث اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهي عند البيهقي (٧) حديث أنس مارأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٨) حديث أنس انه صلى خلف عمر ابن عبد العزيز فقال ماصليت وراء احد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب الحديث د ن باسناد جيد وضعفه ابن القطان (٩) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا الا في الحديث الذى قبله وفيه فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات وفي سجوده عشر تسبيحات

الروايات و ينبغي أن يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده * الثانية في المأموم ينبغي أن لا يساوي الامام في الركوع والسجود بل يتاخر فلا يهوى للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى المسجد (١) هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون و يركعون بعد الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الامام وقد اختلف في أن الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم * الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفرلي فقد كره للامام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين أي مطموسها * واما وظائف التحلل ثلاثة * أولها أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة * الثانية أن يثبت عقيب السلام (٣) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى النافلة في موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم (٤) يكن يقعد الا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام * الثالثة اذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما أحسن صلاتك وأتمها الا شيأ واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم الا انكم انصرفتم قبل أن ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني و يؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما اشبه ذلك (٥) وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف و بينهما أيضا فرق وذلك أن للايدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء والله أعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة والله الموفق

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

(١) حديث كان الصحابة لا يهوون للسجود الا اذا وصلت جبهة النبي صلى الله عليه وسلم الى الارض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٢) حديث التعوذ في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه الغزالي هنا واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين ولم أجده مقيدا بآخر الصلاة وللترمذي من حديث ابن عباس واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون ولك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش وصححهما وسيأتي في الدعاء (٣) حديث المكث بعد السلام خ من حديث أم سلمة (٤) حديث انه لم يكن يقعد الا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام م من حديث عائشة (٥) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم

قبل مبعثه ومنها تلقى الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس و يعتري هذا سائر الحواس كمثل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرئي النائم ليس له وجود في سمعه وأماما يجده غير النائم في اليقظة فنها خاصة وعامة ٧ ينادي المسلم يامسلم خلفي يهودي فاقتله وان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الابصار في العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل في أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودي حتى يقتله وكما يقال في العرض الاكبر يوم القيامة اذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلائق مثل اسم النادى به كثير وقد قالت

﴿ فضيلة الجمعة ﴾

اعلم ان هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعى الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم (١) ان الله عزوجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخر (٣) فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر (٤) ان اهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (٥) أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه وليس له قسم ذخر له ماهو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم (٦) خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسمية الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة وفى الخبر (٧) ان لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم (٨) قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم (٩) ان الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر

﴿ الباب الخامس ﴾

(١) حديث ان الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا الحديث ه من حديث جابر باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له واصحاب السنن و ك وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى (٣) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس (٤) حديث ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه (٥) حديث أنس أتانى جبريل فى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعى فى المسند والطبرانى فى الاوسط وابن مردويه فى التفسير باسانيد ضعيفة مع اختلاف (٦) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبى هريرة (٧) حديث ان لله فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار عد حب فى الضعفاء وهب فى الشعب من حديث أنس قال قط فى العلل والحديث غير ثابت (٨) حديث أنس اذا سلمت الجمعة سلمت الايام حب فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية وهق فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٩) حديث ان الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس الى أن قال الا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع (١٠) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وهو و ت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس اسناده بمتصل قلت وصله ت الحكيم فى النوادر

العلماء انه لا يسمع النداء فى ذلك الجمع الا من نودى فيحتمل ان يكون ذلك النداء بخلق للمنادى فى حاسة اذنه ليتحرك الى الحساب وحده دون من يشاركه فى اسمه ولا يكون نداء من خارج والامثلة كثيرة فى الشرع وفيما سمعت غنية ومقنع ومنها تلقى الكلام فى العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس شعر

واجهشت للتوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى
فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك فى عيش وخفض زمان
فقال مضوا واستودعونى بلادهم * ومن الذى يبقى على الحدثان

وفى أمثال العوام قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد للحائط سل من يدقنى فلو كانت العبارة تتأتى منها ما عبرت الا ؟ اقد استعير لها وعلى هذا المعنى

﴿ بيان شروط الجمعة ﴾

اعلم انها تشارك جميع الصلوات فى الشروط وتتميز عنها بستة شروط * الاول الوقت فان وقعت تسليمة الامام فى وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف * الثانى المكان فلا تصح فى الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استئذانه * الثالث العدد فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما فى الخطبة أو فى الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الآخر * الرابع الجماعة فلو صلى أربعون فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممها ظهرا * الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى فى ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى يقع بها التحريم أولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الاقدم فان تساويا ففى الاقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى * السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفى الاولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله والثانية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة اية من القرآن وكذا فرائض الثانية أربعة الا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واسماع الخطبتين واجب من الاربعين

﴿ واما السنن ﴾ فاذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا وشمالا ويشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر كى لا يعبث بهما أو يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم فى قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو فى قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ويرخص لهؤلاء فى ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعنى أصحاب الاعذار تأخير الظهر الى أن يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم

﴿ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل ﴾

الاول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل فى هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التى تمنعه من البكور الى الجمعة وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس أو السبت لا مفردا فانه مكروه ويشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وبختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع أهله فى هذه الليلة أو فى يوم الجمعة فقد استحب

كثير من العلماء قوله تعالى اخبارا عن السماء والارض حين قالتا اتينا طائعين وفى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى يونس بن متى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان يلبى وتجيبه الجبال والله يقول لبيك يا يونس فقوله كأنى يدل على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها فى الحال وجود ذاتى لان يونس بن متى عليه السلام قد مات وتلك الحالة منه سلفت وفى هذا الحديث اخبار عن الوجود الخيالى فى البصر والوجود الخيالى فى السمع ومنها تلقى الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو صوتا من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره مما غاب عنه كقوله عليه السلام فى صوت أبى موسى

ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم [1] رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين اذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الامس وأخفهم نصيبا من اذا أصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لأجلها * الثانى اذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فأقربه الى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم [2] غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما [3] من أتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم [4] من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل وكان أهل المدينة اذا تساب المتسابان يقول أحدهما للآخر لأنت اشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة [5] وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال مازدت بعد أن سمعت الأذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله عنه وبما روى انه صلى الله عليه وسلم [6] قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له أللجمعة فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم وانما أمره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا وقد جعل فى الشرع قربة فلابد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب أن يحترز عن ذلك * الثالث الزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق فى كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام فى الخميس أو الاربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين فى جواره [7] وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه روى ذلك فى الاثر وقال الشافعى رضى الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البيض من الثياب اذ أحب الثياب الى الله تعالى البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة فى هذا اليوم [8] روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحب و ك وصححه من حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر الحديث وحسنه ت (٢) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبى سعيد (٣) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٤) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهق من حديث ابن عمر (٥) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث الى ان قال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى عثمان (٦) حديث من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت الحديث د ت وحسنه و ن من حديث سمرة (٧) حديث طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه د ت وحسنه و ن من حديث أبى هريرة (٨) حديث واثلة بن الاسقع ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة طب وعد وقال منكر من حديث أبى الدرداء ولم اره من حديث واثلة

الاشعرى اذ سمعه يترنم بالقرآن لقد اعطى مزمارا من مزامير آل داود ومزامير آل داود وقد عدمت وذهبت وانما شب صوته بها وكما اذا سمع المريد صوت مزمار أو عود فجأة على غير قصد يتخيل صرير أبواب الجنة وشبهها بما فحاصوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فانت اذا أحسنت التصرف بين اساليبها ولم يعترك غلط فى بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عمن . نظر بمشكاة نور الله تعالى الى كاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له ما بال وجهك وقد كان أبيض أشقر مونقا والآن قد ظهر فيه السواد فلم سودت وجهك فقال سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات إعمل الفكر وجدد النظر وخل ا

قال

قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها لكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الامام المنبر ولا في خطبته * الرابع البكور الى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلاة قاصدا للبادرة الى جواب نداء الله عز وجل الى الجمعة اياه والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه أفضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر (٣) اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الخبر (٤) ان الملائكة يتفقدون الرجل اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فأغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوأة من الناس يمشون في السرج يزدحمون بها الى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقيل أول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الاسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضي الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها رابع أربعة وما رابع أربعة من البكور ببعيد * الخامس في هيئة الدخول ينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد (٥) في تخطي الرقاب وهو أنه

(١) حديث من راح الى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الاقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا الابل في طلبهن الأذان والصف الاول والغدو الى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الاعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ما أخذنه الا بالاستهام عليها حرصا على مافيهن من الخير والبركة الحديث قال والتهجير الى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا ان يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا اليه (٣) حديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب (٤) حديث ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا مافعل فلان هق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص باسناد حسن واعلم ان المصنف ذكر هذا أثرا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وانما ذكرناه احتياطا (٥) حديث من تخطى

والكلام الى اجزائه التي ينتظم منها جملة مابلغك فسال عن معنى الناظر ومعنى المشكاة ومعنى نور الله سبحانه وما سبب انه لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب وبأي لسان خاطب الكاغد وكيف مخاطبة الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما صدق الناطق الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيبدو لك ههنا من الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس والمشكاة استعارة من مشكاة الزجاجة التي أعمرت بسراج النار الى خبر المعرفة الملقب بسر القلب شبيها بها لانها مسرجة الرب سبحانه وتعالى شعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الذاهبة باذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه اضافته الى الله تعالى على سبيل الاشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والحبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما

يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم نرك تتخطى رقاب الناس أشار به الى أنه أحبط عمله وفى حديث مسند أنه قال (٢) ما منعك أن تصلى معنا قال أو لم ترنى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم رأيتك تأنيت وآذيت أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن فى المسجد الا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لانه تكليف جواب فى غير محله * السادس أن لا يمر بين يدى الناس ويجلس حيث هو الى قرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه أعنى بين يدى المصلى فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم (٣) لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدى المصلى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لأن يكون الرجل رمادا رمديدا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع فقال (٥) لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلى فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم (٦) ليدفعه فان أبى فليدفعه فان أبى فليقاتله فانه شيطان وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيأ طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده * السابع أن يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه (٧) وفى الحديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفى لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى (٨) وقد اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل فى طلب الصف الاول عن ثلاثة أمور * أولها انه اذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى فى سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد وأشار به الى ان ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثورى الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من أبى جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال

رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم ت وضعفه و ه من حديث معاذ بن أنس (١) حديث ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك فى الرقائق (٢) حديث ما منعك أن تصلى معنا فقال أولم ترنى قال رأيتك آنيت وآذيت د ن حب ك من حديث عبد الله بن بسر مختصرا (٣) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهيم أن يقف أربعين قال أبو النضر لا أدرى أربعين يوما أو شهرا أو سنة و ه وحب من حديث أبى هريرة مائة عام (٤) حديث لان يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى أبو نعيم فى تاريخ اصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا (٥) حديث لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح (٦) حديث أبى سعيد فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان متفق عليه (٧) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن (٨) حديث انه اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس د حب ك من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وقال صحيح على شرط م

وجعلهما مبدأ طريقه واول سلوكه اذ هما فى عالم الملك والشهادة الذى محل جولة الناظر فى حال نظره وأما سبب انه لم يعرف الكتابة والمكتوب فلاجل انه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعى وانما يروم معرفة قراءة الخط الالهى الذى هو أمين وأدل على الفهم منه واما مخاطبة الناظر الكاغد وهو جماد سبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى قدر حال الناظر ان كان مرادا فيلقى الكلام فى الحسن بما ينبئه عن المطلوب من الحق وهو من باب الالقاء فى الروع فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد فى عذره واحالته على الحبر لم يكن لمجرد قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم تكن وشهادة النفس وهذا

شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر كما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أباعبد الله أليس في الخبر (١) ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب الى الله عزوجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابى الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم (٢) الا أن هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما أخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات * ثانيها ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن و بكر المزني لا يصليان في المقصورة ورأيا انها قصرت على السلاطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة * وثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب و يسمع منه ولا يبعد أن يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الاسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس و يقيمهم من الرحاب * الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام و يقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس به للدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما انهما قالا من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أومه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على أن الاسكات ينبغي أن يكون باشارة أو رمي حصاة لا بالنطق (٤) وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ اليه ان اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبي * وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان كل ذلك يتسلسل و يفضي الى هينمة حتى ينتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد

(١) حديث ادن فاستمع د من حديث سمرة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٢) حديث أبي الدرداء ان هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله اذا نظر الى العبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس لم أجده (٣) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ت ن عن أبي هريرة دون قوله ومن لغا فلا جمعة له قال ت حديث صحيح وهو في الصحيحين بلفظ اذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له (٤) حديث أبي ذر لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث هق وقال في المعرفة اسناده صحيح ه من حديث أبي بن كعب بسند صحيح ان السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولاحمد من حديث ابي الدرداء انه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبد الله بن مسعود ولابي يعلى من حديث جابر قال سعد بن أبي وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يا سعد فقال لانه كان

العقل والعلم الموجودين في الانسان المستقرة في القوة الوهمية المدركة جميع مالا يستدعي وجوده جسما ولكن قد يعرض له انه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتتبع للعطف وتنفر من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم الملكوت وذلك من العلم الالهي الى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن الملائكة و يسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فاما أي شيء حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لاجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا ينتفع بسماعه مع عدم المشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك انك لا تخبر

فلينصت فهو المستحب واذا كانت تكره الصلاة فى وقت خطبة الامام فالكلام أولى بالكراهية وقال على كرم الله وجهه تكره الصلاة فى أربع ساعات بعد الفجر و بعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب * التاسع ان يراعى فى قدوة الجمعة ماذكرناه فى غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان و يستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من دوام على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم (١) كان يصلى بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة أربعا (٢) وروى على وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ستا (٣) والكل صحيح فى أحوال مختلفة والاكمل أفضل * العاشر أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان أقام الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعنى فالافضل أن يرجع الى بيته ذاكرا لله عز وجل مفكرا فى آلائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم (٤) يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم

﴿ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة امور ﴾

الاول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجلس القصاص فلا خير فى كلامهم ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير ولا ينبغى أن يحضر الحلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم (٥) نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله يذكر بايام الله ويفقه فى دين الله يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل (٦) فقد روى أبو ذر ان حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة قال أنس بن مالك فى قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله أما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع قال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى العلم فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع * بكر ابن عمر رضى الله عنهما الى مجلسه فى المسجد الجامع فاذا قاص يقص فى موضعه فقال قم عن مجلسى فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك اليه فأرسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم (٧) لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام الرجل له من مجلسه

يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (١) حديث ابن عمر فى الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٢) حديث أبى هريرة فى الاربع ركعات بعد الجمعة م اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا (٣) حديث على وعبد الله فى صلاة ست ركعات بعد الجمعة هق مرفوعا عن على وله موقوفا على ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٤) حديث يأتى على أمتى زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم الحديث هق فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده ك من حديث أنس وصحح اسناده و حب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٥) حديث عبد الله بن عمر فى النهى عن التحلق يوم الجمعة د ن ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٦) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم فى العلم (٧) حديث لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من

غنى حميد

(فصل) والفرق بين العلم المحسوس فى عالم الملك و بين العلم الالهى فى عالم الملكوت أن العلم كما اعتقدته محسا بطىء الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهلاك مخلفا عن مثله فى الظاهر مجعولا تحت قهر سلطان الآدمى الضعيف الجاهل فى أكثر أوقاته متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والعدل والظلم والشك والصدق والا فك فالعلم الالهى عبارة عن خلق لله فى عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية السكائنة فى عالم الملك يرى من أوصاف ماسمى به القلم المحسوس كليا مصرفا يتميز الخالق بحكم ارادته على ما سبق به علمه فى أزل الازل وانما سمى بهذا الاسم لاجل شبهه بعمل ماسمى به غيره انه لا يكتب الا حقائق الحق والفرق بتسميات ليس لها مسميات الى ان يلحقك الله باولى المشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله

لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروى ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده ❊ الثانى ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففى الخبر المشهور (١) ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله عز وجل فيها شيئا الا أعطاه وفى خبر اخر (٢) لا يصادفها عبد يصلى واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الامام المنبر وأخذ فى الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس (٣) وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتامر خادمتها أن تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتاخذ فى الدعاء والاستغفار الى أن تغرب الشمس وتخبر بان تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن ابيها صلى الله عليه وسلم وعليها وقال بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها وقيل انها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم (٤) أن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات (٥) وقد قال كعب الاحبار انها فى آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو فى الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا الى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما ❊ الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم (٦) من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه آداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين ياأرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان اراد أن يزيد اتى بالصلاة المأثورة (٧) فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك

حديث ابن عمر (١) حديث ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه ت ه من حديث عمرو بن عوف المزنى (٢) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث فاطمة فى ساعة الجمعة قط فى العلل هق فى الشعب وعلته الاختلاف (٤) حديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الحديث الحكيم فى النوادر وطب فى الاوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث ابى هريرة واختلف فى اسناده (٥) حديث اختلاف كعب وابى هريرة فى ساعة الجمعة وقول ابى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة قلت وقع فى الاحياء أن كعبا هو القائل انها آخر ساعة وليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فانما قال انها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه د ت ن حب من حديث أبى هريرة و ه نحوه من حديث عبد الله ابن سلام (٦) حديث من صلى فى يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن المسيب قال اظنه عن ابى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٧) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن ابى عاصم فى كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على

بين يمين الآدمى ويمين الله عز وجل أن يمين الآدمى كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها وعضل تعضل أدواؤها وعظام يعظم بلاؤها ولحم ممتد وجلد غير جلد موصولة كلها فى الضعف والانفعال ملقبة باليد وهى عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هى عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق لله هى واسطة بين القلم الالهى الناقش العلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التى هى صفة له صرف بها اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الالهى المثبوت على صفحات المخلوقات الذى ليس بعربى ولا عجمى يقرؤه الاميون اذا شرحت صدرهم وتستعجم على القارئين اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك يمين الآدمى إلا فى بعض الاسماء لاجل الشبهة اللطيف الذى بينهما بالفعل وتقريبا الى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل

ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله و بلغه مأموله واجعله اول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلغ حجته وارفع فى أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين امين يارب العالمين وعلى الجملة فكل ماأتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا و ينبغى أن يضيف اليه الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب فى هذا اليوم * الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة (١) فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر له الى يوم الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال و يستحب ان يختم القرآن فى يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر ان قرأ بالليل أو فى ركعتى المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله احد ألف مرة و يقال ان من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة وان قرأ المسبحات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورا باعيانها الا فى يوم الجمعة وليلتها كان (٢) يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين وروى أنه صلى الله عليه وسلم (٣) كان يقرؤهما فى ركعتى الجمعة وكان يقرأ فى الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الانسان * الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلى اربع ركعات يقرأ فيهن (٤) قل هو الله احد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتى التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف (٥) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفى حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم (٦) سكت للداخل حتى صلاهما فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما و يستحب فى هذا اليوم او فى ليلته أن يصلى أربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه و يس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور فى ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ مايحسن فهو له بمنزلة الختمة و يكثر من قراءة سورة الاخلاص و يستحب ان يصلى صلاة التسبيح كما سيأتى فى باب

ابن مسعود (١) حديث ابن عباس وابى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة الحديث لم اجده من حديثهما (٢) حديث القراءة فى المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى عشائها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث سمرة وفى ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لا يصح مسندا ولا مرسلا (٣) حديث القراءة فى الجمعة بالجمعة والمنافقين وفى صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس و ابى هريرة (٤) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله احد مائتى مرة الحديث الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٥) حديث الامر بالتخفيف فى التحية اذا دخل والامام يخطب م من حديث جابر وخ الامر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٦) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث انس وقال اسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلا

على رسل الله تعالى من الذكر *فصل* وحد عالم الملك ماظهر للحواس ويكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وصحة التعبير وحد عالم الملكوت ماأوجده سبحانه بالامر الازلى بلا تدريج و بقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هوما بين العالمين مما يشبه ان يكون فى الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت *فصل* ومعنى ان الله خلق آدم على صورته فذلك على ماجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وللعلماء فيه وجهان فمنهم من يرى للحديث سببا وهو ان رجلا ضرب غلامه فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال ان الله تعالى خلق آدم على صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل فى هذا الموضع لم يرد مورد آخر فى غير هذا الموطن

استطوعات كيفيتها(١) لانه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس صلها فى كل جمعة وكان ابن عباس رضى الله عنهما لايدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن أن يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم و بعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار * السادس الصدقة مستحبة فى هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم فى كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جانب أبى فاعطى رجل أبى قطعة ليناوله اياها فلم ياخذها منه ابى وقال بن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال فى الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا أن يسال قائما أوقاعدا فى مكانه من غير تخط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم انى اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسال الله تعالى شيأ الا أعطاه وقال بعض السلف من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفرلى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له * السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدىء فيه السفر(٢) فقد روى أنه من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء ليشرب به أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فان البيع والشراء فى المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل فى المسجد وبالجملة ينبغى ان يزيد فى الجمعة فى أوراده وأنواع خيراته فان الله سبحانه اذا احب عبدا استعمله فى الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله فى الاوقات الفاضلة بسيىء الاعمال ليكون ذلك أوجع فى عتابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب فى الجمعة دعوات وسيأتى ذكرها فى كتاب الدعوات ان شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ الباب السادس فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها
فاما المسائل التى تقع نادرة فقد استقصيناها فى كتب الفقه ﴾

﴿ مسئلة ﴾ الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك فى دفع المار وقتل العقرب التى تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تاذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذى يشوش عليه الخشوع كان معاذ ياخذ القملة والبرغوث فى الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة فى الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعى ياخذها و يوهنها ولا شىء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب ياخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الى أن يدعها الا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر مالا تؤذى ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسى ذلك فيفسد على صلاتى وقد سمعت أن الفساق بين يدى الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله عز وجل فى نفسه ولا يحرك لسانه وان تجشأ فينبغى أن لا يرفع راسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغى أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة ﴿ مسئلة ﴾ الصلاة فى النعلين جائزة وان كان

(١) حديث صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها فى كل جمعة د ه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عق وغيره ليس فيها حديث صحيح (٢) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط فى الافراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث أبى هريرة بسند ضعيف
(الباب السادس)

يعسر ويعسر فليق المسبب على حاله ولينظر فى وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به فى هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذى فى صورته عائدا الى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورته هى الى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة الى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الاضافة وعلى أى جهة يحمل فى الاعتقاد العلمى على الله سبحانه ففيها وجهان أحدهما ان أضافته أضافة ملك الى الله تعالى كما يضاف اليه العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الاوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة

نزع النعلين سبيلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم (١) في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال
صلى الله عليه وسلم ان جبرائيل عليه السلام آتاني فأخبرني ان بهما خبثا فاذا أراد احدكم المسجد فليقلب نعليه
ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لانه صلى الله
عليه وسلم قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا
على موافقته (٢) وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا قد فعل كليهما فمن خلع
فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه و يساره فيضيق الموضع و يقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه
فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى
أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة
لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) على يساره وكان أماما
فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف أحد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه
ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة ﴿مسئلة﴾ اذا بزق في صلاته
لم تبطل صلاته لانه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه
فينبغي ان يحترز منه الا كما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم (٥) رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها
بزعفران ثم التفت الينا وقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا احد قال فان احدكم اذا دخل في الصلاة فان الله
عز وجل بينه و بين القبلة وفي لفظ اخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن
شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض ﴿مسئلة﴾ لوقوف
المقتدى سنة وفرض أما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متاخرا عنه قليلا والمراة الواحدة تقف خلف
الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام
وهي خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يجر الى نفسه واحدا من الصف فان
وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية وأما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدى والامام رابطة
جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بنى له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى أن يعرف
أفعال الامام صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في
طريق او صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم ويكفي بها رابطة اذ يصل
فعل احدهما الى الآخر وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره و بابها لاطئ في المسجد
فالشرط ان يمد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه
دون من تقدم عليه وهكذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء ﴿مسئلة﴾
المسبوق اذا أدرك اخر صلاة الامام فهو اول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلاة
نفسه وان قنت مع الامام وان أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع

(١) حديث صلى في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له د ك وصححه من حديث أبي سعيد
(٢) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م (٣) حديث أبي هريرة اذا صلى احدكم
فليجعل نعليه بين رجليه د باسناد صحيح وضعفه المنذري وليس بجيد (٤) حديث وضعه نعلين على يساره م من
حديث عبد الله بن السائب (٥) حديث راى في القبلة نخامة فغضب الحديث م من حديث جابر واتفقا عليه
مختصرا من حديث انس وعائشة وابي سعيد وابي هريرة وابن عمر

تخصيص به تعالى فمن حملها على اضافة الملك له ورأى ان المراد بصورته هو العالم الاكبر بجملته وآدم مخلوق على
مضاهاة صورة العالم الاكبر لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت اجزاؤه بالعلم وفصلت اجزاء ادم عليه السلام بمثله وجدت اجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الاكبر واذا تشابهت اجزاء جملة اجزاء جملة فالجملتان بلا شك متشابهتان فالذي نظر في تحليل صورة العالم الاكبر فقسمه على انحاء من القسمة وقسم ادم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك ان العالم ينقسم الى قسمين احد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كالعظم
واللحم والدم وسائر انواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة

الامام

الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها وان أدرك الامام فى السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما اذا أدركه فى الركوع فانه يكبر ثانيا فى الهوى لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا فى الركوع والامام بعد فى حد الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة ﴿مسئلة﴾ من فاتته صلاة الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر أجزأه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء أولى فان صلى منفردا فى اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهما شاء فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعة اخرى فلينو الفائتة أو النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة ﴿مسئلة﴾ من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو راى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والاحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة ﴿مسئلة﴾ من ترك التشهد الاول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الاول أو فعل فعلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدر أصلى ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته فانه لما دخل فى السجود كأنه جعل سلامه نسيانا فى غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات ﴿مسئلة﴾ الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع لان امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى كان سفها فى عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر أو فى غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلى فى وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشئ فى النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم وان التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله انى اعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والادائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم ان امتثال

والقدرة وأشباه ذلك ﴿وقسم آخر﴾ وذلك ان العالم قد انقسم بالعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر للحواس والى عالم الملكوت وهو الباطن فى العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك انقسم الى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الاجزاء المحسوسة وقد علمتها والمشابهة لعالم الملكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمشابه لعالم الجبروت فكالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزائه والوجه الثانى أن يكون معناه كفرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الاول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث انسانا بما لم تصله عقوله ربما سارع الى التكذيب وهو الاكثر ومن كذب بقدرة الله تعالى او بما اوجدتها فقد

أمر الله سبحانه في النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله الى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع باول التكبير أو آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الامر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد في الوسوسة وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء الى معرفتها أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها ﴿مسئلة﴾ ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الاعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فان تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضي بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا أولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدي به ان يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له الا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه فقال(١) أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول ﴿مسئلة﴾ حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وأن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء(٣) في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا اخوانكم في الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى بعض من تخلف عن الجماعة اشارة الى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه الى خلف ويدخل فيه أعني اذا لم يكن بالغا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

﴿الباب السابع في النوافل من الصلوات﴾

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث ه من حديث ابن عمر بسند ضعيف ﴿الباب السابع﴾

بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا تلتفت الى ما مال اليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولي الحكمة والراسخين في العلم حين ظن ان قائل ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الايمان والاسلام يتعلق بخبره ٧ وتلحق قائله وهذا لا يخرج الا على مذاهب أهل الاهواء الذين يكفرون بالمعاصي وأهل السنن لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله بالقول الذي يتزه به والعمل الذي يقصد به التعبد لوجهه الذي يستزيد به ايمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد المزيد وينيله ما شرف من المنح ويزيه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والايمان

اعلم ،

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعنى بالسنن مانقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعنى بالمستحبات ماورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله فى صلوات الايام والليالى فى الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونعنى بالتطوعات ماوراء ذلك مما لم يرد فى عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب فى مناجاة الله عز وجل بالصلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلات مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة فى الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته فى الفضل بحسب ماورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم مابعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى مايتعلق باسباب كالكسوف والاستسقاء والى مايتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى مايتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام

﴿ القسم الاول مايتكرر بتكرر الايام والليالى وهى ثمانية خمسة هى رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى واحياء مابين العشاءين والتهجد ﴾

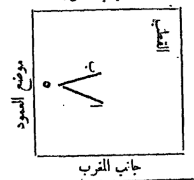
(الاولى) راتبة الصبح وهى ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير فى أوله الا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر فى ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فانه صلى الله عليه وسلم (٢) قال اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انهما أداء ماوقعتا قبل طلوع الشمس لانهما تابعتان للفرض فى وقته وانما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتأخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصليهما فى المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلى ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلى الى أن يصلى المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتى الفجر والفريضة (الثانيه) راتبة الظهر وهى ست ركعات ركعتان بعدها وهى أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهى أيضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (٣) انه قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة م من حديث أبى هريرة (٣) حديث أبى هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبى هريرة

مايحصل به تناقض الايمان اللهم الا ان يريد بافشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متمرد وليس بولى ومن أراد باحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لامحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ثم انه من سب أحدا منهم على معنى مايجده من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثمت من غير تكفير وانه أما فعل ذلك وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالاجماع ﴿سؤال﴾ فان قيل فما معنى قول سهل رحمه الله تعالى ونسب اليه للالهية سر لو انكشف لبطلت النبوات وللنبوات سر لو انكشف لبطل العلم وللعلم سر لو انكشف بطلت الاحكام وجاء فى الاحياء على اثر هذا القول وقائل هذا القول ان لم يرد به ابطال النبوة فى حق الضعفاء فما قالوا

له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم (1) لايدع أربعا بعد الزوال يطيلهن و يقول ان أبواب السماء تفتح فى هذه الساعة فاحب أن يرفع لى فيها عمل رواه أبو أيوب الانصارى وتفرد به ودل عليه أيضا ماروت أم حبيبه زوج النبى صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال من صلى فى كل يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت فى الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر رضى الله عنهما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فى كل يوم عشر ركعات فذكر ماذكرته أم حبيبة رضى الله عنها الا ركعتى الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتنى أختى حفصة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج وقال فى حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربعة و يدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلة الى جهة الشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع فى جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص و ينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل فى الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا أن الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لاترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقى من الظل الذى منه ياخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان و يعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالى بالليل و يضع فى الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لوتوهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أى لايكون الخط مائلا الى أحد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا فى موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح فى اول النهار مائلا الى جهة المغرب فى صوب خط ا ثم لايزال يميل الى ان ينطبق على خط ب بحيث لومد رأسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر و يكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل الى أحدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا فى وقت هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لابأس بمعرفته فى علم الزوال وهذه صورته

جانب الشرق



جانب المغرب

(١) حديث أبى أيوب كان لايدع أربعا بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبى داود وه مختصرا وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٢) حديث ام حبيبة من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة الحديث ن ك وصحح اسناده على شرط م ورواه م مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٣) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ

ليس بحق فان الصحيح لايتناقض والكامل من لايطفىء نوره معرفته نور ورعه وهذا وان لم يكن من الاسئلة المرسومة فهو متعلق منها بما فرع من الكلام فيها آنفا وناظر اليه اذ ما ادي افشاؤه الى ابطال النبوة والاحكام والعلم كفر (فالجواب) ان الذى قاله رحمه الله وان كان مستعجما فى الظاهر فهو قريب المسلك باد للمتأمل الذى يعرف مصادر أغراضهم ومسالك اقوالهم الالهية وصل اليه اليقين الذى لولاه لم يكن نبيا لايخلو ٧ أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التى هى غائبة عنها بان كانت القلوب ضعيفة طرا عليها من الدهش والاصطلام والحيرة والتيه ما يبهر العقول و يفقد الحس و يقطع عن الدنيا ومافيها وذلك لضعفه ومن انتهى الى هذه الحالة فتبطل النبوة فى حقه أن يعرفها أو يعقل الله

(الثالثة) راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعا ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر (الرابعة) راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما وأما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان المؤذن اذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) السوارى يصلون ركعتين وقال بعضهم (٣) كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم (٤) بين كل أذانين صلاة لمن شاء وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى أن يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم (٥) اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم والأحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقعت أداء ولكنه مكروه وأخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين (الخامسة) راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (٧) ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم (٨) الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض وترك الآكد أبعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر (السادسة) الوتر قال أنس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩) يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم (١٠) كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا

الخ ولم يقل في كل يوم (١) حديث ابي هريرة رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر د ت حب من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة أو غيره في ابتدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى اذا اذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث انس لا من حديث عبدة وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند أن ابي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا م من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبدالله بن مغفل (٥) حديث اذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام د (٧) حديث الوتر بثلاث بعد العشاء احمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن (٨) حديث الصلاة خير موضوع احمد وابن حبان ك وصححه من حديث ابى ذر (٩) حديث انس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى سبح الحديث ابن عدي في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (١٠) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا م من حديث عائشة

ان شابا من سالكي طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك وكان في مقام الضعفاء من المريدين فلم يطق حمله فمات به واما ان يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه فتبطل النبوة في حق المخبر حين نهى أن لا يفشى فأفشى أو أمر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها فلهذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه فان قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه اذا بطلت النبوة في حقه باخباره قلنا ما بطلت في حقه جميعا وانما بطل في حقه منها ما خالف الأمر الثابت من قبلها ويعد هذا من الكلام على تغليظ حق الافشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى افشاء سر الربوبية كفر وأما سر النبوة الذي أوجب العلم لمن رزقها ورزق

وفي بعضها مترتبا وفي بعض الاخبار (١) اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت الارض وسورة التكاثر وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة (٢) وثلاث (٣) وخمس (٤) وهكذا بالاوتار (٥) الى احدى عشرة ركعة (٦) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (٧) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (٨) وكانت هذه الركعات أعني ما سميناه جملتها وتر صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة أفضل اذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء او بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح أي لا ينال فضيلة الوتر (٩) الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في أي وقت كان وانما لم يصح قبل العشاء لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى بهما التهجد او سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر أن ينوي الوتر كما في الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان أحدهما ان يكون في نفسه وترا والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد

(السابعة) صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها أما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات روت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم (١٠) صلى الضحى ثماني ركعات أطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا القدر غيرها فاما عائشة رضي الله عنها فانها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم (١١) كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه فلم تحد الزيادة أي انه كان يواظب على الاربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى

---

(١) حديث اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه ثم صلى ركعتين الحديث هق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف اليه ولا ذكر ألهاكم التكاثر (٢) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٣) حديث الوتر بثلاث تقدم (٤) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء الا في آخرها (٥) حديث الوتر بسبع م د ن واللفظ له من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد الا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (٦) حديث الوتر باحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل احدى عشرة ركعة الحديث (٧) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد في رواية بركعتي الفجر (٨) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل (٩) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة ان الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (١٠) حديث أم هانئ صلى الضحى ثماني ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهي منكرة (١١) حديث عائشة كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله م

بالامر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر فيه فيكون كالنبي اذا سئل عن شيء لو وقعت له واقعة لم يحتج الى النظر فيها ولا الى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق باخبار ملك أو ضرب مثل يفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو القاء في روع فيعود ٧ مخترعاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيبا لا آخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجائبها ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه ولا جاوز التخوم الى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم ان الجنة اعلى النعيم وان النار أقصى العذاب الاليم وان النظر اليه منتهى الكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان منح المعارف والعلوم اسنى الهبات و يرى ان العالم باسره أخرجه

في

من العدم الذي هو نفي محض الى الوجود الذي هو اثبات محض وقدره منازل وجعله لميقات فمن حي وميت ومتحرك

في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم (١) كان يصلي الضحى ست ركعات وأما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين (٢) اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلاة العصر فان وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب وهذا أفضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة (الثامنة) احياء ما بين العشاءين وهي سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) بين العشاءين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم (٤) أنه قال من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم (٥) من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام و يغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الارض لوسعهم وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

﴿القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الاسابيع﴾

وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

اما الايام فنبتدأ فيها بيوم الاحد (يوم الاحد) روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) أنه قال من صلى يوم الاحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٧) انه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته (يوم الاثنين) روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) أنه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد

---

(١) حديث كان يصلي الضحى ست ركعات ك في فضل الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٢) حديث كان اذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا ت ن ه من حديث علي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم امهل حتى اذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٣) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده في الضحى به وطب في الاوسط والاصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبي هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلت له بعبادة ثنتي عشرة سنة (٤) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوابين ابن المبارك في الرقائق رواية من ابن المنذر مرسلا (٥) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة ابو الوليد الصفار في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر (٦) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى المديني من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٧) حديث علي وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد الحديث ذكره أبو موسى المديني فيه بغير اسناد (٨) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى المديني من

وساكن وعالم وجاهل وشقي وسعيد وقريب وبعيد وصغير وكبير وجليل وحقير وغني وفقير ومامور وامير ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر وذكر وانثى وارض وسماء ودنيا وأخرى وغير ذلك مما لا يحصى والكل قائم به موجود بقدرته وباق بعلمه ومنته الى اجله ومصرف بمشيئته وذلك على بالغ حكمته فما أكل جهل من لا يجد به الا قدماه ولا من يصرفه الا استبداده ولا ملكه الا املكه فيعود المحدث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخلق من خلق الله كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخييل المتوهين وزيغ الزائغين

(فصل) وأما حكم هذه العلوم المكتوبة في الطلب وسلوك هذه المقامات ورفق

المعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم (1) انه قال من صلى يوم الاثنين ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتى عشرة مرة واستغفر اثنتى عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان ابن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فاول مايعطى من الثواب ألف حلة و يتوج و يقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ (يوم الثلاثاء) روى يزيد الرقاشى عن أنس ابن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم (٢) من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفى حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة (يوم الاربعاء) روى أبو ادريس الخولانى عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) من صلى يوم الاربعاء ثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش ياعبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي (يوم الخميس) عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وآية الكرسى مائة مرة وفى الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة و يصلى على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة (يوم الجمعة) وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) أنه قال يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له فى الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له فى الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتى عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتى حسنة ومحا عنه ألفين ومائتى سيئة ورفع له فى الجنة ألفين ومائتى درجة وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (يوم السبت) روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم (٧) قال من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل

حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (١) حديث انس من صلى يوم الاثنين اثنتى عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى المدينى بغير سند وهو منكر (٢) حديث يزيد الرقاشى عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار الحديث أبو موسى المدينى بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه (٣) حديث أبى ادريس الخولانى عن معاذ من صلى يوم الاربعاء اثنتى عشرة ركعة الحديث أبو موسى المدينى وقال رواته ثقات الحديث مركب قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازى أحد الكذابين (٤) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى المدينى بسند ضعيف جدا (٥) حديث على يوم الجمعة صلاة ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس الحديث لم أجد له اصلا وهو باطل (٦) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات الحديث الدارقطنى فى غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب فى الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا (٧) حديث أبى هريرة من صلى يوم السبت اربع ركعات الحديث أبو موسى المدينى فى كتاب وظائف الليالى

هذه الدرجات واستفهام هذه المخاطبات أهي من قبيل الواجبات والمندوبات اوالمباحات فاعلم ان المسؤل عنه على ضربين أحدهما ماهو فى حكم المبادي والثانى فى حكم الغايات فاما الذى هو فى حكم المبادى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهول وافراغ الوسع وجمع مايقدر عليه من العبادة وذلك ماتضمنه أصول علم المعاملة مثل اخلاص التوحيد والصدق فى العمل وعدم الاحجاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لان هذه كلها وما يتعلق بها من علم الامر والنهى واجبة قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقد سبق التنبيه عليه وأما الذى هو فى حكم الغايات مثل انقلاب الهيآت والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالاثبات

٧ والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معانى التوحيد وسير معانى التقرير وأوصاف أهل أبيات

هو

هو الله احد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسى كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عزوجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء (وأما الليالى * ليلة الاحد) روى أنس بن مالك فى ليلة الاحد انه صلى الله عليه وسلم (١) قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عزوجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى الله ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عزوجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (ليلة الاثنين) روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ فى الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفى الثالثة الحمد لله وقل هو الله احد ثلاثين مرة وفى الرابعة الحمد لله وقل هو الله احد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤاله ماسأل وهى تسمى صلاة الحاجة (ليلة الثلاثاء) من صلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسى واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم واجر جسيم روى عن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله الى الجنة (ليلة الاربعاء) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤) أنه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الثانية بعد الفاتحة قل اعوذ برب الناس عشر مرات ثم اذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة وفى حديث آخر ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ فى آخر الركعتين آية الكرسى ثلاثين مرة وفى الاوليين ثلاثين مرة قل هو الله احد يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار (٥) روت فاطمة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاربعاء ست ركعات قرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (ليلة الخميس) قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (٦) من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء

والايام بسند ضعيف جدا (١) حديث انس من صلى ليلة الاحد بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة الحديث لم أجد له اصلا وحديث من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة الحديث ذكره ابوموسى المدينى بغير اسناد وهو منكر وروى ابوموسى من حديث انس فى فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الاعمش عن انس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المدينى هكذا عن الاعمش بغير اسناد وأسند من رواية يزيد الرقاشى عن انس حديثا فى صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة فى ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبوموسى بغير اسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا فى صلاة اربع ركعات فيها وكلها منكرة (٤) حديث من صلى ليلة الاربعاء ركعتين الحديث لم اجد فيه الا حديث جابر فى صلاة اربع ركعات فيها رواه أبوموسى المدينى وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أى ليلة الاربعاء الحديث أبوموسى المدينى بسند ضعيف جدا (٦) حديث ابى هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث ابوموسى

قول العراقى حديث أنس من صلى ليلة الاحد عشرين الخ لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا ما لم يخرجه تأمل

اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير ان ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء الى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تتخطى رقاب الصديقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته هى مراتب الصدق فى العلم وبركات الاخلاص فى العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المفترض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعانى فليس فى شىء من الحقيقة وان كان حقا غير ان حاله معلول اما مفتون بدنياه او محجوب بهواه وربك على كل شىء قدير *(فصل)* وأما لاى شىء ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات وبالمتشابه من الالفاظ دون المحكمات وان كان قد سبق هذا من الشارع فما له ان يمتحن به من كاف ويتلو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون

ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء (ليلة الجمعة) قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد احدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى ثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم [٢] من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكأنما احيا ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم [٣] أكثروا من الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة (ليلة السبت) قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له

﴿ القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين ﴾

وهي أربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان (الاولى صلاة العيدين) وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور * الاول التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكمل الاقاويل ويكبر عقب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد * الثاني اذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الافضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج * الثالث [٥] ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور * الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس فان كان [٦] يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو أن يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين * الخامس يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧]

المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (١) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لا أصل له (٢) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات الحديث باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وأبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للميت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب واذا زلزلت خمس عشرة مرة وقال ابراهيم بن المظفر خمسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح في أيام الاسبوع ولياليه شيء والله أعلم (٣) حديث أكثروا على من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الازهر طب في الاوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٤) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة (٦) حديث كان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية (٧) حديث تعجيل صلاة الاضحى وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الحويرث مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب

فما بال من لم يجعل شارعا ولم يبعث لغيران يسالك ذلك والجواب عنه ان العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وانما ورث العلم ليتجمل بعمله ويحل فيه كحله والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم الوارث فيما ورث حكم الموروث فما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله ومالم يصل اليه فيه شيء كان له اجتهاده فان أخطأ كان له أجر وان أصاب كان له اجران ثم ان الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم المعاملات وأشار مما وراءها بما لا يفهمه الا أرباب التخصيص كما قال الله عز وجل وما يعقلها الا العالمون فلم يكن للوارث تعد عن حكم الموروث كما حكي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اني رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

* السادس

* السادس فى كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين فى الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل و يقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد الصلاة جامعة و يصلى الامام بهم ركعتين يكبر فى الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر و يقول وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض عقيب تكبيرة الافتتاح و يؤخر الاستعاذة الى ماوراء الثامنة و يقرا سورة ق فى الاولى بعد الفاتحة واقتربت فى الثانية والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع و بين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها * السابع أن يضحى بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) بكبشين املحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيأ قال أبو أيوب الانصارى (٣) كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته و يأكلون و يطعمون وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهى عنه (٤) وقال سفيان الثورى يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة و بعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة * الثانية التراويح * وهى عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا فى ان الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال أخاف أن توجب عليكم وجمع عمر رضى الله عنه الناس عليها فى الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحى فقيل ان الجماعة أفضل لفعل عمر رضى الله عنه ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل فى الانفراد و ينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لان هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم (٦) فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت وروى أنه صلى الله عليه وسلم (٧) قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره من المساجد وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من ذلك كله رجل يصلى فى زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما الا الله عز وجل وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه فى الجمع و يأمن منه فى الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة أفضل كما

الى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الاضحى وأخر الفطر (١) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى متفق عليه دون قوله عنى الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود و ت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٢) حديث من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذن من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٣) حديث أبى أيوب كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون و يطعمون ت ه قال ت حسن صحيح (٤) قال سفيان الثوري من السنة ان يصلى بعد الفطر اثني عشرة ركعة و بعد الاضحى ست ركعات لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو انه صلى الله عليه وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى من السنة كذا واما قول تابعى التابع كذلك كالثورى فهو مقطوع (٥) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين او ثلاثا ثم لم يخرج وقال اخاف ان يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٦) حديث فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت رواه آدم بن أبى اياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن ابى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى عليه وسلم موقوفا وفى سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة (٧) حديث صلاة فى مسجدى هذا أفضل

وعاء من احدهما هو الذى بثثته فيكم وأما الثانى فلو بثثته لحز تم السكين على هذا البلعوم وأشار الى حلقه و بعد كل شيء ففي القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة وفى اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة وفوق كل ذى علم عليم وقد أفدناك من طرائف ما عندنا واهدينا اليك من غرائب ما لدينا والى الله يرد العلم مما دق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر وانما ينطق الانسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه اذ كل ميسر لما خلق له فاستنزل ما عند ربك وخالقك من خير واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر بقراءة السبع المثانى والقرآن العظيم التى أمرت بقراءتها فى كل صلاة وكذا عليك ان تعيدها فى كل ركعة واخبرك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم انه ليس فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الفرقان مثلها وفى هذا تنبيه بل تصريح بان يكثر

منها بماضمنت من الفوائد وخصصت به من الذخائر والعوائد بما الوسطر لكان فيه اوقار الجمال فافهم وانتبه واعقل

رآه عمر رضى الله عنه فان بعض النوافل قدشرعت فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعائر التى تظهر وأما الالتفات الى الرياء فى الجمع والكسل فى الانفراد عدول عن مقصود النظر فى فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكأن قائلة يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع و بين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب فى الوحدة فيجوز أن يكون فى تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت فى الوتر فى النصف الاخير من رمضان (أما صلاة رجب) فقد روى باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتى عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامى وعلى اله ثم يسجد و يقول فى سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه و يقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى و يقول فيها مثل ماقال فى السجدة الاولى ثم يسأل حاجته فى سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلى أحد هذه الصلاة الا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار و يشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما أوردناها فى هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لان هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكنى رأيت أهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها ﴿ وأما صلاة شعبان ﴾ فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد احدى عشرة مرة وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروى فى جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة و يسمونها صلاة الخير و يجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روى عن الحسن انه قال حدثنى ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [2] أن من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة

﴿ القسم الرابع من النوافل مايتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة ﴾

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتى الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها مايحضرنا الآن ﴿الاولى صلاة الخسوف﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة. قال ذلك لما مات ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر فى كيفيتها ووقتها أما الكيفية فاذا كسفت الشمس فى وقت الصلاة فيه مكروهة

من مائة صلاة فى غيره وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لا يعلمهما الا الله أبو الشيخ فى الثواب من حديث أنس صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بارض الرباط تعدل بالفى ألف صلاة واكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لا يريد بهما الا وجه الله عز وجل واسناده ضعيف وذكر ابو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة تعليقا من حديث الاوزاعى قال دخلت على يحيى فاسند لى حديثا فذكره الا انه قال فى الاولى ألف وفى الثانية مائة (١) حديث مامن احد يصوم أول خميس من رجب الحديث فى صلاة الرغائب اورده رزين فى كتابه وهو حديث موضوع (٢) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل و ه من حديث على اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف (٣) حديث ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله

ما خلقت له واعرف ما أعدلك والله تعالى سبحانه حسيب من أراد، وهادى من جاهد فى سبيله وكفى من توكل عليه وهو الغنى الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى المباعد بين حيلات قلوب البشران يصرف عنا حجب الكدورات والاهواء ومراتب الغين فبيده مجارى المقدورات وهو الله من ظهر وغبر واليه يرجع من آمن وكفر ومجازى الخلائق بنعيم أو سقر والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكافى الضر وعلى آله السادات الغر وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

(تم كتاب الاملاء فى مشكلات الاحياء)

(كتاب عوارف المعارف) (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله العظيم شأنه القوى سلطانه الظاهر احسانه

أو غير مكروهة نودى الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس فى المسجد ركعتين وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ولا يجهر فيقرأ فى الاولى من قيام الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفى الثانية الفاتحة وآل عمران وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح فى الركوع الاول قدر مائة آية وفى الثانى قدر ثمانين وفى الثالث قدر سبعين وفى الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية فاما وقتها فمند ابتداء الكسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة وتفوت صلاة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثانى مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول * (الثانية صلاة الاستسقاء) فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار أو انهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم (١) لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودى الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغى فى وسط الخطبة الثانية (٢) أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول فى الدعاء اللهم انك أمرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الايام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات * (الثالثة صلاة الجنائز) * وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ما روى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) صلى على جنازة فحفظت من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغى أن يراعى ترتيب الصلاة فى نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيرة الذى فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة فى هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هى الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات فى سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندى وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة فى فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطيل بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهى من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ثم ينال بها

الحديث اخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة (١) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث هق وضعفه من حديث أبى هريرة (٢) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى الاستسقاء اخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازنى (٣) حديث عوف بن مالك فى الصلاة على الجنازة اللهم اغفرلى وله وارحمنى وارحمه وعافنى

الباهر حجته وبرهانه المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمتردى بالعظمة فى الآباد والآزال لا يصوره وهم وخيال ولا يحصره حد ومثال ذى العز الدائم السرمدى والملك القائم الديمومى والقدرة الممتنع ادراك كنهها والسطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها نطقت الكائنات بانه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات الوجود بانه الخالق المخترع وسم عقل الانسان بالعجز والنقصان وألزم فصيحات الالسن وصف الحصر فى حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامح البصيرة تعظيما واجلالا ولم يجد من فرط الهيبة فى فضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا والعقل عليلا ولم ينتهج الى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته لولا

فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيأ الا شفعهم الله عز وجل فيه و اذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتدء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه ﴿الرابعة تحية المسجد﴾ ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الامام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وان اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا تكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى انه صلى الله عليه وسلم (٢) صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فأفاد هذا الحديث فائدتين احداهما ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في أن النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء واذا انتفت الكراهية بأضعف الاسباب فبالحرى أن تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها أسبابا * الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب وان كان المؤذن سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس يقضى اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه صلى الله عليه وسلم (٤) قال أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وان قل فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) أنه قال من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه ﴿الخامسة ركعتان بعد الوضوء﴾ مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما

وعافه الحديث مسلم دون الدعاء للمصلي (١) حديث ابن عباس ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م (٢) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم انه شغل عنهما الحديث (٣) حديث عائشة كان اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة الحديث م (٤) حديث أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل أخرجاه من حديث عائشة (٥) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله و رواه

تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكييفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الانس مملوءة ومرائي قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيأت لقبول الامداد القدسية واستعدت لورود الانوار العلوية واتخذت من الانفاس العطرية بالاذكار جلاسا وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا واشعلت في ظلم البشرية من اليقين نبراسا واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت واستفرشت بعلو همتها بساط الملكوت وامتدت الى المعالي أعناقها وطمحت الى اللامع العلوي أحداقها واتخذت من الملأ الاعلى مسامرا ومحاورا ومن النور الاعز الاقصى مزاورا ومجاورا أجساد أرضية ؟

يطرأ

يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم (1) دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا أني لا أحدث وضوأ الا أصلي عقيبه ركعتين ﴿ السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه ﴾ روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان (٣) عند الاحرام وركعتان (٤) عند ابتداء السفر وركعتان (٥) عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين اذا أكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الامور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم (٦) كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر الثانية مالا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد الثالثة مالا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب ﴿ السابعة صلاة الاستخارة ﴾ فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه او في الاقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير أينما كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرنا وقال بعض الحكماء من أعطي أربعا لم يمنع اربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول

ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة (١) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث اخرجاه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ابي هريرة اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك الحديث هق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان بن سليم قال بكر حسبته عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة اذا دخل احدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدي وهو بهذا الاسناد منكر وقال خ لا أصل له (٣) حديث ركعتي الاحرام خ من حديث ابن عمر (٤) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أنس ما استخلف في أهله من خليفة احب الى الله من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته اذا شد عليه ثياب سفره الحديث وهو ضعيف (٥) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك (٦) حديث كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر دن ه حب في صحيحه من حديث أبي هريرة (٧) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

بقلوب سماوية وأشباح فرشية بأرواح عرشية نفوسهم في منازل الخدمة سيارة وأرواحهم في فضاء القرب طيارة مذاهبهم في العبودية مشهورة وأعلامهم في أقطار الأرض منشورة يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يملكوا كائنين بالجثمان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدثان لارواحهم حول العرش تطواف ولقلوبهم من خزائن البر أسعاف يتنعمون بالخدمة في الدياجر ويتلذذون من وهج الطلب بظما الهواجر تسلوا بالصلوات عن الشهوات وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان وينم على مكنون سرائرهم نضارة العرفان لا يزال في كل عصر منهم علماء بالحق داعون للخلق منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمتقين قدوة فلا يزال

ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ﴿الثامنة صلاة الحاجة﴾ (١) فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه الى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل ﴿التاسعة صلاة التسبيح﴾ وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم (٢) قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا أمنحك ألا احبوك بشئ اذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلى اربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وانت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى اربع ركعات ان استطعت ان تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى السنة مرة وفى رواية أخرى انه يقول فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقى كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الاخير قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن اذ ورد ان صلاة (٣) الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك فى بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل فى الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهى مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى فى الاوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سببا الوضوء فينبغى أن يتوضأ ليصلى لا انه يصلى لانه توضأ وكل محدث يريد أن يصلى فى وقت الكراهية فلا سبيل له الا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغى أن ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل أن ينوى بالصلاة الوضوء بل ينبغى أن ينوى بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم ان يقول فى وضوئه اتوضأ لصلاتى وفى صلاته يقول اصلى لوضوئى بل من اراد ان يحرس

(١) حديث ابن مسعود فى صلاة الحاجة اثنى عشر ركعة ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل اخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن ابى اوفى وقال ت حديث غريب وفى اسناده مقال (٢) حديث صلاة التسبيح تقدم (٣) حديث صلاة الليل مثنى مثنى اخرجاه من حديث ابن عمر

وضوءه

تظهر فى الخلق آثارهم وتزهر فى الآفاق أنوارهم من اقتدى بهم اهتدى ومن أنكرهم ضل واعتدى فلله الحمد على ماهيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد والصلاة على نبيه ورسوله محمد وآله وأصحابه الاكرمين الامجاد ثم ان ايثارى لهدى هؤلاء القوم ومحبتى لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة حدانى ان ذبب عن هذه العصابة بهذه أبصبابة وأؤلف ابوابا فى الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلفت احوالهم وتستر بزيهم المتسترون وفسدت اعمالهم وسبق الى قلب من لا يعرف اصول سلفهم سوء ظن وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن ظنا منه ان حاصلهم راجع الى

وضوءه عن التعطيل فى وقت الكراهية فلينو قضاء ان كان يجوز أن يكون فى ذمته صلاة تطرق اليها خلل لسبب من الأسباب فان قضاء الصلوات فى أوقات الكراهية غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه لها ففى النهى فى اوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس والثانى الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال صلى الله عليه وسلم [(١)] ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها واذا ارتفعت فارقها فان استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوات فى هذه الاوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى والانسان حريص على مامنع منه ففى تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من اعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشىء الواحد لتسارع اليه الملل فاذا كانت هذه أمور امهمة فى النهى عن ارتكاب أوقات الكراهة الى غير ذلك من اسرار أخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ماضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم به مقصود النهى هذا هو الاوجه عندنا والله أعلم * كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب احياء علوم الدين يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(كتاب أسرار الزكاة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى اسعد واشقى وامات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم من نعمه ماأيسر به من شاء واستغنى واحوج اليه من اخفق فى رزقه واكدى اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين اساسا ومبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله واصحابه المخصوصين بالعلم والتقى (أما بعد) فان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الاعلام فقال تعالى واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم [(٢)] بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج حق الزكاة قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى فى اقفائهم يخرج من جباههم وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال أبو ذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٣)] وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى

---

(١) حديث ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم

(كتاب أسرار الزكاة)

(٢) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر (٣) حديث أبى ذر انتهيت الى النبى صلى الله

والاشارة الى أحوالهم وقد ورد من كثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف واجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله المعين * الباب الاول فى منشأ علوم الصوفية * الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع * الباب الثالث فى بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة الى أنموذج منها * الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها * الباب الخامس فى ذكر ماهية التصوف * الباب السادس فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم * الباب السابع فى ذكر المتصوف والمتشبه * الباب الثامن فى ذكر الملامتى وشرح حاله * الباب التاسع

قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الا كثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على مالا يستغنى عن معرفته مؤدي الزكاة وقابضها ويتكشف ذلك في اربعة فصول (الفصل الاول) في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها (الثاني) في آدبها وشروطها الباطنة والظاهرة (الثالث) في القابض وشروط استحقاقه وآدب قبضه (الرابع) في صدقة التطوع وفضلها

﴿ الفصل الاول ﴾ في انواع الزكاة واسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر ﴾

﴿ النوع الاول زكاة النعم ﴾

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال الشرط الاول كونه نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها * الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة واذا أسميت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها * الثالث الحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول اووهبه انقطع الحول * الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة مامضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى مايفضل عن الحاجة * الخامس كمال النصب ﴿أما الابل﴾ فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضان والجذعة التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون * (وأما البقر) * فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع * (وأما الغنم) * فلا زكاة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصاب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط ان يريحا معا ويسقيا

(١) حديث لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي باسناد جيد. و ه من حديث عائشة

عليه وسلم وهو الجالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة الحديث اخرجاه

معا

معاو يحلبا معاو يسرحامعاو يكون المرعى معا و يكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت مخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولسنتين اربع شياه أو أربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود و ياخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا تؤخذ في الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة و يؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال

(النوع الثاني زكاة المعشرات)

فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان تكون ثمانمائة من تمراً وزبيبا لا رطبا وعنبا و يخرج ذلك بعد التجفيف و يكمل مال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير و يكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح اوقناة فان كان يسقى بنضح اودالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار افة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف

(النوع الثالث زكاة النقدين)

فاذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا عند حلول الاجل

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهي كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد و به يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيأ ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والاولى ان تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما في النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجاريه بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس

(النوع الخامس الركاز والمعدن)

والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره أيضا ليس يبعد لان مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب

وفى الحول قولان وفى قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر وفى النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق و يعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه

﴿ النوع السادس فى صدقة الفطر ﴾

وهى واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكاة الاموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق و يجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم (٢) أدوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم واولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه أحكام فقهية لا بد للغنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا القدر

﴿ الفصل الثانى فى الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة ﴾

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور (الاول) النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض و يسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن فى ظاهر حكم الدنيا أعنى فى قطع المطالبة عنه أما فى الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى أن يستأنف الزكاة واذا وكل باداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية (الثانية) البدار عقيب الحول وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول و يجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما عجل اليه أو تلف مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامور وسلامة العاقبة (الثالث) أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه فى القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضى الله عنه يتساهل فى ذلك و يلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام قسم

باسناد ضعيف (١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجاه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق اسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم د من حديث أبى هريرة بسند صحيح وحب ك وصححه ورواه ن حب بتقديم

هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمى الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة فى وصول الحصى اليها فقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) فى احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه * القسم الثانى من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس * والقسم الثالث هو المركب الذى يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم فى نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعى رضى الله عنه فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق الى الافهام وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الاسلام ولا شك فى أن على المكلف تعبا فى تمييز أجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سيأتى والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الانواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها أن الشرع أوجب فى خمس من الابل شاة فعدل من الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وان كانت الثياب والامتعة كلها فى معناها فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على ان الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه * الرابع أن لا ينقل الصدقة الى بلد آخر * فان أعين المساكين فى كل بلدة تمتد الى أموالها وفى النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزأه فى قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة ثم لا بأس أن يصرف الى الغرباء فى تلك البلدة * الخامس أن يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين فى بلده * فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك فى التمليك والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان فى أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعنى أبناء السبيل وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه اما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له أن يقسم على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف عن ثلاثة ان وجد ثم لو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه

الزوجة على الولد وسيأتى (١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا البزار والدارقطنى فى العلل من حديث أنس

قيام الليل * الباب السابع والاربعون فى اداب الانتباه من النوم والعمل بالليل * الباب الثامن والاربعون فى تقسيم قيام الليل * الباب التاسع والاربعون فى استقبال النهار والادب فيه * الباب الخمسون فى ذكر العمل فى جميع النهار وتوزيع الاوقات * الباب الحادى والخمسون فى آداب المريد مع الشيخ * الباب الثانى والخمسون فيما يعتمده الشيخ مع الاصحاب والتلامذة * الباب الثالث والخمسون فى حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر * الباب الرابع والخمسون فى أداء حقوق الصحبة والاخوة فى الله تعالى * الباب الخامس والخمسون فى آداب الصحبة والاخوة * الباب السادس والخمسون فى معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك * الباب السابع والخمسون فى معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها * الباب الثامن والخمسون فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما * الباب

التاسع والخمسون فى الاشارة الى المقامات على الاختصار والايجاز * الباب الستون فى ذكر اشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب * الباب الحادى والستون فى ذكر الاحوال وشرحها * الباب الثانى والستون فى شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة الى الاحوال * الباب الثالث والستون فى ذكر شئ من البدايات والنهايات وصحتها فهذه الابواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية واحوالهم ومقاماتهم وادابهم واخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها أنباء عن وجدان واعتزاء الى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لانها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر

فان ذلك لابد منه * (بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة) *

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف *(الوظيفة الاولى)* فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مبانى الاسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الابدان وفيه ثلاثة معان * (الاول) * ان التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى فى بذل الاموال انقسم الناس الى ثلاثة أقسام قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فابوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع (١) ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقال مثله وقال لابى بكر رضى الله عنه ما أبقيت لاهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثانى درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين الى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد قال الشعبى بعد أن قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل وآتى المال على حبه ذوى القربى الآية واستدلوا بقوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا الباب انه مهما أرهقته حاجته كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة فرضا ولا يلزمه بذله بعد أن اسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله فى الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهى أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم أى يستقصى عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الاموال المعنى الثانى التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم (٢) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصى منه وانما تزول صفة البخل بان تتعود بذل المال فحب الشئ لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى * المعنى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث د ت ك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما ما بين كلمتيكما (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم

البدنية

البدنية شكر النعمة البدن والمالية شكر النعمة المال وما أخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدى شكرا لله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر أو العشر من ماله ﴿الوظيفة الثانية﴾ فى وقت الاداء ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة فى الامتثال بايصال السرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلما بان فى التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه أول السنة وهو من الاشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم [1] أجود الخلق وكان فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيأ ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهى العشر الاول والايام المعدودات وهى ايام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الاواخر وأفضل أيام ذى الحجة العشر الاول ﴿الوظيفة الثالثة﴾ الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم [2] أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال بعض العلماء [3] ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روى أيضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم [4] ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفى الحديث المشهور [5] سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطت يمينه وفى الخبر [6] صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم [7] لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ فى فضل الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد اعمى وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف أولى اذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد

---

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق واجود ما يكون فى رمضان الحديث أخرجاه من حديث ابن عباس (٢) حديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر أحمد حب ك من حديث أبى ذر ولابى داود من حديث أبى هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد المقل (٣) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها اخفاء الصدقة ابو نعيم فى كتاب الايجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٤) حديث ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر الحديث الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث صدقة السر تطفئ غضب الرب طب من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وهق فى الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ان الصدقة تطفئ غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٧) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان لم أظفر به

فاستعصت بكنهها على الاشارة وطفحت على العبارة وتهادتها الارواح بدلالة التشام والائتلاف وكرعت حقائقها من بحر الالطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم * كما انطمس كثير من حقائق رسومهم (وقد قال الجنيد) رحمه الله علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم فى حواشيه بدا هذا القول منه فى وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحى التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول والحمد لله رب العالمين ﴿الباب الاول فى ذكر منشا علوم الصوفية﴾ حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردى املاء من لفظه فى شوال سنة ستين وخمسمائة قال أنبأنا الشريف

منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الافاعى وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف أذاهما فهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ماضعف من العقرب زاد فى قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر أهون عليه وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاى فائدة فى ان يخالف دواعى البخل و يجيب دواعى الرياء فيضعف الادنى و يقوى الاقوى وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات *(الوظيفة الرابعة)* ان يظهر حيث يعلم ان فى اظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ان تبدوا الصدقات فنعما هى وذلك حيث يقتضى الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغى ان يترك التصدق خيفة من الرياء فى الاظهار بل ينبغى ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان فى الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بان يرى فى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه فامامن أظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها و بمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم [1] من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال الله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب الى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان فى بعض الاحوال لبعض الاشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال *(الوظيفة الخامسة)* ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا فى حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال ان يذكره و يتحدث به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره أو يوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] لا يقبل الله صدقة منان * وعندى أن المن له أصل ومغرس وهو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل ان تقع فى يد السائل فليتحقق أنه مسلم الى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته الى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه أما هو فانما يقضى الذى لزمه بشراء ما احبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان رأى نفسه محسنا اليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الامور فهذه كلها

هكذا [1] حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف [2] حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالذى قبله بحديث لم أجده [3] حديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع فى يد السائل قط فى الافراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق فى

نور الهدى ابو طالب الحسين بن محمد الزينبي قال اخبرتنا كريمة بنت احمد بن محمد المروزية المجاورة بمكة حرسها الله تعالى قالت أخبرنا بو الهيثم محمد بن مكى الكشميهنى قال أنبأنا ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابو أسامة عن بريد عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال ياقومى انى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به

ثمرات المنة ومعنى المنة فى الباطن ماذكرناه وأما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثانى رؤيته أنه خير من الفقير وان الفقير لسبب حاجته اخس منه وكلاهما منشؤه الجهل اما كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم فى مقابلة مايساوى ألفا فهو شديد الحمق ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله عزوجل والثواب فى الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل اوشكر الطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لاوجه لها وأما الثانى فهو أيضا جهل لانه لوعرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة فقال ابوذر من هم قال هم الاكثرون أموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذى يضره لوسلم اليه فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ويتميز عليه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكله أعداؤه فاذا امهما انتفت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له فى أداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى فان قلت فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا * فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لوجنى عليه جناية أو مالأ عدواله عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك (فان قلت) فهذا امر غامض ولاينفك قلب أحد عنه فما دواؤه * فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه فى تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالاعمال التى يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التى تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتى أسراره فى الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ مايدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لايتوقعون الدعاء لانه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولادواء من حيث الظاهر الاهذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولايعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم (١) ليس للمرء من صلاته الا ماعقل منها وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم لايتقبل الله صدقة منان وكقوله عزوجل لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه فى كتاب الصلاة ﴿الوظيفة السادسة﴾ ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ويقال ان الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عزوجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عزوجل وقيل لايتم المعروف الا بثلاثة امور تصغيره وتعجيله وستره

الشعب بسند ضعيف (١) حديث ليس للمؤمن من صلاته الا ماعقل منها تقدم فى الصلاة

مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخاذات أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة اخرى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ فذلك مثل من نقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ أعد الله تعالى لقبول ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصفى القلوب وأزكى النفوس فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية فى تفاوت الفائدة والنفع فمن القلوب ماهو بمثابة الارض الطيبة التى انبتت الكلأ والعشب الكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم فى نفسه واهتدى ونفعه علمه

وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد أو رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل أما العلم فهو ان يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرنا فى فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله عزوجل وله المنة عليه اذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ماهو عين حق الله سبحانه وان كان مقامه يقتضى ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ماينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عزوجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها و يرد البعض لان المال كله لله عزوجل و بذل جميعه هو الاحب عند الله سبحانه وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال عزوجل فيحفكم تبخلوا ﴿الوظيفة السابعة﴾ أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه اليه واجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث ابان عن أنس بن مالك[1] طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله عزوجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردأ طعام فى بيته لاوغر بذلك صدره هذا ان كان نظره الى الله عزوجل وان كان نظره الى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى أو أكل فافنى والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه أى لا تأخذونه الامع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفى الخبر[2] سبق درهم مائة ألف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عزوجل بشيء مما يحبه و بذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله مايكرهون فقال تعالى و يجعلون لله مايكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم أن لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله مايكرهون النار ﴿الوظيفة الثامنة﴾ ان يطلب لصدقته من تزكوا به الصدقة ولا يكتفى بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان فى عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة ﴿الاولى﴾ ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم[3] لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكاله فى طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم[4] أطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين وفى لفظ آخر[5] اضف بطعامك من تحبه فى الله تعالى وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال لاهؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلأن اردهمة واحد الى الله عز وجل احب الى من ان اعطى الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اولياء الله تعالى وقال ماسمعت منذ زمان كلاما

(١) حديث انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية عد والبزار (٢) حديث سبق درهم مائة ألف ن حب وصححه من حديث ابى هريرة (٣) حديث لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى دت من حديث ابى سعيد بلفظ لا تصحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى (٤) حديث اطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك فى البر والصلة من حديث ابى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول (٥) حديث اضف بطعامك من يحبه الله ابن المبارك انا جويبر عن الضحاك مرسلا

الغدران جمع اخاذة وهو المصنع والغدير الذى يجتمع فيه الماء فنفوس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد الفائدة فصاروا اخاذات قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم (اخبرنا) الشيخ الامام رضى الدين أبو الخير احمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال انبأنا ابو سعيد محمد الخليلى قال انبأنا القاضى ابو سعيد محمد الفرخزاذى قال انبانا ابو اسحق احمد بن محمد الثعالبي قال انبأنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا اسحق بن محمد قال حدثنا ابى قال حدثنا ابراهيم بن عيسى

أحسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه

﴿الصفة الثانية﴾ أن يكون من أهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل

﴿الصفة الثالثة﴾ أن يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى ان النعمة كلها منه وفى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك و بين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل اذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل و يسر له الاسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله فمهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل فى الاكثر جدواه واعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع وأما الذى يمدح بالعطاء و يدعو بالخير فسيذم بالمنع و يدعو بالشر عند الايذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم (١) بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول فلما أخذ قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعنى بفلان نفسه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم (٢) لرجل تب فقال أتوب الى الله وحده ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله (٣) ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال أبو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أفعل ولا أحمد الا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر وفى لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحى وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده

(١) حديث بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره الحديث لم أجد له أصلا الا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حدبرا فقد رويناه من طريق البيهقى انه وصل لحدير من ابى الدرداء شيئا فقال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل ان هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا جرية وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أحمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال أبواى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن احمد الله وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا ادنو منه الحديث

قال حدثنا على بن على قال حدثنا أبو حمزة الثمالى قال حدثنى عبدالله بن الحسن قال حين نزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى سألت الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أذنك يا على قال على فما نسيت شيأ بعد وما كان لى أن انسى قال أبو بكر الواسطى آذان وعت عن الله تعالى أسراره وقال أيضا واعية فى معادنها ليس فيها غير ماشهدته شىء فهى الخالية عما سواه فما اضطراب الطبائع الا ضرب من الجهل فقلوب الصوفية واعية لانهم زهدوا فى الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فبالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم وسمعت آذان قلوبهم وأعانهم على ذلك زهدهم فى الدنيا فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الاسلام أحاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الاحكام وردوا الحوادث المتجددة الى

اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون ومن لم تصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله سبحانه في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه ﴿الصفة الرابعة﴾ أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته و بقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا أي لا يلحون في السؤال لانهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة و يستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف مايصرف الى المجاهرين بالسؤال *(الصفة الخامسة)* ان يكون معيلا أو محبوسا بمرض أوسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله أي حبسوا في طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف فبهذه الاسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فمافوقها وكان صلى الله عليه وسلم [1] يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال *(الصفة السادسة)* أن يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب مالا يحصى قال علي رضي الله عنه لأن أصل أخا من اخواني بدرهم أحب الي من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما احب الي من أن أتصدق بمائة درهم ولأن اصله بمائة درهم أحب الي من ان أعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان أخطأ فله أجر واحد فان أحد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله عز وجل والاجر الثاني مايعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان أصاب حصل الاجران وان اخطأ حصل الاول دون الثاني فبهذا يضاعف اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم

(الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه)

(بيان اسباب الاستحقاق)

اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي ولا مطلبي اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية (الصنف الاول الفقراء) والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه في الحال قد عدم ماهو محتاج اليه وماهو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير و يجوز ان يشترى له آلة وان قدر على كسب لا يليق بمروأته

---

[1] حديث كان يعطي العطاء على مقدار العيلة لم ار له اصلا ولأبي داود من حديث عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه الفيء قسمه في يومه فأعطى الآهل حظين واعطى العزب حظا ... وفيه انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك

أصول من النصوص وحي الله بهم الدين وعرف علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذاهب العرب في اللغة وغرائب النحو والتصريف واصول القصص واختلاف وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فاتسع بطريقهم علوم القرآن على الامة وائمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفردوا بمعرفة الرواة واسامي الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم و يتميز المعوج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الاحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعاليل ورد الفروع الى الاصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والاحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل واحوج علم اصول الفقه الى

أو بحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا تمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم(١) طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وان كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير * (الصنف الثاني المساكين) * والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فأسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك الا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي أن يحتاط في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج اليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والاقرب أن يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الى احداهما فان قال احداهما أصح والاخرى أحسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كان نسختان من علم واحد احداهما بسيطة والاخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ فيه بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط والله أعلم * (الصنف الثالث العاملون) * وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل فان فضل شيء من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح * (الصنف الرابع) * المؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم الاشراف الذين اسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم * (الصنف الخامس المكاتبون) * فيدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبد له * (الصنف السادس الغارمون) * والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة أو اطفاء

يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا (١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

شيء من علم اصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة الى غير ذلك فتمهدت الشريعة وتايدت واستقام الدين الحنيفي وتفرع وتاصل الهدى النبوي المصطفوي فانبتت أراضي قلوب العلماء الكلا والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم قال الله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال ابن عباس رضي الله عنهما الماء العلم والاودية القلوب (قال أبو بكر الواسطي) رضي الله عنه خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء اليها * وقال ابن عطاء أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك اذا سال السيل في الاودية لا يبقى في الاودية نجاسة الا كنسها وذهب بها كذلك اذا سال النور الذي قسمه الله تعالى للعبد في نفسه لا تبقى فيه غفلة

فتنة * (الصنف السابع الغزاة) * الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو * (الصنف الثامن ابن السبيل) * وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية أو اجتازبها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر أعطي بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد وأما بقية الاصناف فلابد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار مايصرف الى كل واحد فسيأتي

* (بيان وظائف القابض وهي خمسة) *

* (الاولى) * أن يعلم ان الله عز وجل أوجب صرف الزكاة اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الاموال وصبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثرماله فتنة وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر و يتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه و بيانه ان شاء الله تعالى فليأخذ مايأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه *(الثانية)* أن يشكر المعطي و يدعوله و يثني عليه و يكون شكره ودعاؤه بحيث لايخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لاينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم [1] من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه أواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى الله على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع و يفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لاتناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير و يضره خلافه والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لايناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فان من لايرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر أن يرى الواسطة أصلا * (الثالثة) * أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق الامر عليه وكان مايسلم اليه لا يعرف له

---

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وحسنه من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى اليكم معروفا فكافئوه الحديث د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح بلفظ من صنع

في الازل (فاما الزبد فيذهب جفاء) فتصير القلوب منورة لاتبقى فيها جفوة (وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض) تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فاخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادي قلبه بقدره فاخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادي قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات * قيل

مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة فن نوى الشرح فى مثل هذا ان يتصدق بما يبقى [illegible] كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا لم يكن أخذه أخذ زكاة اذ لا يقع زكاة عن مزكيه وهو حرام * (الرابعة) * أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه فلا يأخذ الا المقدار المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل وان أعطى زيادة أبى وامتنع اذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان أخذ بالمسكنة فلينظر أولا الى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهر او للمحتاج فى تقدير الحاجات فى التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت فى الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه الى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ادخر لعياله قوت سنة فهذا أقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ فى التقليل الى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية أنه صلى الله عليه وسلم (٢) نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال صلى الله عليه وسلم غداؤه وعشاؤه وقال آخرون ياخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله تعالى الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما او قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم (٣) قال من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم اربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا انه صلى الله عليه وسلم (٤) قال من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال وبالغ آخرون فى التوسيع فقالوا له ان يأخذ مقدار ما يشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لان هذا هو الغنى وقد قال عمر رضى الله عنه اذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان يأخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال (٥) ولما شغل أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله فى قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وأبا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثيرا مغن واعطى عمر رضى الله عنه

---

(١) حديث ادخر لعياله قوت سنة أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبرانى فى الاوسط من حديث أنس كان اذا ادخر لاهله قوت سنة تصدق بما بقى قال الذهبي حديث منكر (٢) حديث سهل بن الحنظلية فى النهى عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم الحديث (٣) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش الحديث اصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائى والخطابى (٤) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لان الرجل صحابى فلا يضر عدم تسميته واخرجه د ن حب من حديث أبى سعيد (٥) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم فى الصلاة

الحسن البصرى هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط انما الفقيه الزاهد فى الدنيا فالصوفية اخذوا حظا من علم الدراسة فافادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هى علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه فى الدين قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بماء العلم والاحياء بالعلم رتبة الفقه فى الدين فصار الفقه فى الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد فى الدنيا المتقى الذى يبلغ رتبة الانذار بعلمه فمورد العلم والهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من

اعرابيا ناقة معها ظئرلها فهذا ماحكى فيه فأما التقلل الى قوت اليوم أو الاوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى ان يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب الى الاحتمال وهو أيضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع [1] استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك كما قال صلى الله عليه وسلم اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض فى نفسه شيأ مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة ﴿ الخامسة ﴾ ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان مايعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار مايصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل واما لتساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها واعطائها ﴾

﴿ بيان فضيلة الصدقة ﴾

(من الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم [2] تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم [3] اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم [4] مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ الثمرة مثل أحد وقال صلى الله عليه وسلم [5] لابى الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم [6] ماأحسن عبد الصدقة الا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وسلم [7] كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم [8] الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل وقال

(١) حديث استفت قلبك وان أفتوك تقدم فى العلم (٢) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استترى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان ولأبى يعلى والبزار من حديث أبى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان واسناده ضعيف وللترمذى و ن فى الكبرى و ه فى حديث معاذ والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم (٤) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الحديث خ تعليقا و م ت ن فى الكبرى واللفظ له ه من حديث أبى هريرة (٥) حديث قال لأبى الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبى ذر انه قال ذلك له وماذكره المصنف انه قال لأبى الدرداء وهم (٦) حديث ماأحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك فى الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٧) حديث كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة بن عامر (٨) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك فى البر من حديث أنس بسند ضعيف ان الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء

الانسان نفسه لربه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالتفرق فى الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة فى الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد فى النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب فى ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا مواجا ثم وصل من بحر قلبه الى النفس فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها ثم وصل الى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما استتمت نضارة وامتلا ريانه

صلى الله عليه وسلم قال (١) ما الذى أعطى من سعة بافضل اجرا من الذى يقبل من حاجة ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) أى الصدقة أفضل قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك فقال ان عندى اخر قال أنفقه على زوجتك قال ان عندى آخر قال أنفقه على ولدك قال ان عندى آخر قال أنفقه على خادمك قال ان عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لا تحل الصدقة لآل محمد انما هى اوساخ الناس وقال (٥) ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال صلى الله عليه وسلم (٦) لو صدق السائل ما أفلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم (٧) لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسالون الناس الحافا وقال صلى الله عليه وسلم (٩) ما من مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله عز وجل مادامت عليه منه رقعة (الآثار) قال عروة ابن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد فى قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابى الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتنفك لحى سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا اخطأت خطيئة فاعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب وروى مسندا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا أفضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم انى احب السكر وقال النخعى اذا كان الشىء لله عز وجل لا يسرنى ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا لله عز وجل

---

(١) حديث ما المعطى من سعة بافضل أجرا من الذى يقبل من حاجة حب فى الضعفاء وطب فى الاوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث سئل أى الصدقة أفضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث قال يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارا فقال انفقه على نفسك الحديث د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل بيسير (٤) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة (٥) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة (٦) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة قال العقيلى لا يصح فى هذا الباب شىء وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف (٧) حديث كان لا يكل خصلتين الى غيره الحديث الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا (٨) حديث ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٩) حديث ما من مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصحح اسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعف

الله تعالى الى الخلق فاقبل على الامة بقلب مواج بمياه العلوم واستقبل جداول الفهوم وجرى من بحره فى كل جدول قسط ونصيب وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو الفقه فى الدين * روى عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله عز وجل بشىء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب املاء قال حدثنا سعيد ابن حفص قال حدثنا أبو طالب الزينبى قال أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم قال اخبرنا الفربرى قال أخبرنا البخارى قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين

كساه الله وقال الحسن لوشاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لانه انما جعل للعطشان من كان ومن لم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مربه نخاس ومعه جارية له فقال للنخاس اترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة

(بيان اخفاء الصدقة واظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص فى ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء أفضل ومال قوم الى ان الاظهار أفضل ونحن نشير الى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه *(اما الاخفاء ففيه خمسة معان)* *الاول انه أبقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسب الجاهل اهله أغنياء من التعفف * الثانى انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه أخذه ويظنون انه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه الى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال ابو أيوب السختيانى انى لأترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث فى جيرانى حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشئ لاجل اخوانى يقولون من أين له هذا وعن ابراهيم التيمى انه رؤى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من أين لك هذا فقال كسانيه اخى خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته * الثالث اعانة المعطى على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر فى الاعطاء اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيئا فى السر فقبله فقيل له فى ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فى اخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيأ فى الملا فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال انك اشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين فى السر شيأ كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وقال الثورى لو علمت ان أحدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته * الرابع ان فى اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول ان فى اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذى ارفع شيأ من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله * الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم (١) من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا أو ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم (٢) أفضل ما يهدى الرجل الى اخيه ورقا أو يطعمه خبزا فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى فى الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة *(اما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة)* *الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراآة * والثانى اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك أو رجل تزداد فى قلبه باظهارك الصدق فذلك الذى يريده أخوك

---

(١) حديث من أهدى له هديه وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلى وابن حبان فى الضعفاء وطب فى الاوسط وهق من حديث ابن عباس قال عق لا يصح فى هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل ما أهدى الرجل الى أخيه ورقا او يطعمه خبزا عد وضعفه من حديث ابن عمران أفضل العمل عند الله ان يقضى عن مسلم دينه او يدخل عليه سرورا او يطعمه خبزا ولأحمد وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق أومنحة لبن اوهدى

٧ (قوله ورقا) هكذا هو فى النسخ بالنصب قال الشارح نقلا عن العراقى صوابه ورق بالرفع خبر أفضل اه مصححه

وانما انا قاسم والله يعطي قال الشيخ اذا وصل العلم الى القلب انفتح بصر القلب فابصر الحق والباطل وتبين له الرشد من الغي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعرابى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الاعرابى حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل *وروى عبد الله ابن عباس أفضل العبادة الفقه فى الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع اجابة وأكثر انقيادا لمعالم الدين واوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفه تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال مثل ما بعثني الله به

لانه

لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتؤجر أنت اذ كنت سبب مزيد ثوابه * الثالث هو أن العارف لا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد فاختلاف الحال شرك فى التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية والالتفات الى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال بل ينبغى ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد * حكى ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فاراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما أمرنا به الشيخ فقال الشيخ للمريد مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يرانى فيه أحد فان الله يرانى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل اليه لانه لا يلتفت لغير الله عز وجل * الرابع * أن الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم (١) اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه واعطى رجل بعض الصالحين شيأ فى السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم اذا أعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر والشكر فيه محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم (٢) من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والشكر قائم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه (٣) ولما قال المهاجرون فى الشكر يارسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال حتى خفنا أن يذهبوا بالاجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة فالآن اذا عرفت هذه المعانى * فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء فى هذا أنا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء أفضل فى كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار مع ان له دخلا فى كل واحد منهما فاما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن فى النفس والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة اخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه ان كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقى انتهاك الستر أو اعانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف امره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد أو علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا وبما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله واظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى اكرامه وتفقده وهذا داء دفين

رفاقا فهو كعتاق نسمة (١) حديث اذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه أحمد من حديث عمران ابن حصين بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم (٣) حديث قالت المهاجرون يارسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم الحديث ت وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن فى اليوم والليلة ك وصححه ه

من آدم الى البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الاسماء كلها والاسماء سمة الاشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى علم الانسان ما لم يعلم فآدم لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللطف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء الى الله تعالى بالنور الذى وهب له فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الى الامة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين نطق من الارض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض

في الباطن والشيطان لا يقدر على التدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي أن يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) للرجل الذي مدح بين يديه ضربت عنقه لو سمعها ما أفلح مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد (٢) انه سيد أهل الوبر وقال صلى الله عليه وسلم (٣) في آخر اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال صلى الله عليه وسلم (٤) ان من البيان لسحرا وقال صلى الله عليه وسلم (٥) اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال صلى الله عليه وسلم (٦) اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال أيضا ليوسف بن أسباط اذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل علي فاشكر والا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه فان أعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه أفضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر أحسن المسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر الذي يتحدث به ولا يرى نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

﴿ بيان الافضل من اخذ الصدقة والزكاة ﴾

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الاخذ من الصدقة أفضل فان في اخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز وأما الصدقة فالامر فيها أوسع وقال قائلون باخذ الزكاة دون الصدقة لانها اعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ولان الزكاة لا منة فيها وانما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ولانه أخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين أدخل في الذل والمسكنة وأبعد من التكبر اذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربت عنقه لو سمعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك. زاد طب في رواية والله لو سمعها ما أفلح أبدا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث انه سيد الوبر العنبري و طب وابن قانع في معاجمهم وحب في الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ه من حديث ابن عمر ورواه د في المراسيل من حديث الشعبي مرسلا بسند صحيح وقال روي متصلا وهو ضعيف و ك نحوه من حديث معبد بن خالد الانصاري عن أبيه وصحح اسناده (٤) حديث ان من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير قط في العلل من رواية ابن المسيب عن أبي هريرة وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن المسيب مرسلا (٦) حديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه. طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما أجاب من الارض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي أميا لان مكة أم القرى وذرته أم الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم

ذل الآخذ وحاجته والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف باحوال الشخص ومايغلب عليه وما يحضره من النية فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلاينبغى أن يأخذ الزكاة فاذا علم أنه مستحق قطعا اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما يتفاوت وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس واذلالها فى أغلب الاحوال والله أعلم

* كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه و يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والارضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ كتاب أسرار الصوم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد أمله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنه وفتح لهم به أبواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنه وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنه والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحنه وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم (١) الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم (٢) الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عن نبيه صلى الله عليه وسلم (٣) كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وانا اجزى به وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم (٤) والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلى فالصوم لى وأنا اجزي به وقال صلى الله عليه وسلم (٥) للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه وقال صلى الله عليه وسلم (٦) للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وسلم (٧) لكل شىء باب وباب العبادة الصوم وقال صلى الله عليه وسلم (٨) نوم الصائم عبادة وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم (٩) قال اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب

﴿ كتاب أسرار الصيام ﴾

(١) حديث الصوم نصف الصبر ت وحسنه من حديث رجل من بنى سليم و ه من حديث أبى هريرة (٢) حديث الصبر نصف الايمان أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن (٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٤) حديث والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم الحديث أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله (٥) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجاه من حديث سهل بن سعد (٦) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٧) حديث لكل شىء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٨) حديث نوم العالم عبادة رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية الا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبى أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعى أحد الكذابين (٩) حديث اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث ت

من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وورد فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة فاضاف الفعل الى المسبب وقيل معنى القول بانه مسح أي أحصى كما تحصى الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الذر وأجابوا ببلى كتب العهد فى رق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الاسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى المجيبة من الارض والعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى موروثا له وموهوبا وقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الارض فأبت حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطىء الارض بقدميه فصار

النار وصفدت الشياطين ونادى مناديا باغى الخير هلم و ياباغى الشر اقصر وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية هى ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا و بين الصوم⁽١⁾ فقال ان الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لاجلى المبذل شبابه لى انت عندى كبعض ملائكتى وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم يقول الله عزوجل⁽٢⁾ انظروا ياملائكتى الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلى وقيل فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا و يجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له لمعنيين أحدهما ان الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع اعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله عزوجل فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد والثانى انه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال الله صلى الله عليه وسلم⁽٣⁾ ان الشيطان ليجرى من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها داومى⁽٤⁾ قرع باب الجنة قلت بماذا قال صلى الله عليه وسلم بالجوع وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله عزوجل ففى قمع عدو الله نصرة لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عزوجل ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير تكثير الشهوات فهى مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وماداموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم⁽٥⁾ لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول

﴿ الفصل الاول فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده ﴾

﴿ اما الواجبات الظاهرة فستة ﴾

﴿الاول﴾ مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعنى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضى به فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه واذا رؤى الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب (الثانى) النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم

وقال غريب وه وك وصححه على شرطهما من حديث ابى هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (١) حديث ان الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث يقول الله تعالى للملائكته ياملائكتى انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلى (٣) حديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٤) حديث قال لعائشة داومى قرع باب الجنة الحديث لم أجد له اصلا (٥) حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم

بعض الارض بين قدميه و بعض الارض بين فوضع أقدامه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت ماوى الشر و بعضها لم يصل اليه قدم ابليس فمن تلك التربة اصل الانبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم ابليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس فوقعت المناسبة فى أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الاول فكل من كان اقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان اوفر حظا من قبول ما جاء به فكانت قلوب الصوفية اقرب مناسبة فاخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعلموا وعملوا كالاخاذ الذى يسقى منه و يزرع منه وجمعوا بين

شهر

شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذى عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذى عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند الى استصحاب حال كالشك فى الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند الى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال فى وسط رمضان أصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها (الثالث) الامساك عن ايصال شئ الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل فى الاذن والاحليل الا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق الى جوفه أو ما يسبق الى جوفه فى المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ فى المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذى أردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسى فانه لا يفطر أما من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له انه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقى على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغى أن يأكل فى طرفى النهار الا بنظر واجتهاد (الرابع) الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع فى الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة (الخامس) الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المنى قصدا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا أن يكون شيخا أو مالكا لاربه فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المنى افطر لتقصيره (السادس) الامساك عن اخراج القئ فالاستقاءة يفسد الصوم وان ذرعه القئ لم يفسد صومه واذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا أن يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك

﴿ وأما لوازم الافطار فاربعة ﴾

القضاء والكفارة والفدية وامساك بقية النهار تشبها بالصائمين *(اما القضاء)* فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبى والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا *(وأما الكفارة)* فلا تجب الا بالجماع واما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا *(وأما امساك بقية النهار)* فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم فى السفر أفضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما *(وأما الفدية)* فتجب على الحامل والمرضع اذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا *(والسنن ست)* تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف فى المسجد لا سيما فى العشر الاخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) كان اذا دخل العشر الاواخر طوى

الحديث أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه (1) حديث كان اذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش الحديث

فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة باحكام اساس التقوى ولما تزكت النفوس انجلت مرايا قلوبهم بما صقلها من التقوى فانجلى فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا فى الدنيا انصبت الى بواطنهم أقسام العلوم انصبابا وانضاف الى علم الدراسة علم الوراثة (واعلم) ان كل حال شريف نعزوه الى الصوفية فى هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفى هو المقرب وليس فى القرآن اسم الصوفى واسم الصوفى ترك ووضع المقرب على ما سنشرح ذلك فى بابه ولا يعرف فى طرف بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وانما يعرف للمترسمين وكم من الرجال المقربين فى بلاد المغرب وبلاد تركستان وماوراء النهر ولا يسمون صوفية لانهم لايتزيون

الفراش وشد المئزر ودأب وآداب أهله اى أداموا النصب فى العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها فى أوتارها وأشبه الاوتار ليلة احدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعا أونواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ فى البيت ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم (١) لايخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الامارا ويقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه فى التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان صلى الله عليه وسلم (٢) يدنى رأسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فاذا عاد ينبغى أن يستأنف النية الا اذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

﴿ الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة ﴾

اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عزوجل بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا الادنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير مايفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عزوجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله عزوجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عزوجل قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور *(الاول)* غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل مايذم ويكره والى كل مايشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عزوجل قال صلى الله عليه وسلم (٣) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عزوجل ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) أنه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة *(الثانى)* حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم (٥) انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أوشاتمه فليقل انى صائم انى صائم وجاء فى الخبر ان (٦) امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من اخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاذناه فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم

متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر (١) حديث كان لايخرج الالحاجة ولا يسأل عن المريض الامارا متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٢) حديث كان يدنى رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها (٣) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس الحديث ك وصحح اسناده من حديث حذيفة (٤) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الازدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازى هذا كذاب (٥) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه

وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا فى طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ومن تطلع الى مقام المقربين من جملة الابرار فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ومن عداهما ممن تميز بزى ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذى علم عليم

(الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع)

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى املاء قال أنا أبو منصور المقرى قال أنا الامام الحافظ أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمى قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود السجستانى قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثنى عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن

قل لهما قيآ فيه ما أكلتا فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله تعالى عليهما قعدت احداهما الى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ماأكلتا من لحومهم ﴿الثالث﴾ كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ماحرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وقال عز وجل لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم ﴿الرابع﴾ كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله و يضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال و يفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لايحفظ جوارحه عن الآثام ﴿الخامس﴾ ان لايستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بان تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه مالا يؤكل فى عدة أشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة من ضحوة نهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ماعساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لايكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش و يستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه و يستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان أن لايحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر ومن جعل بين قلبه و بين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب مالم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الاطعمة ان شاء الله عز وجل ﴿السادس﴾ أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسئ باساءته أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد

وسلم الحديث بسند فيه مجهول (١) حديث المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم غريب وللطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ن ه من حديث ابى هريرة

عبد الرحمن بن ابان عن ابيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم * يقول بعضهم علامة الخير فى السماع ان يسمع العبد بغثاء أوصافه ونعوته و يسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا ان كلام الله تعالى ورسائله الى عباده ومخاطباته اياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا من أبحر العلم بما تتضمن من ظاهر العلم و باطنه وجليه وخفيه و بابا من أبواب الجنة باعتبار ماتنبه أو تدعو اليه من العمل و رأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى

عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هى أضعف من هذه الادلة التى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط الى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الالباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال أبو الدرداء ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد الا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة ان شاء الله لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (٢) ولما تلا قوله عز وجل ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم فليقل انى صائم أى انى أودعت لسانى لاحفظه فكيف أطلقه بجوابك فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن فى ان تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز الى غمار أرباب الالباب

(الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الادوار فيه)

اعلم ان استحباب الصوم يتأكد فى الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل اسبوع * أما فى السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهى أوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه فى رمضان (٤) وفى الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله

(١) حديث انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث الامانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر امانة د من حديث ابى هريرة دون قوله السمع امانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان

المحرم

لا ينطق به عن الهوى ان هو الا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع اليه فكان من اهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا ان حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا ان الوساوس ادخنة ثائرة من نار النفس الامارة بالسوء وقتام يتراكم من نفث الشيطان وان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنيوية التى هى مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذى تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس احطابها وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيؤا مواردها بصفاء الفهوم فلما شهدوا سمعوا. قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد (قال الشبلى) رحمه الله

المحرم لانه ابتداء السنة فبناؤها على الخير احب وأرجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم (١) صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام (٢) وفى الحديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام (٣) وفى الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة (٤) وفصل مرارا كثيرة (٥) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة الا أن يوافق ورداله وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وأفضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج (٦) وفى الخبر مامن أيام العمل فيهن افضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل الامن عقر جواده واهريق دمه ﴿ واما مايتكرر ﴾ فى الشهر فاول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ﴿وأما فى الاسبوع﴾ فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هى الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات * واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فنهم من كره ذلك اذ وردت أخبار تدل على كراهته (٧) والصحيح انه انما يكره لشيئين أحدهما ان لا يفطر فى العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فاذا لم يكن شئ من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم (٨) فيما رواه ابوموسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له

---

(١) حديث صوم يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلاثين الحديث لم اجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما

(٢) حديث من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الازدى فى الضعفاء من حديث انس

(٣) اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الاربعة من حديث ابى هريرة حب فى صحيحه عنه اذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يجئ رمضان وصححه ت

(٤) حديث وصل شعبان برمضان مرة الاربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان و د ن نحوه من حديث عائشة

(٥) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال اسناده صحيح و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

(٦) حديث مامن ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من عشر ذى الحجة الحديث ت ه من حديث ابى هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل فى ايام افضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ

(٧) الاحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر خ م من حديث عبد الله بن عمرو فى حديث له لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث ابى قتادة قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير

(٨) حديث ابى موسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين احمد ن فى شهر الله المحرم م من حديث ابى هريرة

موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين قال يحيى بن معاذ الرازى القلب قلبان قلب قد احتشى باشغال الدنيا حتى اذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى باحوال الآخرة حتى اذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه فى الآخرة فانظركم بين بركة تلك الافهام الثابتة وشؤم هذه الاشغال الفانية التى أقعدتك عن الطاعة وقال بعضهم لمن كان له قلب سليم من الاغراض والامراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب لا يخطر فيه الا شهود الرب وأنشد * أنعى اليك قلوبا طالما هطلت سحائب الوحى فيها أبحر الحكم *(وقال)* ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع اليه عما سواه وقال الواسطى اى لذكرى لقوم مخصوصين لا لسائر الناس لمن كان له قلب اى فى الازل وهم

فيهاموضع ودونه درجة أخرى وهوصوم نصف الدهر بان يصوم يوما و يفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى فى قهرها وقد ورد فى فضله أخبار كثيرة لان العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما احمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم (٢) أفضل الصيام صوم أخى داود كان يصوم يوما و يفطر يوما ومن ذلك (٣) منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر و رضي الله عنهما فى الصوم وهو يقول انى أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم صم يوما وأفطر يوما فقال انى أريد أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا أفضل من ذلك وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم (٤) ماصام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما و يفطر يومين واذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع فى الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال فى أن يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضى حاله دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الافطار بالصوم واذا فهم المعنى وتحقق حده فى سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روى انه صلى الله عليه وسلم (٥) كان يصوم حتى يقال لا يفطر و يفطر حتى يقال لا يصوم و ينام حتى يقال لا يقوم و يقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ماينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب و يولد ردئ العادات و يفتح ابواب الشهوات ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم والليلة مرتين فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم بالصواب * تم كتاب اسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ماعلمنا منها ومالم نعلم على جميع نعمه كلها ماعلمنا منها ومالم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب اسرار الحج والله المعين لا رب غيره وما توفيق الا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

(كتاب أسرار الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد و بين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله اليوم

الكبرى وحب وحسنه أبو على الطوسى (١) حديث عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا الحديث ت من حديث أبى أمامة بلفظ عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا وقال حسن (٢) حديث افضل الصيام صوم اخي داود الحديث أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وافطر يوما الحديث أخرجاه من حديثه (٤) حديث ماصام شهرا كاملا قط الا رمضان أخرجاه من حديث عائشة (٥) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن ان لا يصوم منه شيأ و يصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيأ وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته

(كتاب أسرار الحج)

الذين قال الله تعالى فيهم اومن كان ميتا فاحييناه وقال ايضا المشاهدة تذهل والحجبة تفهم لان الله تعالى اذا تجلى لشئ خضع له وخشع وهذا الذى قاله الواسطى صحيح فى حق أقوام وهذه الآية تحكم بخلاف هذا لاقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو فى سكر الحال يغيب سمعه فى بصره ومن هو فى حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه فى بصره لتملكه ناصية الحال و يفهم بالوعاء الوجودى المستعد لفهم المقال لان الفهم مورد الالهام والسماع والالهام والسماع يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ انشاء ثانيا للتمكن فى مقام

آ كملت

أ كملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم (١) من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال و يساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وأجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب

(الباب الاول) فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها

(الباب الثانى) فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع

(الباب الثالث) فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الاول وفيه فصلان

(الفصل الاول) فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال الى المساجد

(فضيلة الحج)

قال الله عز وجل وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وقال قتادة لما أمر الله عز وجل ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى يا أيها الناس ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة فى الموسم والاجر فى الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل فى تفسير قوله عز وجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم اى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال أيضا صلى الله عليه وسلم (٣) ما رؤى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام اذ يقال (٤) ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد أسنده جعفر بن محمد الى رسول صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن ابليس لعنه الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر فقال له ما الذى أبكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك قال فما الذى أنحل جسمك قال صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب الى قال فما الذى غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الى قال فما الذى قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول ياويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم (٥) من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات فى احدى الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (٦) حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (٧) الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ان

---

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث أبى هريرة و ت نحوه من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث ما رؤى الشيطان فى يوم هو اصغر الحديث مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة لم أجد له أصلا (٥) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامه ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة هق فى الشعب بالشطر الاول من حديث أبى هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثانى نحوه وكلاهما ضعيف (٦) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة أخرجاه من حديث أبى هريرة الشطر الثانى بلفظ الحج المبرور وقال ان الحجة المبرورة وعند ابن عدى حجة مبرورة (٧) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره الحديث ه من حديث أبى هريرة دون قوله وزواره ودون قوله ان سألوه أعطاهم وان شفعوا شفعوا وله من حديث

سمعون ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهى ثلاثة أشياء فالقلب اذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الادب ومن افتقر الى مالم يجد من الادب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثى الأدب والثالث امتلاء القلب بالذى بدأ بالفضل عند الوفاء تفضلا فقد وجد كل الادب * قال محمد بن على الباقر موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض شهوة نال من الحياة بقسطها فالسماع للاحياء لا للأموات قال الله تعالى انك لا تسمع الموتى قال سهل بن عبد الله القلب رقيق

تؤثر فيه الخطرات المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فالقلب عمال

سالوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام (١) أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لا يغفر له وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (٣) وفى الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أجل شيء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة (٤) وفى الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر لعبد ذنبا فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم فى الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم (٦) اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ويروى أن على بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا ابن موفق حججت عنى قلت نعم قال ولبيت عنى قلت نعم قال فانى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فادخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضى الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام ويروى عن على بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة قال لا أدرى قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدرى كم قبل منهم قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت اذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا فى ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف وعنه أيضا رضى الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن

ابن عمر وسلوه فأعطاهم ورواه حب (١) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب فى المتفق والمفترق وأبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٢) حديث ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة حب فى الضعفاء وهق فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال ابو حاتم حديث منكر (٣) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب وك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت اسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه (٥) حديث وقوفه فى حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم الحديث أخرجاه من حديث عمر (٦) حديث اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ك من

لا يفتر والنفس يقظانة لا ترقد فان كان العبد مستمعا الى الله تعالى والا فهو مستمع الى الشيطان والنفس فكل شيء سد باب الاستماع فمن حركة النفس وفى حركتها يطرق الشيطان (وقد ورد) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات * وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والازل والابد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب او ألقى السمع * وقال ابن عطاء هو القلب الذى يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد واذا طالعه بعين الجمال هدأ واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا لا يقبل

لا يقبل حجه فقلت اللهم انى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تتقبل حجه قال فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى يا على تتسخى على وأنا خلقت السخاء والاسخياء وأنا أجود الاجودين وأكرم الاكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته

﴿ فضيلة البيت ومكة المشرفة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم [١] ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت ان يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها [٢] وفى الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم [٣] يقبله كثيرا وروى انه صلى الله عليه وسلم [٤] سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن [٥] وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال على رضى الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه ان صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة [٦] وفى الخبر الصحيح عمرة فى رمضان كحجة معى وقال صلى الله عليه وسلم [٧] أنا أول من تنشق عنه الارض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فاحشر بين الحرمين وفى الخبر [٨] ان آدم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وجاء فى الآثار ان الله عز وجل ينظر فى كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه أهل الحرم وأول من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاولياء رضى الله عنهم قال انى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا اذا أتى عليها سبع

حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (١) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة ألف الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الاسود من الجنة لفظ ن وباقى الحديث رواه ت وحسنه وه وحب وك وصحح اسناده من حديث ابن عباس ايضا وللحاكم من حديث أنس ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح اسناده ورواه ن حب ك من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا ون انه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا (٤) حديث انه كان يسجد عليه البزار وك من حديث عمر وصحح اسناده (٥) حديث قبله عمر وقال انى لأعلم انك حجر أخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين (٦) حديث عمرة فى رمضان كحجة معى أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معى فهى عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معى ورواه ك بزيادة معى من غير شك (٧) حديث أنا اول من تنشق عنه الارض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى الحديث ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر (٨) حديث ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم الحديث رواه المفضل الجندى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من

بصره فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخلصه الى الله تعالى واجتماعه بين يدى الله والاشياء كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد فابصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين الشهود والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس فى الاستماع وقال ان البذر خرج بيد البذر فملأ منه كفه فوقع منه شىء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاختطفه ووقع منه شىء على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى اذا وصلت عروقه الى الصفا لم تجد مساغا تنفذ

سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغانى وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال و ينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها وفى الخبر(١) استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين و يرفع فى الثالثة وروى عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى(٢) اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره

﴿ فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته ﴾

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة *(الاول)* خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا و يقول يا أهل اليمن يمنكم و يا أهل الشام شامكم و يا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت *(الثانى)* تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا اى يثوبون و يعودون اليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون فى بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به و يقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عزوجل ﴿ الثالث ﴾ الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور بالحرى أن يورث مقت الله عزوجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد المكى قال كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك ياجبرائيل ماألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لا نتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أى انه على مجرد الارادة و يقال ان السيآت تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركية احب الى من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة و بعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظنن ان كراهية المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به أفضل أى بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم أما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال(٣) انك لخير ارض الله عزوجل وأحب بلاد الله تعالى الى ولولا انى أخرجت منك لما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

﴿ فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد ﴾

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم(٤) صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بالف و بعد مدينته

---

(١) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار و حب وك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين و يرفع فى الثالثة (٢) حديث قال الله اذا أردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على اثره ليس له اصل (٣) حديث انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله الى الله ولوانى اخرجت منك ماخرجت ت وصححه ون فى الكبرى و ه وحب من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٤) حديث صلاة فى مسجدى حديث ابن عباس د قال لا يصح ورواه الازرقى فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس

فيه فليس ووقع منه شيء فى ارض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فافسده واختلط به ووقع منه شئ على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ماوقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذى وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة الى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذى وقع فى أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوى أن يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عزيمة النهوض بالعمل فيترك مانوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذى الارض

الارض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها الا المسجد الحرام وكذلك سائر الاعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الاقصى بالف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٤) لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لى ان الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم (٥) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديث انما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال الى موضع فيه مسجد و ينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء عليهم السلام مثل ابراهيم وموسى و يحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة فاذا جوز هذا فقبور الاولياء والعلماء والصلحاء فى معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد أن يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم (٦) البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فاى موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفى الخبر (٧) من بورك له فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا أبا عبد الله قال الى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم وفى حكاية اخرى بلغنى عن قرية فيها رخص اقيم فيها قال فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما أدرى أى البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع أراد الشهرة قيل

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (١) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الاقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة غريب لم اجده بجملته هكذا و ه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث انس صلاة بالمسجد الاقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ليس فى اسناده من ضعف وقال الذهبي انه منكر (٢) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة م من حديث أبى هريرة وابن عمر وابى سعيد (٣) حديث من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٤) لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وابى سعيد (٥) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب (٦) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فاقم أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف (٧) حديث من رزق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ه من حديث أنس بالجملة الاولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ اذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له

وقع فى ارض طيبة مثل المستمع الذى ينوى عمله فيفهمه و يعمل به و يجانب هواه وهذا الذى جانب الهوى واتبع سبيل الهدى هو الصوفى لان للهوى حلاوة والنفس اذا تشربت حلاوة الهوى فهى تركن اليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذى يخنق النبت كالشوك وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافى والحب الصافى تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح الى الحضرة الالهية بداعية الحب تستتبع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لان حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار لكونها لا ترتقى عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء لانها متاصلة فى الروح وفرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة فى ارض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله

فالعراق قال بلد الجبابرة قبل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فاوصنى قال أوصيتك بثلاث لا تصلين فى الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

﴿الفصل الثانى فى شروط وجوب الحج وصحة اركانه وواجباته ومحظوراته﴾

﴿أما الشرائط﴾ فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي و يحرم بنفسه ان كان مميزا و يحرم عنه وليه ان كان صغيرا و يفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج فى غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغى ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى ﴿وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة﴾ الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي او العبد ولكن عتق العبد و بلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاشاة وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت ﴿وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ﴾ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن افسده فى حالة الوقوف٧ ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه ﴿واما شروط لزوم الحج فخمسة﴾ البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج ﴿واما الاستطاعة فنوعان﴾ أحدهما المباشرة وذلك له اسباب أما فى نفسه فبالصحة وأما فى الطريق فبان تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما فى المال فبأن يجد نفقته ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل أو لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة وان يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة وان يملك ما يقضى به ديونه وان يقدر على راحلة او كرائها بمحمل او زاملة ان استمسك على الزاملة * واما النوع الثانى فاستطاعة المعضوب بماله وهو ان يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف للوالد و بذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج فى تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى قال عمر رضى الله عنه لقد هممت أن اكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد ابن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه و بعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله عز وجل رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال الحج ﴿وأما الاركان التى لا يصح الحج بدونها فخمسة﴾ الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمى فيه الدم قولا واحدا وأما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب ﴿واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة﴾ الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل

٧ (قوله فى حالة الوقوف) هكذا بالنسخ وفى نسخة الشارح لرق وهى اظهر فان الرقيق اذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تامل اه مصححه

عليه وسلم يبشر بها بالروح والقلب والنفس ويفديها بكايته و يقول أثم منك نسما لست اعرفه * أظن لماء جرت فيك ارادنا * فتعمه الكامة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقولون ان تاملتكم فكلى عيون او تذكرتكم فكلى قلوب قال الله تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبي صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين والجزء الذى فى سائر المؤمنين احد وعشرون منها فسهم يتساوى المؤمنون كلهم فيه وهو شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وعشرون جزأ يتفاضلون فيها على مقادير حقائق ايمانهم قيل فى هذه

الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا أن يتطوع * الثانى القران وهو ن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا أنه اذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا أن يكون مكيا فلا شىء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة * الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط * أحدها أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة * الثانى ان يقدم العمرة على الحج * الثالث أن تكون عمرته فى أشهر الحج * الرابع أن لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج * الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران ﴿وأما محظورات الحج والعمرة فستة﴾ الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبين فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحل ولكن لا ينبغى أن يغطى رأسه فان احرامه فى الرأس وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يلمسه فان احرامها فى وجهها * الثانى الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة * الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر * الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه * الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا فى الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد * السادس قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

﴿الباب الثانى فى ترتيب الاعمال الظاهرة من أول سفر الى الرجوع وهى عشرة جمل﴾

﴿الجملة الاولى فى السير من أول الخروج الى الاحرام وهى ثمانية﴾

﴿الاولى فى المال﴾ فينبغى أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشىء قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه ﴿الثانية فى الرفيق﴾ ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فان الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا والسنة فى الوداع أن يقول (١) أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم (٢) يقول لمن أراد السفر فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت ﴿الثالثة فى الخروج من الدار﴾ ينبغى اذا هم بالخروج ان يصلى ركعتين أولا يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صادق

﴿الباب الثانى فى ترتيب الافعال الظاهرة﴾

(١) حديث استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك د ت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل اذا أراد سفرا ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد سفرا فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما

الآية اظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاحسن ما يأتى به لانه لما وقعت له صحبة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الانوار فى الاحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق فى جميع المقامات ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الاول فى الفضل فى محل القدس وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم * قال الجنيد تنسموا روح ما دعاهم اليه فاسرعوا الى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى المعاملة وأحسنوا الادب فيما توجهوا اليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا هممهم عن التفلت الى مذكور سواه فحيوا حياة الابد بالحى الذى لم يزل ولا يزال (وقال الوسطى) رحمه الله

ونية صادقة وقال اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوى لنا الارض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال و تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم فى جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا و بهم من عافيتك ﴿ الرابعة ﴾ اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا امشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم أنت ثقتى وانت رجائى فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنبي ووجهنى للخير اينما توجهت و يدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه ﴿ الخامسة فى الركوب ﴾ فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن سبحان الذي سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى كله اليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الامور ﴿ السادسة فى النزول ﴾ والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار و يكون أكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم (١) عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ﴿ السابعة فى الحراسة ﴾ ينبغى أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال أو ينقطع و يكون بالليل متحفظا عند النوم (٢) فان نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره لانه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والاحب فى الليل (٣) أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو أوسبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله

---

(١) حديث عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله مالا تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا (٢) حديث كان اذا نام فى أول الليل افترش ذراعه واذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه أحمد و ت فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى الى م ولم أره فيه (٣) حديث تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر هق من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى أى الليل أحب اليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال بل أكفنى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث والحديث عند أبى توجهت الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت وحسنه دون قوله فى حفظ الله وكنفه

زمانى حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفعلا وقال بعضهم استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم فحياة النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير (وقال ابن عطاء) فى هذه الآية الاستجابة على اربعة أوجه أولها اجابة التوحيد والثانى اجابة التحقيق والثالث اجابة التسليم والرابع اجابة التقريب فالاستجابه على قدر السماع والسماع من حيث التفهم والفهم على قدر المعرفه بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لان وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فالله تعالى فى كل كلمة من القرآن كلمات التى ينفد البحر دون نفادها

ماشاء

ماشاء الله لاقوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى الذى لايموت اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين ﴿الثامنة﴾ مهما علا نشزا من الارض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت

﴿ الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة ﴾

﴿الاول﴾ أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام أعنى اذا انتهى الى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة ﴿الثانى﴾ أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالابيض هو أحب الثياب الى الله عز وجل ويتطيب فى ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام[1] فقد رؤى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام ﴿الثالث﴾ أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا أو يبدأ بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما أراد ويكفى مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴿الرابع﴾ اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب ان يقول اللهم انى أريد الحج فيسره لى وأعنى على اداء فرضه وتقبله منى اللهم انى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم فيسر لى أداء مانويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل فليجتنبها ﴿الخامس﴾ يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر[2] فانه لا ينادى أصم ولا غائبا كما ورد فى الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك أعنى المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم[3] اذا أعجبه شئ قال لبيك ان العيش عيش الآخرة

﴿ الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف وهى ستة ﴾

الاول أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة ﴿الأول﴾ للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعى رضى الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة

داود لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرين (١) حديث رؤية وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت كأنما أنظر الى وبيص المسك الحديث (٢) حديث انكم لاتنادون أصم ولا غائبا متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث كان اذا أعجبه شئ قال لبيك ان العيش عيش الآخرة الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس

فكل الكلام كلمة نظرا الى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسعة العلم الازلى (حدثنا) شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أنبأنا الرئيس أبو على بن نبهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن بن عبد العزيز البغوى قال أنا أبو عبيد بن القاسم ابن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال مانزل من القران آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت يا أباسعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيد أحسب أن قول الحسن هذا انما ذهب الى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثنى حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله ابن مسعود قال مامن حرف أو آية الا وقد عمل بها قوم أولها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد اليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم بفتح

ولطواف الوداع فتعود لى سبعة ﴿ الثانى ﴾ أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك ﴿ الثالث ﴾ أن يدخل مكة من جانب الابطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من جادة الطريق اليها فالتأسى به أولى واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهى الثنية السفلى والاولى هى العليا ﴿ الرابع ﴾ اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم ﴿ الخامس ﴾ اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك ﴿ السادس ﴾ أن تقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم الا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف

﴿ الجملة الرابعة فى الطواف ﴾

فاذا أراد افتتاح الطواف اما للقدوم واما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة ﴿ الاول ﴾ أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التى سنذكرها ﴿ الثانى ﴾ اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به والطائف عليه يصح طوافه لانه طائف فى البيت والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف ﴿ الثالث ﴾ أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وانت أرحم الراحمين فاعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمى ودمى على النار وآمنى من أهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول اللهم انى أعوذ بك من

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخير خير الآخرة (١) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله

الله تعالى على كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس فى معنى الظهر والبطن فقال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تاويله وقيل الظهر صور القصة مما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقه به اياهم فظاهر ذلك أخبار عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرأ ويسمع من الامة وقيل ظاهره تنزيله الذى يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما انزل قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وبطنه التدبر والتفكر فيه قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر أولو الالباب وقيل قوله لكل حرف حد اى فى التلاوة لايجاوز المصحف الذى هو الامام وفى التفسير لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والاسباب التى نزلت

الشرك

الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظما بعدها أبدا فاذا بلغ الركن الشامى قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور ياعزيز ياغفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليمانى قال اللهم اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليمانى والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر الاسود قال اللهم اغفر لى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الادعية فى كل شوط ﴿الرابع﴾ أن يرمل فى ثلاثة اشواط ويمشى فى الاربعة الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة[1] والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت فى المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الاحب وان منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الاركان وروى انه صلى الله عليه وسلم[2] كان يستلم الركن اليمانى ويقبله[3] ويضع خده عليه[4] ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أعنى عن اللمس باليد فهو اولى ﴿الخامس﴾ اذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يارب البيت العتيق اعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء واقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه * كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى اقر لربى بذنوبى ﴿السادس﴾ اذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف

صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء الحديث (١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة مالرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع فروى دوك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف على المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر واهله ومع ذلك لا ندع شيأ كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة اذا استلم الركن الاسود الحديث ولهما من حديثه لم ار رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الاركان الا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى اذا اتيت البيت معه استلم الركن (٣) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر انه قبل الحجر وقال لولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا استلم الركن اليمانى قبله (٤) حديث وضع الخد عليه قط لك من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله

فيها وهذا محظور على الناس كافة وقول فيه لا بالسماع والاثر واما التأويل فهو صرف الآية الى معنى محتملة اذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ماذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى (قال ابو الدرداء) لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله بن مسعود مامن آية الا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة ان يصفى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فللصوفى بكمال الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو الى العمل وعملهم

المقام ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهرى(١) مضت السنة ان يصلى لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز(٢) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى واغفر لى فى الآخرة والاولى واعصمنى بالطافك حتى لا أعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك و يحب ملائكتك ورسلك و يحب عبادك الصالحين اللهم حببنى الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى الى الاسلام فثبتنى عليه بالطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم(٣) من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة وهذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدىء بالحجر الاسود و يجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحجر وان يوالى بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

﴿ الجملة الخامسة فى السعى ﴾

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل ورقى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) حتى بدت له الكعبة وابتداء السعى من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه و بين المروة سبع مرات وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت و يقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى و يحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم انى اسألك ايمانا دائما و يقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة و يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم و يدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل و يبتدىء السعى وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار و يمشى على هينة حتى ينتهى الى الميل الاخضر وهو اول

ابن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور (١) حديث الزهرى مضت السنة ان يصلى لكل اسبوع ركعتين ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم اسبوعا الا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين (٢) حديث قرانه صلى الله عليه وسلم بين اسابيع ابن ابى حاتم من حديث ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث ابى هريرة وزاد ثم صلى لكل اسبوع ركعتين وفى اسنادهما عبد السلام ابن ابى الجنوب منكر الحديث (٣) حديث من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة ت وحسنه و ن ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت اسبوعا فاحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف سبعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٤) حديث انه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى

بجاب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معانى الخطاب فمن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم والعمل يتناوبان فيه وهذا العمل آنفا انما هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القالب وأعمال القلوب للطفها وصداقتها مشاكلة للعلوم لانها نيات وطويات وتعلقات روحية وتاديات قلبية ومسامرات سرية وكلما اتوا بعمل من هذه الاعمال رفع لهم علم من العلم واطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد ويخالج سرى ان يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر فى الآية ولكن المطلع ان يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لانها مستودع وصف من اوصافه ونعت من نعوته فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ويصير له مراء منبئة عن عظيم الجلال ولهذا نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه قال

مايلقاه اذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقى بينه و بين محاذاة الميل ستة اذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعى مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا و يرمل فى موضع الرمل فى كل مرة و يسكن فى موضع السكون كما سبق وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف و يكتفى بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وانما ذلك شرط فى طواف الركن نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

﴿ الجملة السادسة فى الوقوف وماقبله ﴾

الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذى الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة و يأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغى أن يخرج الى منى ملبيا و يستحب له المشى من مكة فى المناسك الى انقضاء حجته ان قدر عليه والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام الى الموقف افضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذه منى فامنن على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات و يقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] قبته ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن فى الاذان والامام فى الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن فى وادى عرنة وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة و يتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب أن يلبى تارة و يكب على الدعاء أخرى و ينبغى أن لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار وان أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط فى الهلال فهو الحزم و به الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن احرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضى العام الآتى وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم[2] وعن

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء المأثور فى يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث ت من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر مادعا به رسول الله صلى

رأى البيت وله من حديث أبى هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت

والمطلع الترقى عن حد الكلام الى شهود المتكلم * وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفى لما لاح له نور ناصية التوحيد والتى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدى الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره فى التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمعه الله منها خطابه اياه بانى أنا الله فاذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه الى الله صار سمعه بصره و بصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك ان الله تعالى خاطب الذر بقوله ألست بربكم فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب فى الاصلاب

وتنتقل الى الارحام قال الله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين يعني تقلب ذرتك في اصلاب أهل السجود من آبائك الانبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب في الاطوار فاذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بان يصيره صوفيا صافيا لايزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة الى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف الحكمة فيصير سماعه ألست بربكم كشفا وعيانا وتوحيده وعرفانه تبيانا وبرهانا وتندرج له ظلم الاطوار في لوامع الانوار * قال بعضهم أنا أذكر خطاب ألست بربكم اشارة منه الى هذا الحال فاذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته

السلف في يوم عرفة أولى مايدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني أعوذ بك من شر مايلج في الليل ومن شر مايلج في النهار ومن شر ماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم اني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى ياخير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مسئول مالديه أعطني العشية أفضل ما أعطيت أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ويافاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات يسالونك الحاجات وحاجتي اليك أن لا تنساني في دار البلاء اذا نسيني أهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولايخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسالك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لاتجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما ياخير المسئولين وأكرم المعطين الهي من مدح لك نفسه فاني لائم نفسي الهي أخرست المعاصي لساني فمالي وسيلة من عمل ولاشفيع سوى الامل الهي اني أعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الاكرمين الهي ان لم أكن أهلا ان أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي أنت أنت وأنا أنا أنا العواد الى الذنوب وأنت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لاترحم الا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي عنك وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي ياخير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما أنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك نجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك أنخنا واياك أملنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا واليك باثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعى ويامن ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يامن لايزداد على كثرة السؤال

الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك رب تراثي اللهم اني أعوذ بك من شر ماتجيء به الريح وقال ليس بالقوي اسناده وروى المستغفري في الدعوات من حديثه ياعلي ان أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري اللهم اني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر وشر مايلج في الليل وشر مايلج في النهار وشر ماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم انك ترى مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري

الاجود اوكرما وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفى ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الانفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى افصحت السموات والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت وان أحسنوا تفضلت وقبلت وان عصوا سترت وان أذنبوا عفوت وغفرت واذا دعونا أجبت واذا نادينا سمعت واذا أقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك أحببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وأنت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك أمرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وانت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول يامن لا يشغله شان عن شان ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يامن لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بدا له وليستغفر لوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من أجلي وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت الى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم

﴿ الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف ﴾

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وأيضاع الابل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) نهى عن وجيف الخيل وأيضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطؤا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض فاذا جاز ان يؤدي النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا اليه من

وعلا نيتي ولا يخفى عليك شيء من امري أنا البائس الفقير فذكر الحديث الى قوله يا خير المسؤلين ويا خير المعطين واسناده صعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف وفي بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة (1) حديث نهى النبي عن وجيف الخيل وايضاع الابل ن ك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس في ايضاع الابل وقال ك ليس البر بايجاف الخيل والابل وللبخاري من حديث ابن عباس فان البر

عيينة أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به هذ تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمله على الصحابة حتى تتدبر معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائبه وعجائبه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام وأوحى اليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن

التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم اذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل و يتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة ولا بأس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار و يقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وان كان راجلا أسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة و يكبر أخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا بأس ويرمي سبع حصيات رافعا يده و يبدل التلبية بالتكبير و يقول مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك و بك واليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاء والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء وقال أبو هريرة البيضاء أفضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي أي لا مخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة و يبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي و يقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحذورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة و يطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج و يسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر الى أي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى أن يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي أن يعيد السعي * وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من

ليس بالايضاع (١) حديث خير الاضحية الكبش د من حديث عبادة بن الصامت و ت ه من حديث

ذلك أي لاتعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبرائيل من القائه اليك وقد تكون مطالعة العلوم واخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والاخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والامثال التي فيها نجاة من عذاب الآخرة أن يكون في ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع لانه نوع من ذلك وكما أن القلب استعد بحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى أخذ من كل ما سمعه أحسنه فيكون آخذا بالمطالعة من كل شيء أحسنه ومن الادب في المطالعة ان العبد اذا أراد أن يطالع شيأ من الحديث والعلم يعلم انه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه في ذلك ولا يستحلي مطالعة الكتب الى حد

هذه

هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الاحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة (١) يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الاولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة و يرمى اليها بسبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى و يرمى كرمى الاولى و يقف كوقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة و يرمى سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله و يبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول و يصبح فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى و بين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلاشىء عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى احدا وعشرين حجرا كما سبق وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك(٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام فى مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا أفاض من منى فالاولى أن يقيم بالمحصب من منى و يصلى العصر والمغرب والعشاء و يرقد رقدة فهو السنة (٣) رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلاشىء عليه

﴿ الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع ﴾

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل و يلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج و يحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية و ينوى العمرة و يلبي و يقصد مسجد عائشة رضى الله عنها و يصلى ركعتين و يدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى فكيف أراهما أهلا لان أطأ بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشيتا والى اين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده

أبى أمامة قال ت غريب وعفير يضعف فى الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم خ من حديث أبى بكرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله ه من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت فى ليالى منى والمبيت بمنى د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسند قلت وصله بن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمراسل صحيح الاسناد ولابى داود من حديث عائشة الى النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة خ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث

والانابة والرجوع الى الله تعالى وطلب التاييد من رحمة الله تعالى فيه فانه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما أشار الى الفهم بمزيد اختصاص وتميز عن الحكم والعلم قال الله تعالى ان الله يسمع من يشاء فاذا كان المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار

ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله فى ذلك و يتعلم علمه وأدبه فانه باب

كبير من أبواب الخير وعملا صالحا من أعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين المتبذلين لاستفتاح أبواب الرحمة

من غير استنابة ان أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم (١) ماء زمزم لما شرب له أى يشفى ما قصد به

﴿ الجملة التاسعة فى طواف الوداع ﴾

مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز أولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم ان البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا والا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا أوان انصرافى ان أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك أبدا ما أبقيتنى واجمع لى خيرى الدنيا والآخرة انك على كل شىء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة والأحسن أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

﴿ الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (٢) من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من جاءنى زائرا لا يهمه الا زيارتى كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعل دخولى فيه وقاية لى من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التى الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلى فى المسجد الاول قبل أن زيد فيه ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يارسول الله السلام عليك يانبى الله السلام عليك ياأمين الله السلام عليك ياحبيب الله السلام عليك ياصفوة الله السلام عليك ياخيرة الله السلام عليك ياأحمد السلام عليك يامحمد السلام عليك ياأبا القاسم السلام عليك ياماحى السلام عليك ياعاقب السلام عليك ياحاشر السلام عليك يابشير السلام عليك يانذير السلام عليك ياطهر السلام عليك ياطاهر السلام عليك

---

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له ه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط وك فى المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الجارودى قال بن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال بن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزى (٢) حديث من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى الطبرانى والدارقطنى من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرنى فقد جفانى وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (٤) حديث من جاءنى زائرا لا تهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبرانى

والمزيد من كل شىء ينفع سلوك الآخرة

(الباب الثالث فى بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة الى أنموذج منها)

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله قال أنبانا أبو عبد الرحمن الصوفى قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال انا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال انا أبو عمران السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال ثنا نعيم بن حماد قال ثنا بقية عن الاحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبى عليه السلام عن الشر فقال لا تسالونى عن الشر وسلونى عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء فالعلماء أدلاء الامة وعمد الدين

يا أكرم

يا كرم ولد آدم السلام عليك ياسيد المرسلين السلام عليك ياخاتم النبيين السلام عليك يارسول رب العالمين السلام عليك ياقائد الخير السلام عليك يافاتح البر السلام عليك يانبي الرحمة السلام عليك ياهادى الامة السلام عليك ياقائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الاولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ماصلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وان كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول السلام عليكما ياوزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين فى أمته بعده بامور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قد قلت وقولك الحق ولوأنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لاتجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك ياأرحم الراحمين ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء مااستطاع لقوله صلى الله عليه وسلم [1] مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد ابن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه لماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] قال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء

---

(١) حديث مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة ان طول رمانتى المنبر التين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين اذا جلس شبر واصبعان (٣) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن

واطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوى وأحوج العباد الى الزهد فى الدنيا لانهم يحتاجون اليها لنفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعد وصلاحهم صلاح متعد * قال سفيان بن عيينة أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بان العالم اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلايغرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته فى المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم الا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم فى الاسلام لايضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة مالابد للانسان

و يصلى فيه كان له عدل عمرة و يأتى بئر أريس يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم (١) تفل فيها وهى عند المسجد فيتوضأ منها و يشرب من مائها و يأتى مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد و يقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يتوضأ منها ويغتسل و يشرب منها وهى سبع آبار طلبا لشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم (٣) لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد الا كنت له شفيعا أوشهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة

---

(١) حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس لم أقف له على أصل وانما ورد انه تفل فى بئر البصة و بئر غرس كما سيأتى عند ذكرها (٢) حديث الآبار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها و يغتسل و يشرب منها وهى سبعة آبار قلت وهى بئر أريس و بئر حاو بئر رومة و بئر غرس و بئر بضاعة و بئر البصة و بئر السقيا أو العهن أو بئر جمل فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبى موسى الاشعرى فى حديث حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها و بابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلا وكان احب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب الحديث وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة و يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن . فى رواية لهما هل تعلمون ان رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث وحديث بئر غرس رواه ابن حبان فى الثقات من حديث انس أنه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها و يتوضا ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا اذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس وروينا فى تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم منها توضا و بزق فيها وغسل منها حين توفى وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث ابى سعيد الخدرى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية انه يستقى لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن وللطبرانى من حديث أبى أسيد بصق النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة وروينا أيضا فى تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصة وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار فى مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فلما توضأ قام الحديث وأما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل الحديث وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمى من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شتى (٣) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة تقدم فى الباب قبله (٤) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة

فالمستحب

والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند اليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذيلة فى الدنيا والآخرة فالعلم الذى هو فريضة لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ ابو القاسم المستملى قال أنا الشيخ العالم ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال انا ابو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهانى قال أنا أبو سعيد ابن الاعرابى قال حدثنا جعفر بن عامر العسكرى قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبوعاتكة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين

فالمستحب أن يأتى القبر الشريف و يعيد دعاء الزيارة كما سبق و يودع رسول الله صلى الله عليه وسلم و يسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه و يسأل السلامة فى سفره ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة و يسر رجوعى الى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها وهى عشرون موضعا

﴿ فصل فى سنن الرجوع من السفر ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) اذا قفل من غزو أوحج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات و يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفى بعض الروايات وكل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه واذا أشرف على مدينته يحرك الدابة و يقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا (٢) ثم ليرسل الى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا (٣) وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة ﴾

﴿ بيان دقائق الآداب وهى عشرة ﴾

(الاول) أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت (٤) اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفى الخبر اشارة الى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج و يخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس

فليمت بها الحديث تقدم فى الباب قبله (١) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الارض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومازاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد (٢) حديث ارسال المسافر الى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة لم أجد فيه ذكر الارسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة (٣) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر تقدم فى الصلاة

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة ﴾

(٤) حديث اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للرياء

فان طلب العلم فريضة على كل مسلم * واختلف العلماء فى العلم الذى هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس ومايفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كما ان العمل مامور به قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين فالاخلاص مامور به وخدع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مبانى الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا ومالا يصل العبد الى الفرض الا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لان الخواطر هى أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه و بذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل الا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل من العبد لله وقال بعضهم هو طلب علم الوقت وقال سهل بن عبد الله هو طلب علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه و بين الله

أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه ولست أقول لا تحل الاجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا وفى الخبر (2) مثل الذى يغزو فى سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها فمن كان مثاله فى أخذ الاجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الاجرة بل يأخذ الاجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم ﴿الثانى﴾ ان لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والاعراب المترصدين فى الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف فى حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر فانه لو قعد فى البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شىء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب فهو الذى ساق نفسه الى حالة الاضطرار ﴿الثالث﴾ التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد وأعنى بالاسراف التنعم بأطايب الاطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير كما قيل وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم (3) الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام ﴿الرابع﴾ ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى الى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمى السفر سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه ﴿الخامس﴾ أن يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك الافضل أوصى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب فى المشى فى المناسك والتردد من مكة الى الموقف

والسمعة (1) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه هق من حديث جابر بسند ضعيف (2) حديث مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ اجرها ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن (3) حديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام احمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا

تعالى فى دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان اكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث انه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين اليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدهم بهم فهم وارث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق اذا اراد الدخول فى شىء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو ان يكون العبد يريد عملا يجهل ما لله عليه فى ذلك فلا يجوز له ان يعمل برأيه اذ هو جاهل فيما له وعليه فى ذلك فيراجع عالما يسأله عنه ليجيبه على بصيرة

والى

والى منى آكد منه فى الطريق وان ضاف الى المشى الاحرام من دويرة أهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عزوجل وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه أبعد عن ضجر النفس وأقل لاذاه وأقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغى أن يفصل و يقال من سهل عليه المشى فهو أفضل فان كان يضعف و يؤدى به ذلك الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما ان الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض الى ضعف وسوء خلق * وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشى فيها أو يكترى حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى وان كان المشى أشد عليه كالاغنياء فالمشى له أفضل فكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل له أن يمشى و يصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لاتتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه ﴿السادس﴾ أن لا يركب الا زاملة أما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة ان لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان المحمل يؤذيه والثانى اجتناب زى المترفين المتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم (٢) وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال صلى الله عليه وسلم (٣) خذوا عنى مناسككم وقيل ان هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها فروى سفيان الثورى عن أبيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت فى جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما أحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج ﴿السابع﴾ أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب فى ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر صلى الله عليه وسلم (٤) بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية فى حديث فضالة بن عبيد (٥) وفى الحديث (٦) انما الحاج الشعث التفث (٧) و يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الاشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغى أن يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم (٨) كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية

وقال صحيح الاسناد (١) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم الترمذي فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٣) حديث خذوا عنى مناسككم م ن واللفظ له من حديث جابر (٤) حديث الامر بالشعث والاحتفاء البغوى والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى حدرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف (٥) حديث فضالة بن عبيد فى النهى عن التنعم والرفاهية وان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاه ولأحمد من حديث معاذ اياك والتنعم الحديث (٦) حديث انما الحاج الشعث التفث ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب (٧) حديث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤا شعثا غبرا من كل فج عميق الحاكم وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر (٨) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى

ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول ان طريقه النقل وقال بعضهم اذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد فى الاسلام ولا يحيك فى صدره شىء فهو سالم فان حاك فى صدره شىء أو توسوس بشىء يقدح فى العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجره الى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه و يراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الاسلام لانها افترضت على المسلمين واذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر ان علم التوحيد داخل فى ذلك لان أولها الشهادتان والاخلاص داخل فى ذلك لان ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل فى صحة

الاسلام وحيث اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فريضة على كل مسلم يقتضى ان لا يسمع مسلما جهله وكل

حمر على الاقتاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ﴿ الثامن ﴾ أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها و يثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم (١) لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى (٢) و يستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون فى حسناته و يوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى وكل من اذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة فى كل كبد حراء أجر فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استأمر الجمال فانى قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا ﴿ التاسع ﴾ ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم و نفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل منه ان كان واجبا قيل فى تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا يغالون فى ثلاث و يكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله (٣) وروي ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها و يشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) قال ما عمل آدمى يوم النحر أحب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها واظلافها وان الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالارض فطيبوا بها انفسا وفى الخبر (٥) لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها

أكسية حمر على الاقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم (١) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ ابن أنس عن أبيه (٢) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الادب وقال أمشى قليلا وناقته تقاد (٣) حديث ابن عمر أن عمر أهدي نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها أخرجه د وقال انحرها (٤) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج ت واستغربه و ه وك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقون أى الحج أفضل (٥) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب الى الله من اهراقه دما الحديث ت وحسنه وابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ انه مرسل ووصله ابن خزيمة (٦) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ه ك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لا يصح وروى أبو

ما تقدم من الاقاويل أكثرها ما يسمع المسلم جهله لانه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الاشياء ولو كانت هذه الاشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق الا ما شاء الله وميلى فى هذه الاقاويل الى قول الشيخ أبى طالب أكثر والى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح والطلاق اذا أراد الدخول فيه وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهكذا الذى قاله الشيخ أبو طالب وعندى فى ذلك حد جامع لطالب العلم المفترض والله اعلم (فاقول) العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم علم الامر والنهى والمأمور

لتوضع

لتوضع فى الميزان فابشروا وقال صلى الله عليه وسلم استنجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة ٧ ﴿ العاشر ﴾ أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن أن أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب فلا يضيع منه شىء عند الله عز وجل ويقال أن من علامة قبول الحج أيضا تركه ما كان عليه من المعاصى وان يتبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

﴿ بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من أول الحج الى آخره ﴾

اعلم ان أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج فى الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير فى البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفى كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه ﴿ اما الفهم ﴾ اعلم أنه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها (١) فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعنى الحج وسئل صلى الله عليه وسلم (٢) عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله عز وجل على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى أذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار

الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على أما انها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك يقولها لفاطمة (١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبو داود من حديث أبى أمامة ان رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله رواه الطبرانى بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو والبيهقى فى الشعب من حديث أنس رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وكلاهما ضعيف وللترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله انى أريد أن أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا

٧ (قوله استنجدوا الخ) هذا الحديث لم يخرجه العراقى وهو ليس فى نسخة الشرح فلعله لم يكن فى نسخته اهـ مصححه

مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام ومنها ما يتوجه الامر فيه والنهى عنه عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه به واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث و يتوجه الامر والنهى فيه فعلمه عند تجدده فرض لا يسع مسلما على الاطلاق ان يجهله وهذا الحد أعم من الوجوه التى سبقت والله أعلم * ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين فى الدنيا شمروا عن ساق الجد فى طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الامر والنهى وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا فى ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث امره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك فتح

وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص [1] لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى ﴿وأما الشوق﴾ فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحري أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل ﴿وأما العزم﴾ فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿وأما قطع العلائق﴾ فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أولا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فإن كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فإن المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد

---

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم في الزكاة

الله عليهم ابواب العلوم التي سبق ذكرها قال بعضهم من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة الا من أيد من المشاهدات القوية والانوار البينة والآثار الصادقة بالتثبيت ببرهان عظيم كما قال تعالى ولولا أن ثبتناك ثم حفظ في وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام القرب والمخاطب على بساط الانس محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما أمرت ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها * قيل لابي حفص أي الاعمال أفضل قال الاستقامة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول استقيموا ولن تحصوا وقال جعفر الصادق في قوله تعالى فاستقم كما أمرت أي افتقر الى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قلت يارسول الله روى عنك انك قلت شيبتني سورة هود

وأخواتها فقال نعم قال فقلت له ما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا

بهذا السفر ﴿ وأما الزاد ﴾ فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة أطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذى يفسد فى اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون أعماله التى هى زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير ﴿ وأما الراحلة ﴾ اذا احضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عزوجل له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذى يركبه الى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازى أمر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن ﴿ وأما شراء ثوبى الاحرام ﴾ فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدى ويتزر بثوبى الاحرام عند القرب من بيت الله عزوجل وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله عزوجل ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عزوجل الا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى الله عزوجل بعد الموت الا فى زى مخالف لزى الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن ﴿ وأما الخروج من البلد ﴾ فليعلم عنده أنه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله عزوجل فى سفر لا يضاهى أسفار الدنيا فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله عزوجل الذى فخم أمره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله فى الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عزوجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل اليه وادركته المنية فى الطريق لقى الله عزوجل وافدا اليه اذ قال جل جلاله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴿ واما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات ﴾ فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعى والحيات ومن انفراده عن أهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزودا لمخاوف القبر ﴿ واما الاحرام والتلبية من الميقات ﴾ فليعلم ان معناه اجابة نداء الله عزوجل فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عزوجل وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهى محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه * وقال أحمد بن أبى الحوارى كنت مع أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فاخذته الغشية ثم أفاق وقال يا احمد ان الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بنى اسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عزوجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات اجابته لنداء الله عزوجل اذ قال واذن فى الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور

ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منحهم الله تعالى من ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور * قال ابو على الجوزجانى كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذى ذكره أصل كبير فى الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من اهل السلوك والطلب وذلك ان المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به

وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم اتمام الحج وقبوله أم لا ﴿وأما دخول مكة﴾ فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده ان يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت ولكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع ﴿وأما وقوع البصر على البيت﴾ فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب و يقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه وارج ان يرزقك الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الآخرة ﴿وأما الطواف بالبيت﴾ فاعلم أنه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله و لا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان(١) من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى ﴿وأما الاستلام﴾ فاعتقد عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) انه قال الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه ﴿وأما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم﴾ فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا كرمه وعفوه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل ﴿وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت﴾ فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيآت وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران ﴿واما الوقوف بعرفة﴾ فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم ابو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر يمين الله في الارض يصافح بها خلقه الحديث تقدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو

من الكرامات وخوارق العادات فابدا نفوسهم لا تزال تتطلع الى شيء من ذلك و يحبون ان يرزقوا شيا من ذلك ولعل احدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكشف بشيء من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الامر فيه فيعلم ان الله سبحانه وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا والخروج من دواعي الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية خوارق العادات لان المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا المرزوق بصرف اليقين بشيء من ذلك ما ازداد يقينا

انهم

أمتهم فى الترددات على المشاعر اقتفاءهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله عز وجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقة من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه أيديهم وامتدت اليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من أعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد ﴿ وأما رمى الجمار ﴾ فاقصد به الانقياد للامر أظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فامره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذى القاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل اليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان واعلم انك فى الظاهر ترمى الحصى الى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه ﴿ وأما ذبح الهدى ﴾ فاعلم أنه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدى وارج (1) أن يعتق الله بكل جزء منه جزأ منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم ﴿ وأما زيارة المدينة ﴾ فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته وانها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى أن توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه الا عن سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها وتصور خشوعه وسكينته فى المشى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم ثم أذكر انك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وانك من رؤيته فى الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم (2) يرفع الله الى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يارب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه

(1) حديث أنه يعتق بكل جزء من الاضحية جزأ من المضحى من النار لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لابى الشيخ من حديث أبى سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما تقدم من ذنوبك يقوله لفاطمة واسناده ضعيف (2) حديث يرفع الى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد

للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثانى يكون أتم استعدادا وأهلية من الاول حيث رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فاغنى عن رؤية شئ من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهى كل الكرامة ثم اذا وقع فى طريقه شئ من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فلا يبالى ولا ينقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لانه أصل كبير للطالبين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التى اشار اليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فى ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها فى باب

بعد أن رزقك الايمان وأشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى أن تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بان ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وأفضلهم عصابة وان فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة وانها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بان يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن ابى سليمان أنه قال حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشى عليه فلما أفاق قال أخرجونى فليس يلذلى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون ﴿ وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم [1] ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل فى قلبك طلعته البهية كانها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والانصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل ان لا يفرق فى القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب فى اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغى ان يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وانه ليس يدرى اقبل منه حجه واثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه واعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله تعالى ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من أحبه ومن احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك تم كتاب اسرار الحج يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القران

﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما فى الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم فى غيره اضله

---

(١) حديث ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته ن حب ك من حديث ابن مسعود بلفظ ان الله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن امتى السلام (٢) حديث من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا م من حديث ابى هريرة وعبد الله بن عمرو

﴿ كتاب أداب تلاوة القرآن ﴾

عـلوم القوم واقوم النـاس بطريق المقربين والصوفية اقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة اقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا وخلعا واكلا ونوما ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفى الذنوب ومعرفة سيآت هى حسنات الابرار ومطالبة النفس بترك مالا يعنى ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة وعلم ما يقدح فى المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل فى توكله وما يقدح فى التوكل ومالا يقدح والفرق بين التوكل الواجب بحكم الايمان وبين

الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذى أرشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فكل من امن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده فى أربعة أبواب ﴿ الباب الاول ﴾ فى فضل القران وأهله ﴿ الباب الثانى ﴾ فى اداب التلاوة فى الظاهر ﴿ الباب الثالث ﴾ فى الاعمال الباطنة عند التلاوة ﴿ الباب الرابع ﴾ فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره

﴿ الباب الاول فى فصل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته ﴾

﴿ فضيلة القرآن ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم (٣) لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم (٤) أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم أيضا (٥) ان الله عزوجل قرأ طه ويس قبل ان يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال صلى الله عليه وسلم (٦) خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال صلى الله عليه وسلم (٧) يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسئلتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عزوجل ورجل أم به قوما وهم به راضون وقال صلى الله عليه وسلم (٩) أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القران وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم

﴿ الباب الاول فى فضل القرآن واهله ﴾

(١) حديث من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله طب من حديث عبدالله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث ما من شفيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبرانى من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبى أمامة اقرؤوا القرآن فانه يجيء يوم القيامة شفيعا لصاحبه (٣) حديث لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حديث سهل بن سعد ولاحمد والدارمى والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة بن مالك باسناد ضعيف (٤) حديث أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن أبو نعيم فى فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف (٥) حديث ان الله عزوجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بالف عام الحديث الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٦) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٧) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسئلتى أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبى سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٨) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث تقدم فى الصلاة (٩) حديث اهل القرآن أهل الله وخاصته ن فى الكبرى و ه ك من حديث أنس باسناد حسن (١٠) حديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القران وذكر الموت البيهقى فى الشعب من

التوكل الخاص المختص باهل العرفان وعلم الرضا وذنوب مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته وما لا يقدح فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الأمر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس الا الصبر وانقسام المحبة الخاصة الى محبة الذات والى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والانس والقبض والبسط والفرق بين القبض والهم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والاستتار والتجلي

(1) لله أشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته ﴿الآثار﴾ قال أبو امامة الباهلي اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن وقال ابن مسعود اذا أردتم العلم فاثروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال أيضا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا أقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن و يعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا أنه لا يوحى اليه وقال أبو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم و بغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له الى أحد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق اليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا وروى(2) ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فقال له أعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمورق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماههنا أحد تستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ و يذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القرآن

﴿ذم تلاوة الغافلين﴾

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان أصحاب القرآن يسئلون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس ينامون و بنهاره اذا الناس يفرطون و بحزنه اذا الناس يفرحون و ببكائه اذا الناس يضحكون و بصمته اذا الناس يخوضون و بخشوعه اذا الناس يختالون و ينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا

حديث ابن عمر بسند ضعيف (1) حديث لله أشد أذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته ه حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد (2) حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره

والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبوادي والصحو والسكر الى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر ايضا وهذا المختصر المؤلف يحتوي من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم ان ينفع به و يجعله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهي علوم ذوقية لا يكاد النظار يصل اليها الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى وربما كان محبة الدنيا عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها

ولا

ولاحديداً وقال صلى الله عليه وسلم (١) أكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك فقال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما (٤) لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وفي التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته اليك أنظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

(الاول في حال القارئ) وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الأدب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وأفضل الاحوال أن يقرأ في الصلاة قائما وان يكون في المسجد فذلك من أفضل الاعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لانه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل أفضل (الثاني في مقدار القراءة) وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول

ابن اسحق في السيرة بنحوه (١) حديث أكثر منافقي امتي قراؤها احمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٢) حديث اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٣) حديث ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس اسناده بالقوي (٤) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن الحديث تقدما في العلم

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة)

شاق على النفوس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم اجابت الى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف الا بمجانبة الهوى ولا تدرس الا في مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا اشك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب الا لاولي الالباب وأولو الالباب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء اذا أوصى رجل بماله لاعقل الناس يصرف الى الزهاد لانهم اعقل الخلق (قال) سهل بن عبد الله التستري للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا (حدثنا) الشيخ الصالح ابو الفتح محمد بن عبد الباقي قال انا ابو الفضل احمد بن احمد

الله صلى الله عليه وسلم (١) من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا ان هذا ماقرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم (٢) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهم ففي الختم أربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزأ من ثلاثين جزء وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته فان الملائكة عليهم السلام تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتأمل ﴿ الثالث في وجه القسمة ﴾ أما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن (٣) سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن احزابا فروى ان عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالأنعام الى هود وليلة الأحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الأربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشر سورة والسابع المفصل من ق الى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الاخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث ﴿ الرابع الكتابة ﴾ يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الاجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي الى احداث زيادات وحسما للباب وتشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محظور واستقر أمر الامة فيه على مايحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح انها من محدثات عمر رضى الله عنه وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة مايصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرأ في المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيي بن أبي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف فاول ماأحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهي الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد

---

(١) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت

(٢) حديث امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه (٣) حديث تحزيب القرآن على سبعة احزاب د ه من حديث اوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفي رواية الطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزىء القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره

قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهاني قال حدثنا محمد بن احمد بن محمد قال حدثنا العباس بن أحمد الشاشي قال حدثنا ابو عقيل الوصافي قال أنا عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الاصم الري ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزرمانقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الري على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين فاضافنا تلك الليلة . فلما كان من الغد قال لحاتم يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فاني أريد أن اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فقال سر بنا ياأبا عبد الرحمن فجؤا الى الباب فاذا بباب مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذا الحال ثم اذن لهم

ذلك

ذلك الخواتم والفواتح قل ابو بكر الهذلى سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قل أما اعراب القرآن فلا بأس به وقل خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذى أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه الى ثلاثين جزأ والى أقسام أخر ﴿الخامس الترتيل﴾ هو المستحب فى هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس رضى الله عنه لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقل أيضا لأن أقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب الى من ان أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا الا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما فى الاجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لان ذلك أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال ﴿السادس البكاء﴾ البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقل ابن عباس رضى الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لا محالة و يبكى فان لم يحضره حزن و بكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب ﴿السابع أن يراعى حق الآيات﴾ فاذا مر بآية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالى ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفى القرآن اربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الارض وأكمله أن يكبر فيسجد و يدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قراها مثل أن يقرأ قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على اوليائك واذا قرا قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون و يزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة و يشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبله وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر فى السجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه اذا كان مأموما ﴿الثامن ان يقول فى مبتدإ قراءته﴾ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى و بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم

---

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا د ن ت وقال حسن صحيح (٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ه من حديث سعد بن أبى وقاص باسناد جيد (٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن خ من حديث أبى هريرة (٤) حديث ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ابو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف مرفوعا واسناده حسن

قد خلوا فاذا دار قوراء واذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذى هو فيه فاذا بفرش وطيئة واذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام و بيده مذبة فقعد الرازى يسائله وحاتم قائم فأومأ اليه ابن مقاتل أن أقعد فقال لا أقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وماهى قال مسئلة أسألك عنها قال سلنى قال فقم فاستو جالسا حتى أسألكها فأمر غلمانه فاسندوه فقال له حاتم علمك هذا من أين جئت به قال الثقات حدثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله من أين جاء به قال عن جبرائيل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عن الله وأداه الى رسول الله وأداه رسول الله الى أصحابه واداه اصحابه الى الثقات واداه الثقات

انفعنابه و بارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبح وكبر واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول سبحانه الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة (١) فكان لا يمر بآية رحمة الا سأل ولا بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية تنزيه الا سبح فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه (٢) عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين

﴿ التاسع فى الجهر بالقراءة ﴾ ولا شك فى أنه لا بد أن يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فاقله مايسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ماروى أنه صلى الله عليه وسلم (٣) قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفى الخبر العام (٤) يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (٥) خير الرزق مايكفى وخير الذكر الخفى وفى الخبر (٦) لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلى فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال ياأيها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم (٧) سمع جماعة من أصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم (٨) اذا قام أحدكم من الليل

---

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ولا بآية رحمة الا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح م مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل والنهار واجعله لى حجة يارب العالمين رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الارجانى فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروى من رواية داود بن قيس معضلا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة د ن ت وحسنه من حديث عقبة ابن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحرث الاعور وهو ضعيف (٧) حديث انه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة ان رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبى موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضا انى لأعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل واعرف منازلهم من اصواتهم بالقرآن الحديث (٨) حديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع

سمعت قال من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر قال حاتم فانت بمن اقتديت بالنبى وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الرى ما جرى بينه و بين ابن مقاتل فقالوا له ياأبا عبد الرحمن بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا وأشاروا به الى الطنافسى قال فسار اليه معتمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى اول مبتدى دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة

يصلى

يصلي فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته و يصلون بصلاته ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضي الله عنهم مختلفي الاحوال[1] فمر على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم كلكم قد أحسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر مايشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه أكثر ولان فائدته أيضا تتعلق بغيره فالخير المتعدى افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارىء و يجمع همه الى الفكر فيه و يصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم في رفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة و يقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه و يشتاق الى الخدمة فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر و بكثرة النيات تزكوا أعمال الابرار وتتضاعف أجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة أجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصاحف أفضل اذ يزيد في العمل النظر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرؤون في المصاحف و يكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر و بين يديه مصحف فقال له الشافعي شغلكم الفقه عن القران انى لاصلي العتمة وأضع المصحف بين يدى فما أطبقه حتى أصبح ❁ العاشر ❁ تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظام فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم[2] زينوا القرآن بأصواتكم وقال عليه السلام[3] ماأذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة[4] ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم ماحبسك قالت يارسول الله كنت أستمع قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذى جعل في أمتي مثله[5] واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم من أراد ان يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقراه على قراءة ابن أم عبد وقال صلى الله عليه وسلم[6] لابن مسعود اقرأ على

(١) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وهو يخافت و بعمر وهو يجهر و بلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم في الصلاة (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم د ن ه حب ك وصححه من حديث البراء بن عازب (٣) حديث ماأذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث ابي هريرة بلفظ ماأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن زاد م لنبي حسن الصوت وفي رواية له كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن (٤) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ماسمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذى جعل في امتي مثله ه من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات (٥) حديث استمع ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قل من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد احمد ن في الكبرى من حديث عمر و ت ه من حديث ابن مسعود ان ابا بكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرأ القرآن الحديث قل ت حسن صحيح (٦) حديث انه قل لابن مسعود اقرأ فقال يارسول الله اقرأ وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من

اذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعا فقال له الطنافسي يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا قال حاتم يا سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه اراده بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس أربعين يوما وكتب تجار الرى وقزوين ماجرى بينه و بين ابن مقاتل والطنافسي فلما دخل بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن اعجمي ليس يكلمك احد الا وقطعته قال معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي قالوا أي شيء هي قال أفرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي أن لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فجاء اليه وقال سبحان الله ما اعقله فلما دخلوا عليه قالوا

فقال يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم انى أحب ان أسمعه من غيرى فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (١) واستمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أباموسى فقال يارسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال فقال لى أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفى الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لابى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا فى صلاة اشارة الى قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الاجر الا ان يكون قصده الرياء والتصنع

﴿ الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة ﴾

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلى عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى ﴿فالاول﴾ فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه فى ايصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله عز وجل الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وان الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتى اسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى ايصال معانى الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك حكيم الى شريعة الانبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه فقال الملك أرأيت ما تأتى به الانبياء اذا ادعت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فتنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوأة فى تلك الصفات من ان شرف الكلام اى الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا

غيرى الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (١) حديث استمع الى قراءة ابى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات احمد من حديث ابى هريرة من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع

﴿ الباب الثالث فى اعمال الباطن فى التلاوة ﴾

ياابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم ياأباعبدالله لاتسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال قال أى شىء هى ياأباعبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار الى المدينة ﴿قال الله تعالى﴾ انما يخشى الله من عباده العلماء ذكر بكلمة انما فينتفى العلم عمن لا يخشى الله كما اذا قال انما يدخل الدار بغدادى ينتفى دخول غير البغدادى الدار فلاح لعلماء الآخرة ان الطريق مسدود الى انصبة المعارف ومقامات القرب الا بالزهد والتقوى (قال ابو يزيد) رحمه الله يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصباح اجهد ان اقول لا اله الا الله ما قدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها فى صباى فجاءتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك واعجب ممن يذكر الله تعالى

والحكمة

والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف
للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل
والشاهد المرتضى يأمر و ينهي ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام
شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم
ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم و يستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب
وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف
على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقى
منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي ان
يقتصر عليه ﴿ الثاني ﴾ التعظيم للمتكلم فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة
المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه
الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه
ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير
وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان
عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه و يقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم
ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وافعاله فاذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات
والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد
وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته و بين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه
الذي يقول هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا
يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام ﴿ الثالث ﴾ حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى
خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل
لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال اوشيء احب الي من القرآن حتى أحدث به نفسي وكان بعض
السلف اذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي
يتلوه يستبشر به و يستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي أهلا له فكيف يطلب
الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن
ميادين و بساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن
والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديابيج القرآن والمفصل رياضة والخانات ما سوى
ذلك فاذا دخل القارىء الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض
وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره ﴿ الرابع ﴾ التدبر وهو
وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره
والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي
رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا أن يكون
خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة
ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك ان كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها امامه فهذا وسواس
فقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في أمر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة
أحب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وأني كيف أنصرف فعد ذلك وسواسا وهو

وهو متصف بشيء من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا في العلم (قال الواسطي) الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب في سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن ما تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المواد من الخطاب (وقال) الخراز هم الذين كملوا في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على هممهم الخلائق كلهم أجمعين وهذا القول من ابي سعيد لا يعني به ان الراسخ في العلم ينبغي أن يقف على جزئيات العلوم و يكمل فيها فان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى قوله تعالى وفاكهة وأبا وقال ما الأب ثم قال ان هذا الا تكلف ونقل ان هذا الوقوف في معنى الاب كان من

كذلك فانه يشغله عن فهم ماهو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم دينى ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا و يروى انه صلى الله عليه وسلم (١) قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها وعن ابى ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم انى لافتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول اية لا اتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكى عن ابى سليمان الدارانى انه قال انى لا تلو الآية فاقيم فيها اربع ليال ولولا انى أقطع الفكر فيها ماجاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة مافرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسى مقام الاجراء فانا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة ﴿الخامس التفهيم﴾ وهو ان يستوضح من كل آية مايليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر احوال الانبياء عليهم السلام وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار * اما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وكقوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معانى هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار على رضى الله عنه بقوله (٣) ما أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ كتمه عن الناس الا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت اسماء الله عز وجل وصفاته اذ لم يدرك أكثر الخلق منها الا امورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها وأما افعاله تعالى فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى ان يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شئ اذ كل شئ فهو منه واليه و به وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه فى كل مايراه فكأنه ماعرفه ومن عرفه عرف أن كل شئ ماخلا الله باطل وان كل شئ هالك الا وجهه لا انه سيبطل فى ثانى الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادى علم المكاشفة ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله عز وجل أفرأيتم ماتحرثون أفرأيتم ماتمنون أفرأيتم الماء الذى تشربون افرأيتم النار التى تورون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظام والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ماظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى

(١) حديث انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه ابوذر الهروى فى معجمه من حديث ابى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث ابى ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهى ان تعذبهم فانهم عبادك ن ه بسند صحيح (٣) حديث على ماأسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ كتمه عن الناس الى ان يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه ن من رواية ابى جحيفة قال سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة و برأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ماليس عند الناس ولابى داود والنسائى فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم

لى بكر رضى الله تعالى عنه وانما عنى بذلك ابو سعيد مايفسر أول كلامه بآخره وهو قوله اطلعوا على همم الخلائق كلهم لان المتقى حق التقوى والزاهد حق الزهادة فى الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشئ من اللوح المحفوظ فادرك بصفاء الباطن امهات العلوم واصولها فيعلم منتهى اقدام العلماء فى علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة فى النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلى أن يراجع فى الجزئى اهله الذين هم اوعيته فنفوس هؤلاء امتلأت من الجزئى واشتغلت به وانقطعت بالجزئى عن الكلى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الاخذ مما لا بد لهم منه فى اصل الدين وأساسه من الشرع اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب منه فأفاضت ارواحهم على قلوبهم ما

ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع ﴿وأما أحوال الانبياء عليهم السلام﴾ فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئا واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله عز وجل وارادته لنصرة الحق ﴿وأما أحوال المكذبين﴾ كعاد وثمود وماجرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه ان غفل وأساء الادب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد ﴿السادس﴾ التخلي عن موانع الفهم فان أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم (١) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم أربعة * أولها أن يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فنى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس * ثانيها أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد * ثالثها أن يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه

بعهده الى الناس قال لا الا ما في كتابي هذا الحديث ولم يذكر الفهم في القرآن (١) حديث لولا ان الشياطين

أنوارا نهيات بها قلوبهم لادراك العلوم فأرواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بكونها على العالم الأزلي وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذي يلي النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتالفت العلوم وتالفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتقاشها في اللوح لا غير وانفصال القلوب عن مقام الارواح لوجود انجذابها الى النفوس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتالف فحصلت العلوم لذلك فصار العالم الرباني راسخا في العلم أ* وحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يابني اسرائيل لاتقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا الى بأخلاق الصديقين

وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معاني الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدا ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) اذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكير فقال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال عز وجل وما يتذكر الا من ينيب وقال تعالى انما يتذكر أولو الالباب فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب * رابعها أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه الا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه ﴿ السابع ﴾ التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع أمرا أو نهيا قدر انه المنهي والمأمور وان سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وقال عز وجل لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال الله تعالى وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن الا قام بزيادة أو نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴿ الثامن ﴾ التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل واني لغفار ثم أتبع ذلك بأربعة شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا

يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت تقدم في الصلاة (١) حديث اذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف معضلا

هر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم أو يغمركم فالتادب بآداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضي جبلاتها وقمعها بصريح العلم في كل قول وفعل ولا يصح ذلك الا لمن علم وقرب وتطرق الى الحضور بين يدي الله تعالى فيتحقق بالحق للحق (أخبرنا) شيخنا ابو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا ابو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الاوزاعي عن حسان بن عطية بلغني ان شداد ابن أوس رضي الله عنه نزل منزلا فقال ائتونا بالسفرة نعبث بها فانكر منه ذلك فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت الا وأنا أخطمها ثم أزمها غير هذه فلا تحفظوها

من

من يتصفح القرآن من أوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ماأصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته و بطالته * وقل وهيب بن الورد نظرنا فى هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيأ أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته و ينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] لابن مسعود اقرأ على قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لى حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات فى سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه فاذا قال انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ولم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وفى قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون وفى قوله عز وجل وهم فى غفلة معرضون وفى قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وفى قوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى يعنى التلاوة المجردة وقوله عز وجل وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا قرأ القران ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وانت معرض عنى دع عنك كلامى ان لم تتب الى ومثال العاصى اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفه لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط انى لهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت مافيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] اقرؤا القران ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال الله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقال صلى الله عليه وسلم [3] ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته يقرا رأيت انه يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم [4] لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب

من حديث الفضيل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم فى الباب قبله (٢) حديث اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله ولانت له جلودكم (٣) حديث ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ه بسند ضعيف (٤) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما

على فثل هذا يكون التادب بآداب الروحانيين مكتوب فى الانجيل لا تطلبوا علم ملم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما يسوقكم بالعلم قلنا يارسول الله كيف يسوقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العبد فى العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله تعالى لا يعبا بذى علم ورواية انما يعبأ بذى فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية فى اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى وجماعة

والعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يامرك وبماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفي هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه وانما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى وبقوله عز وجل كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ * (التاسع الترقي) * وأعني به أن يترقى الى ان يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال * الثانية ان يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم * الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم

ذكر أبو القاسم الغافقي في كتاب فضائل القرآن (١) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين الفا لعله أراد بالمدينة والا فقد روينا عن أبي زرعة الرازي انه قال قبض عن مائة الف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومتي وزاد ابن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرؤا القران من اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الانباري بسنده الى عمر قال كان الفاضل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الامة من يحفظ من القران السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف وللترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقراهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك يافلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٢) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه د ن في الكبرى وحب ك وصححه من حديث عبد الله بن عمرو وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يارسول الله الحديث وفيه فاقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل ولاحمد ون في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القصة فقال حسبي لا أبالي ان لا أسمع غيرها

من الماء كل شئ حي وقال تعالى أو من كان ميتا فاحييناه أي كان ميتا بالكفر فاحييناه بالاسلام فالاحياء بالاسلام هو القوام الاول والاصل الاول وللاسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا الى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقق بالاسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة * وللايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل اليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي أنزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم عليه

عليه بل يكون مقصورا لهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وماقبله درجة أصحاب اليمين وماخرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عزوجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال مازلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنى اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فانا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لوطهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم فى الكلام ولذلك قال ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ففروا الى الله ولقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره فى كل شىء فقد رأى غيره وكل ماالتفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيأ من الشرك الخفى بل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شىء الا الله عز وجل *(العاشر التبرى)* وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف الى أن يلحقه الله عز وجل بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول اللهم انى أستغفرك لظلمى وكفرى فقيل له هذا الظلم فمابال الكفر فتلا قوله عز وجل ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف ابن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف الى درجة أخرى فى القرب وراءها ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه الى درجة أخرى فى البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت قال أبو سليمان الدارانى رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخاله ان يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتنى انك تفطر عندى فاخلفت فقال لولا ميعادى معك ماأخبرتك بالذى حبسنى عنك انى لما صليت العتمة قلت أوتر قبل ان اجيئك لانى لا آمن مايحدث من الموت فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت الى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فمازلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لاتكون الا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد المسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان متعطف لا يهمل

(الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

(الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصافه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر الى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان والى وصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص فى اليقين وهو عين اليقين وفى عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين اذن فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره فى الآخرة وفى الدنيا منه لمح يسير لأهله وهو من أعز مايوجد من أقسام العلم بالله لانه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته الى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ماذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لانه اليقين والايمان الذى هو الاساس وعلم الصوفية بالله تعالى من انسبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ووزانة الاعمال على قدر الحظ

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق فى فهم أسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المفسرين المنسوبين الى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم أن لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة الى درجته التى هى حده ومحطه (٢) بل الاخبار والآثار تدل على ان فى معانى القرآن متسعا لارباب الفهم قال على رضى الله عنه الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين الف علم ومائتى علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعة أضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى افعال الله عز وجل وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفى القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٥) اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم (٦) فى حديث على كرم الله وجهه والذى بعثنى بالحق نبيا لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد الحديث وفى حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث الاخبار والآثار الدالة على ان فى معانى القرآن متسعا لارباب الفهم تقدم قول على فى الباب قبله الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه (٣) حديث ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم فى قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبى صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم فى الباب قبله (٥) حديث اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه ابن أبى شيبة فى المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف (٦) حديث على والذى بعثنى بالحق نبيا لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر افتراق الامة بلفظ ألا انها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب واسناده مجهول (٧) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة

والطلاق والعتاق وانما الاشارة الى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم (روى) أن عبد الله بن عمر كان اذا سئل عن شىء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون الناس اليهم فى علم الفتوى والاحكام ويعلمونهم حقائق

يارسول الله فماذا تامرني ان ادركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بمافيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عزوجل واعمل بمافيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جمل العلم أشار به الى ان القران يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال عز وجل ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم[1] من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه صلى الله عليه وسلم وقول ابي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلني وأي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي الى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلوا اما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر وباطل قطعا أن يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما يسمعه لوجوه * احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل و يقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم * والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل ان الر هي حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا * والثالث انه صلى الله عليه وسلم[2] دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا ومثله فما معنى تخصيصه بذلك * والرابع انه قال عزوجل لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين * احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم[3] تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله عزوجل اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومئ الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل

بعده فقلت ما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث د ن في الكبرى وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (١) حديث النهي عن تفسير القرآن بالراي غريب (٢) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل تقدم في الباب الثاني من العلم (٣) حديث تسحروا فان في

اليقين ودقائق المعرفه وذلك لانهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادفتهم طراوة الوحي المنزل وغمرهم غزير العلم المجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجملة ومفصلة وطائفة مفصلة دون مجملة والمجمل أصل العلم ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة * وكمال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار والموعظة والحذار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة اجاب بها الابرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة

بالحكمة أجاب بها المقربون وهى الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة وأشارة التوحيد فلما وجدوا

فينتزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون احد وجهى المنع من التفسير بالرأى و يكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى * والوجه الثانى ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ومافيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة ومافيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير و بادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى فالنقل والسماع لا بدمنه فى ظاهر التفسير اولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومالا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن أن المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم اوانفسهم وقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى حب العجل فحذف الحب وقوله عزوجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة وقوله تعالى واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها أى أهل القرية وأهل العير فالاهل فيها محذوف مضمر وقوله عزوجل ثقلت فى السموات والارض معناه خفيت على أهل السموات والارض والشئ اذا خفى ثقل فابدل اللفظ به واقيم فى مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم وقوله عز وجل آتنا ماوعدتنا على رسلك اى على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر اراد القرآن وماسبق له ذكر وقال عزوجل حتى توارت بالحجاب أراد الشمس وماسبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى أى يقولون مانعبدهم وقوله عز وجل فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون حديثا يقولون ماأصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطورسينين أى طور سيناء سلام على آل ياسين أى على الياس وقيل ادر يس لان فى حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله عزوجل ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله عزوجل قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى يسئلونك كانك حفى عنها أى يسئلونك عنها كانك حفى بها وقوله عز وجل لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أى فصارت أنفال الغنائم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عزوجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه الآية ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة اوحرف أما الكلمة فكالشئ والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين

التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية اجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصارت متابعة الاقوال اجابتهم نفسا ومتابعة الاعمال اجابتهم قلبا والتحقق بالاحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم بالبعض قال عمر رضى الله عنه رحم الله تعالى صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب الامان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم امر الله على القيام بواجب حق العبودية اداء لما عرف من حق العظمه فاجابة الصوفية الى الدعوة اجابة المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر واجابة غيرهم على المكابدة

والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات اثرها فى القيام بحقائق الاستقامة

احدها

والعبودية قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى قال بعضهم اعطى الدارين ولم يرد

أحدهما أبكم لا يقدر على شيء أي الامر بالعدل والاستقامة وقوله عزوجل فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء أراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف في أوان الاستحقاق وقوله عزوجل أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أي من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء الا من شيء * وأما القرين فكقوله عزوجل وقال قرينه هذا مالدي عتيد ألقيا في جهنم كل كفار أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان أراد به الشيطان وأما الامة فتطلق على ثمانية أوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله والامة الدين كقوله عزوجل انا وجدنا اباءنا على أمة والامة الحين والزمان كقوله عزوجل الى أمة معدودة وقوله عزوجل وادكر بعد أمة والامة القامة يقال فلان حسن الامة أي القامة وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال صلى الله عليه وسلم (1) يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والامة الام يقال هذه أمة زيد أي أم زيد والروح أيضا وورد في القرآن على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عزوجل فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات أي أثرن بالحوافر نقعا * والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى فأنزلنا به الماء يعني السحاب فأخرجنا به من كل الثمرات يعني الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر ومنها التدريج في البيان كقوله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن اذ لم يظهر به انه ليل او نهار وبان بقوله عز وجل انا أنزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وامثاله مما لا يغني فيه الا النقل والسماع فالقرآن من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برايه مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برأيه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله عزوجل قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله عزوجل وكذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عزوجل حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة اعلى منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله عزوجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في

السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم (1) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده ن في الكبرى من حديث زيد بن حارثة واسماء بنت ابي بكر باسنادين جيدين

شيأ واتقى اللغو والسيآت وصدق بالحسنى أقام على طلب الزلفى والآية قبل نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه اخر أعطى بالمواظبة على الاعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى نفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والانس وأما من بخل بالاعمال واستغنى امتلا بالاحوال وكذب بالحسنى لم يكن في الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره للعسرى نسد عليه باب اليسر في الاعمال قال بعضهم اذا أراد سوأ سد الله بعبد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما اجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم

معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم[1] في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال انت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لارباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم * تم كتاب اداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه

﴿ كتاب الاذكار والدعوات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الشاملة رافته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى فاذكرونى أذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بامره فقال أدعونى أستجب لكم فاطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والامانى بقوله فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله تعالى فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة ﴿ الباب الاول ﴾ في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا ﴿ الباب الثانى ﴾ في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ الباب الثالث ﴾ في أدعية مأثورة ومعزية الى أصحابها وأسبابها ﴿ الباب الرابع ﴾ في أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة ﴿ الباب الخامس ﴾ في الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث

﴿ الباب الاول في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار ﴾

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة ﴿ من الآيات ﴾ قوله سبحانه وتعالى فاذكرونى أذكركم قال ثابت البنانى رحمه الله انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرنى وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أى بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر

(١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة

من العلم أوفر ونصيبهم من المعرفة أكمل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل جاء رجل الى معاذ قال اخبرنى عن رجلين احدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه عمله قال فاخبرنى عن رجل قليل العمل الا انه قوى اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ معاذ بيده وقال ما رأيت الذى هو أفقه من هذا وفي وصية لقمان لابنه يابنى لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين أفضل العلم لانه أدعى الى العمل وما كان أدعى الى العمل كان أدعى الى العبودية وما كان أدعى الى العبودية كان أدعى الى القيام بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم

من

من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان أحدهما ان ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم اياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات ﴿وأما الاخبار﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدى ماذكرنى وتحركت شفتاه بى (١) وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ماعمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) أى الاعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم (٦) أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم (٧) لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم (٨) يقول الله تبارك وتعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم (٩) سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لاظل الاظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠) ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم (١١) قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته افضل ماأعطى السائلين ﴿ وأما

---

(١) حديث ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال فى وسط الشجر الحديث (٢) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه ه حب من حديث أبى هريرة وك من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الاسناد (٣) حديث ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ باسناد حسن (٤) حديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٥) حديث سئل أى الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ (٦) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لايعرف (٧) حديث لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا رويناه من حديث أنس بسند ضعيف فى الاصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد (٨) حديث قال الله عز وجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٩) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضا (١٠) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم الحديث ت ه ك وصحح اسناده من حديث أبى الدرداء (١١) حديث قال الله تعالى من شغله

الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما فى نفسه من اعتقاده فى نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فانعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لايفطن ان هذه علة غامضة ومرض يحتاج الى المداواة ولا يتفكر فى منشأ هذا المرض ولو علم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فيعلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر واظهاره ذلك الى الفعل تكبر فحيث انعصر صار فعلا به تكبر

الزاهد لايميز نفسه بشيء دون المسلمين ولا يرى نفسه فى مقام تمييز يميزها بمجلس فالصوفى العالم

مخصوص بمميز ولوقدر له ان يبتلى بمثل هذه الواقعة وينمصر من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها

الآثار ﴾ فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك مابينهما وقال بعض العلماء ان الله عزوجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عزوجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه واعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ماحرم الله عزوجل ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عزوجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها والله تعالى أعلم

﴿ فضيلة مجالس الذكر ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه (١) ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله عزوجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم (٢) مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال أيضا صلى الله عليه وسلم ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم (٣) القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى اذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال صلى الله عليه وسلم (٤) المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الارض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين مايصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك (٥) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) وروى الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عزوجل ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عزوجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أى شيء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك

ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين خ فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبى الصفا ذكره حب فى الضعفاء وفى الثقات ايضا (١) حديث ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده م من حديث أبى هريرة (٢) حديث مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيآتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم فيه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبى هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له اسنادا (٥) حديث أبى هريرة انه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق الحديث الطبرانى فى المعجم الصغير باسناد فيه جهالة أو انقطاع (٦) حديث الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عزوجل ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا

ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغاء الى النفس وانصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع فى الحال داءه الى الله تعالى ويشكو اليه ظهور نفسه ويحسن الانابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب الى الله تعالى مستغيثا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس فى طلب دوائها من الفكر فيمن تقدم فوقه وربما أقبل على من تقدم فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه فى هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبى المناصب الدنيوية فاى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له

لكانوا

لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اى شىء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل واى شىء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله انى أشهدكم انى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم

﴿ فضيلة التهليل ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (١) أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقال صلى الله عليه وسلم (٤) ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم (٥) أيضا لابى هريرة يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم (٦) لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له ذلك وقال صلى الله عليه وسلم (٧) يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء قال صلى الله عليه وسلم هى أهدم وأهدم وقال صلى الله عليه وسلم (٨) من قال لا اله الا الله مخلصا

الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث ابى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (١) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله الحديث تقدم فى الباب الثانى من الحج (٢) حديث من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة (٤) حديث ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور الحديث أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٥) حديث يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله أرجح من ذلك قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات ولو جعلت لا اله الا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والارضين السبع فى كفة مالت بهن لا اله الا الله رواه ن فى اليوم والليلة وحب وك وصححه (٦) حديث لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ وللترمذى فى حديث لأنس يقول الله يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ولابى الشيخ فى الثواب من حديث أنس يارب ما جزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٧) حديث يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا (٨) حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة الطبرانى من حديث

فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب

﴿ الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم ﴾

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين ابو احمد عبد الوهاب بن على قال أخبرنا ابو الفتح عبد الملك ابن أبى القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد ابن أحمد المحبوبى قال انا ابوعيسى محمد بن عيسى الترمذى قال ثنا مسلمة بن حاتم الانصارى قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بنى وذلك

دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (١) لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يارسول الله من الذى يأبى و يشرد عن الله قال من لم يقل لا اله الا الله فأكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم و بينها فانها كلمة التوحيد وهى كلمة الاخلاص وهى كلمة التقوى وهى الكلمة الطيبة وهى دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان فى الدنيا قول لا اله الا الله وفى الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال (٢) من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) من قال فى يوم مائتى مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده الا من عمل بأفضل من عمله وقال صلى الله عليه وسلم من قال فى سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة و بنى له بيتا فى الجنة (٤) و يروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفى الصحيح عن أبى ايوب عن النبى صلى الله عليه وسلم (٥) أنه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم (٦) أنه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفر لى غفر له أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته

﴿ فضيلة التسبيح والتحميد و بقية الأذكار ﴾

زيد بن أرقم باسناد ضعيف (١) حديث لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله البخارى من حديث أبى هريرة كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى زاد ك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخارى قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى ولابن عدى وأبى يعلى والطبرانى فى الدعاء من حديثه أكثروا من قول لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم و بينها وفيه ابن وردان أيضا ولابى الشيخ فى الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالى مرسلا اذا قلت لا اله الا الله وهى كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولابى بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث ابن مسعود فى اجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الاخلاص ولابن عدى من حديث ابن عمر فى اجابة المؤذن دعوة الحق وللطبرانى فى الدعاء عن عبدالله بن عمر وكلمة الاخلاص لا اله الا الله الحديث وللطبرانى من حديث سلمة بن الاكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وللطبرانى فى الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا اله الا الله وله عنه فى قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا اله الا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله ولابن عدى والمستغفرى من حديث انس ثمن الجنة لا اله الا الله ولا يصح شىء منها (٢) حديث البراء من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو فى مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٣) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال فى كل يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك فى المستدرك واسناده جيد وهكذا هو فى بعض نسخ الاحياء (٤) حديث ان العبد اذا قال لا اله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث أبى أيوب من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل متفق عليه (٦) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لا اله الا الله الحديث رواه خ

من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحياني ومن احياني كان معي فى الجنة وهذا أتم شرف وا كمل فضل اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما قدروا على أحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم فى الدنيا وتركها لاربابها وطلابها لان مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست بأرواحهم المزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة اصبحوا وامسوا وليس فى قلوبهم غش لاحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وان لا يرى نفسه

قال صلى الله عليه وسلم من سبح (١) دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يارسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم (٤) اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من المتكلم آنفا قال أنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (٨) الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم (٩) قال لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية

---

(١) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م حديث أبي هريرة (٢) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمر وان نوحا قال لابنه آمرك بلا اله الا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق واسناده صحيح (٤) حديث اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الأرض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده (٥) حديث رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ (٦) حديث الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ن في اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة الا بالله (٧) حديث ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند ت وحسنه ون في اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٨) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتحميده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه الحديث ه وك وصححه على شرط م (٩) حديث ابي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس

تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقراء من أصحابنا وقع لي ان معنى كنست بأرواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل اليها لان الصوفية أرواحهم في محال القرب ونورها يسري الى النفوس وبوصول نور الروح الى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكانها تكنس بنور الروح وهذا المعنى صحيح وان لم يرد القائل بقوله ذلك * قال الله تعالى في وصف أهل الجنة ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكره ان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور

أخرى زاد لا حول ولا قوة الا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم (١) أحب الكلام الى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول صلى الله عليه وسلم (٤) أي الكلام أحب الى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ان الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن أبي ذر رضي عنه انه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة في في أهله فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أدلك على عمل اذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (٩) انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل

وزاد في رواية ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الاول وللمستغفري في الدعوات من رواية مالك بن دينار ان أبا امامة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنم القوم وهو مرسل جيد الاسناد (١) حديث سمرة بن جندب احب الكلام الى الله أربع الحديث رواه م (٢) حديث أبي مالك الاشعري الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٣) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان الحديث متفق عليه (٤) حديث أبي ذر أي الكلام احب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون قوله سبحان الله العظيم (٥) حديث ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله الحديث ن في اليوم والليلة وك وقال صحيح على شرطهم وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الا انهما قالا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٦) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم والليلة وحب وك وقال صحيح على شرطهم وصححه (٧) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي الحديث رواه م (٨) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق الحديث رواه ه الا انه قال قال سفيان لا ادري أيتهن أربع ولاحمد في هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادهما جيد ولابي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف (٩) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات

التوفيق فصارت اخوانا فالخلق حجابهم عن القيام باحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شيء مع رسول صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله تعالى عند ذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله اياه فاوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لانهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ثم اتبعوه في أعمالهم من الجد والاجتهاد في العبادة والتهجد

فانها

فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم (١) يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري (٢) اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا اله الا أنا وأنا أكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم (٣) انه قال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم (٤) يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية أخرى ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة الا بالله وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم (٦) من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدي وكفي ووقي لا سبيل لكم اليه

(فان قلت) فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه أيضا (٧) وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر أول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا

د ت ك باسناد جيد (١) حديث ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح قلت انما هو عبد الله ابن عمرو بن العاص كما رواه د ن ت وحسنه وك (٢) حديث أبو هريرة وأبي سعيد اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن ون في اليوم والليلة وه ك وصححه (٣) حديث مصعب بن سعد عن ابيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م الا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح (٤) حديث يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله متفق عليه (٥) حديث ابي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم ن في اليوم والليلة وك من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد (٦) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربا الحديث د ن في اليوم والليلة وك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا (٧) حديث الدال على ان الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم

والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا بركة المتابعة في الاقوال والافعال التخلق باخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من احواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا جميع أقسام المتابعات وأحيوا سنته باقصى الغايات * قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك قال القائمون بعقولهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الافتقار الى مولاه حتى يقول لا تكلني الى نفسي طرفة عين اكلأني كلاءة الوليد ومن أشرف ما ظفر به الصوفي من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام الالتجاء ولا يتحقق بهذا

الوصف من صدق الافتقار الاعبد كوشف باطنه بصفاء المعرفة واشرق صدره بنور اليقين وخلص قلبه الى بساط

بحيث لا يصبر عنه فإن من أحب شيأ أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وان كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف الى أن يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هي النفس ما عودتها تتعود * أي ما كلفتها أولا يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله عز وجل فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فانك مفارقه أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول انه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ماذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (٢) القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وبقوله صلى الله عليه وسلم (٣) ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر وبقوله صلى الله عليه وسلم (٤) لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم (٥) أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما أشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله

الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه (١) حديث ان روح القدس نفث في روعي أحبب من احببت فانك مفارقه تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر م من حديث ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية قال أما انا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير أخضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما انا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس ان ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا م من حديث انس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك ان أرواح المؤمنين في

القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة فبقيت نفسه بين هذه الاشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالما وهي وشيكة الرجوع سريعة الانفلات والانقلاب فالله تعالى بكمال لطفه عرفها الى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة الى مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات الى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو من ربه أدنى ساعة وربط معرفتها بمعرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه

عز

عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة الا فى صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله ابن عمرو الانصارى يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لجابر ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله عز وجل أحيا اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعـالى تمن على ياعبدى ماشئت أعطيكه فقال يارب أن تردنى الى الدنيا حتى أقتل فيك وفى نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء منى بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لولم يقتل وبقى مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل فى اخر الحال فى قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هـذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه فى الآخرة اذ يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه فاسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد (٢) نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل واعلاء كلمته فهذه الحالة هى التى عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسان ولم يساعده حاله فامره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى ان يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله تعـالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معانى الذكر التى لا يمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة

﴿ الباب الثانى فى اداب الدعاء وفضل بعض الادعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ فضيلة الدعاء ﴾

قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وقال تعـالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية أنه لا يحب المعتدين وقال تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال عز وجل قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن أياما تدعو فله الاسماء الحسنى

طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ انما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح (١) حديث ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا اباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على الحديث ت وقال حسن و ه ك وصحح اسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبى موسى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (٣) حديث تفضيل لا اله الا الله على سائر الاذكار وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ه من حديث جابر

﴿ الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله ﴾

عليه وسلم غير الصوفى العالم بالله الزاهد فى الدنيا المتمسك من التقوى باوثق العرى ومن الذى يهتدى الى فائدة هذه الحال غير الصوفى فدوام افتقاره الى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفى هـذا اللياذ استغراق الروح واستتباع القلب الى محل الدعاء وفى انجذاب القلب إلى محل الدعاء بلسـان الحال والكون فيه نبو النفس عن مستقرها من الاقسام العاجلة ونزولها اليها فى مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعـالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والحقد والحسد وسائر المذمومات فهذا

(وروى) النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم الآية وقال صلى الله عليه وسلم (٢) الدعاء مخ العبادة وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم (٣) قال ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم (٤) ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم (٥) سلوا الله تعالى من فضله فانه تعالى يحب أن يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج

﴿ آداب الدعاء وهي عشرة ﴾

﴿ الاول ﴾ أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الاشهر ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب صلى الله عليه وسلم انما قال سوف أستغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء ﴿ الثاني ﴾ أن يغتنم الاحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه ان أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم (٧) الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال صلى الله عليه وسلم (٨) أيضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات أيضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالاجابة قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (٩) أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا فيه من الدعاء وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (١٠) انه قال اني نهيت ان أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن أن يستجاب لكم ﴿ الثالث ﴾ ان يدعو مستقبل القبلة و يرفع يديه

---

(١) حديث النعمان بن بشير ان الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مخ العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب و ه حب ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له الديلمي في الفردوس من حديث أنس وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولاحمد وخ في الادب والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي سعيد اما ان تعجل له دعوته واما ان يدخرها له في الآخرة واما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسال وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد د ن في اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم والليلة باسناد آخر جيد وحب و ك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه (٩) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء رواه م (١٠) حديث ابن عباس اني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م

واليهما الاشارة بقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب فقوم من الصوفية خصوا بالاجتباء الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهاده وفي هذا أخذ بطائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادرهم سطوع نور اليقين فاثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال فاقبلوا على الاعمال باللذاذة والعيش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرباح العناية القديمة بهم فالتجؤا الى السجود بحيث

بحيث يرى بياض ابطيه وروى جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبيده اذا رفعوا أيديهم اليه ان يردها صفرا وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم (٣) كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولا يشير باصبعه وروى أبو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم (٤) مر على انسان يدعو ويشير باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد أى اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الايدى قبل أن تغل بالاغلال ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم (٦) اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلى الله عليه وسلم (٧) لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم * (الرابع) * خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى ان أبا موسى الاشعرى قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم (٨) يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عز وجل (٩) ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أى بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية * (الخامس) * ان لا يتكلف السجع فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم (١٠) سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وقد قال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى فى دعائه فيسال ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه ان العلماء يحتاج اليهم فى الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال صلى الله عليه وسلم (١١) اياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمى يدعو

أيضا (١) حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفا و ن من حديث اسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (٢) حديث سلمان ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا د ت وحسنه و ه ك وقال اسناد صحيح على شرطهما (٣) حديث انس كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولا يشير باصبعه م دون قوله ولا يشير باصبعه والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء (٤) حديث أبى هريرة مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن و ه ك وقال صحيح الاسناد (٥) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب و ك فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٦) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف (٧) حديث لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم م من حديث أبى هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة (٨) حديث أبى موسى يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود (٩) حديث عائشة فى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أى بدعائك متفق عليه (١٠) حديث سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وفى رواية والطهور د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل (١١) حديث اياكم والسجع فى الدعاء بحسب

شكرا وقالوا آمنا برب العالمين (أخبرنا) ابو زرعة طاهر بن ابى الفضل اجازة قال أنا ابو بكر أحمد بن على بن خلف اجازة قال أنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا موسى الزقاق يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأ لهم الكرامة فاسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم فى العمل والخدمة على الالفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه وبهذا الاسناد الى أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت على ابن سعيد يقول سمعت أحمد بن الحسن الحمصى يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة أبى سعيد تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول فى حاله معان على حركاته وسعيه فى الخدمة مكفى مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذى قاله الشيخ أبو سعيد هو الذى اشتبه حقيقته على

طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالاكثار من النوافل وقد راوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا ان ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا الى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلؤا بالحال فطرحوا نوافل الاعمال فاما المرادون فتبقى عليهم الاعمال والنوافل وفيها قرة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الاول فهذا الذى أوضحناه أحد طريق الصوفية فاما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى ويهدى اليه من ينيب فطولبوا بالاجتهاد اولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بانواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر

وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله تعالى لم يخبر فى موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففى الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم (١) أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل ﴿السادس﴾ التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخيفة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه ﴿السابع﴾ أن يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم (٣) لا يقل أحدكم اذا دعا اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال صلى الله عليه وسلم (٤) اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شىء وقال صلى الله عليه وسلم (٥) ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله اذ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين ﴿الثامن﴾ ان يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام (٦) اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا وينبغى ان لا يستبطىء الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم (٧) يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما اجابنى وأنا أرجوا الاجابة سألت الله تعالى ان يوفقنى لترك ما لا يعنينى وقال صلى الله عليه وسلم (٨) اذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة

أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون الا ذلك و ه ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة الى آخره (١) حديث أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى سيء الحفظ (٢) حديث اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فانى أحب أن أسمع صوته وللطبرانى من حديث أبى أمامة ان الله يقول للملائكة انطلقوا الى عبدى فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فانى أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف (٣) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث ابى هريرة (٤) حديث اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شىء حب من حديث أبى هريرة (٥) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من حديث أبى هريرة وقال غريب و ك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف فى الحديث (٦) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٧) حديث يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى متفق عليه من حديث أبى هريرة (٨) حديث اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شىء فليقل

فليقل الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأعنه شئ من ذلك فليقل الحمدلله على كل حال ﴿ التاسع ﴾ أن يفتتح الدعاء بذكر الله عزوجل فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) يستفتح الدعاء الا استفتحه بقول سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب وقال ابوسليمان الدارانى رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عزوجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع مابينهما وروى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال اذا سألتم الله عزوجل حاجة فابتدؤا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضى احداهما و يرد الاخرى رواه أبوطالب المكى ﴿ العاشر ﴾ وهو الادب الباطن وهو الاصل فى الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الاجابة فيروى عن كعب الاحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببنى اسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فاوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام انى لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله عز وجل اليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى لبنى اسرائيل توبوا الى ربكم باجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبنى اسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء اولنؤذينه قيل له وكيف تقدران تؤذيه وهو فى السماء فقال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثورى بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون و يتضرعون فاوحى الله عز وجل الى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فانى لاأجيب لكم داعيا ولاأرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار أصاب الناس فى بنى اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله عزوجل الى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون الى بابدان نجسة وترفعون الى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا منى الا بعدا وقال أبو الصديق الناجى خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهى تقول اللهم انا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلاتهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعى خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم انا قد سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم فاغفرلنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينا ادع لنا ربك فقال انكم تستبطؤن المطر وأنا أستبطئ الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة الا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ماعلمت من شئ غير أنى كنت ذات يوم أصلى فمرت بى امرأة فنظرت اليها بعينى هذه فلما جاوزتنى أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت

الحمد لله على كل حال البيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف (١) حديث سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب أحمد و ك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامى ضعفه الجمهور (٢) حديث اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى احداهما

عن كل مألوف وعادة وهى الانابة التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها وهذه الهداية آنفا هداية خاصة لانها هداية اليه غير الهداية العامة التى هى الهدى الى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الاولى وهذا حال السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فاثمرت هداية خاصة واهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا من مضيق العسر الى فضاء اليسر و برزوا من وهج الاجتهاد الى روح الاحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم (أخبرنا) الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن عبد الباقى قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ ابو نعيم الاصفهانى قال ثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله

السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغسانى أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم انك أنزلت فى توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال الثانى اللهم انك أنزلت فى توراتك ان نعتق أرقاءنا اللهم انا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك أنزلت فى توراتك أن لا نرد المساكين اذا وقفوا بأبوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمى منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر الى فقال ياعطاء أهذا يوم النشور او بعثر ما فى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال ياعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهى وسيدى ومولاى لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من اسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدونا * اذ لمولاهم أجاعوا البطونا

اسهروا الاعين العليلة حبا * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى * حسب الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم اذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما وألقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبى فسمعته يقول الهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسألك ياحليما ذا أناة يامن لا يعرف عباده منه الا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا فقلت امر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

﴿ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى انه صلى الله عليه وسلم (١) جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال صلى الله عليه وسلم انه جاءنى جبرائيل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك احد من أمتك صلاة واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم (١) من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى على فليقلل عبد من ذلك

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال انه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا ن وحب من حديث أبى طلحة باسناد جيد (٢) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى على فليقل عبد من ذلك أو ليكثر ه من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الاوسط باسناد حسن و برد الاخرى لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على أبى الدرداء

الرازى يقول سمعت ابا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول ماأخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات فقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة وقال أبو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شئ دون الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه وقال أيضا عقوبة قلب المريدين ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات الى أضدادها فهذان الطريقان يجمعان احوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف * أحدهما مجذوب أبقى على جذبته ما رد الى الاجتهاد بعد الكشف * والثانى مجتهد متعبد ما خلص الى

او

أوليكثر وقال صلى الله عليه وسلم (١) ان أولى الناس بى أكثرهم على صلاة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على وقال صلى الله عليه وسلم (٣) أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من صلى على من أمتى كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت وقال صلى الله عليه وسلم (٥) من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ان فى الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ليس احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه السلام (٩) وقيل له يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بابى أنت وامى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم (١٠) فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت أولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد

---

(١) حديث ان أولى الناس بى اكثرهم على صلاة ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٢) حديث بحسب امرئ من البخل ان اذكر عنده فلا يصلى على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن على هكذا ون وحب من حديث أخيه الحسين البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وراه ت من رواية الحسين بن على عن أبيه وقال حسن صحيح (٣) حديث اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة د ن ه حب ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبى حاتم فى العلل وحكى عن ابيه انه حديث منكر (٤) حديث من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ن فى اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وله فى السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٥) حديث من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى البخارى من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال النداء وللمستغفرى فى الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث ابى الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفرى فى الدعوات بسند ضعيف من حديث أبى رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الاذان فذكر حديثا فيه واذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته فى امته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة وفيه فمن سال الوسيلة حلت عليه الشفاعة (٦) حديث من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب الطبرانى فى الاوسط وابو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٧) حديث ان فى الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن امتى السلام تقدم فى آخر الحج (٨) حديث ليس احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه السلام د من حديث أبى هريرة بسند جيد (٩) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته الحديث متفق عليه من حديث ابى حميد الساعدى (١٠) حديث عمر فى حنين الجذع ونبع الماء من بين اصابعه والاسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة

الكشف بعد الاجتهاد والصوفية فى طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن ان يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لامن طريق المتابعة فهو مخذول مغرور (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن على ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت نصر ابن أبى نصر يقول سمعت قسما غلام الزقاق يقول سمعت أبا سعيد السكرى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد رحمه الله علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة * حكي ان ابا يزيد البسطامى رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان

أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع لا تأكلني فإني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أما تتم الصلاة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن الشافعي قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وسلم جزي عني أنه لا يوقف للحساب

﴿ فضيلة الاستغفار ﴾

قال الله عز وجل والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية وقوله عز وجل ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال عز وجل فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دمي وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعق أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح وحديث كلام الشاة المسمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دمي وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخاري من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط.

الرجل في ناحيته مقصودا ومشهورا بالزهد والعبادة فقصدناه فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقه نحو القبلة فقال أبو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين (وسئل) خادم الشبلي رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلي أن وضئني للصلاة فوضأته فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها (وقال) سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعي حالا على غير هذا الوجه فمدع مفتون كذاب ﴿ الباب الخامس في ماهية التصوف ﴾ أخبرنا الشيخ أبو زرعة

طاهر بن ابى الفضل فى كتابه قال انا ابو بكر احمد ابن على بن خلف الشيرازى اجازة قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى

وقال تعالى والمستغفرين بالاسحار وكان صلى الله عليه وسلم (١) يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى انك أنت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم (٣) انى لاستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم (٤) انه ليغان على قلبى حتى انى لاستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم (٥) من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر أوعدد رمل عالج أوعدد ورق الشجر أوعدد أيام الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم (٦) فى حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة (٧) كنت ذرب اللسان على أهلى فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاين أنت من الاستغفار فانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم (٩) يقول فى الاستغفار اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفرلى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير وقال على رضى الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه واذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثنى ابو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠) يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم

وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك (١) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى انك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة انه كان يكثر ان يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله انك أنت التواب الرحيم (٢) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب د ن فى اليوم والليلة ه ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان (٣) حديث انى لأستغفر الله واتوب اليه فى اليوم سبعين مرة خ من حديث ابى هريرة الا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف (٤) حديث انه ليغان على قلبى حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة م من حديث الاغر (٥) حديث من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى الى فراشه وقوله ثلاث مرات (٦) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبى صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن فى اليوم والليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث عائشة ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد أوتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وللطبرانى فى الدعاء فان العبد اذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٩) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (١٠) حديث على عن أبى بكر ما من عبد

قال أنا ابراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال ثنا عبد الله بن احمد البغدادى قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا عمر بن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة فالفقر كائن فى ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه * قال رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة (وقال) معروف الكرخى التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق فمن لم يتحقق

يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر لله عز وجل الا غفر له ثم تلا قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم الآية وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) انه قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تغلف قلبه فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم (٢) قال ان الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول يارب انى لى هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم (٣) قال اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم (٤) اذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفرلى فيقول الله عز وجل أذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدى اعمل ماشئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم (٥) ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يارب فاغفرلى فقال الله عز وجل قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم (٧) من أذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفرله وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم (٨) يقول الله تعالى ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى وقال صلى الله عليه وسلم (٩) من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل وروى (١٠) ان أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شرما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء على نفسى بذنبي فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبي فاغفر لى ذنوبى ماقدمت منها وما أخرت فانه لا يغفر الذنوب جميعها الا أنت *(الآثار)* قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان أحب عبادى الى المتحابون بحبي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار أولئك الذين اذا أردت أهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم

ودوائكم

يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له اصحاب السنن وحسنه ت (١) حديث أبى هريرة ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث ت وصححه ون فى اليوم والليلة وه حب ك (٢) حديث ابى هريرة ان الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب انى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد باسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا ه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٤) حديث اذا أذنب العبد فقال اللهم اغفرلى يقول الله أذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة د ت من حديث أبى بكر وقال غريب وليس اسناده بالقوى (٦) حديث ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يارب اغفرلى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على اصل (٧) حديث من أذنب فعلم ان الله قد اطلع عليه غفرله وان لم يستغفر الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى اغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى ت ه من حديث أبى ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ اخر (٩) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه وان كانت كدبيب النمل البيهقى فى الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كانت عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لا اله الا أنت فى أوله وفيه ابن لهيعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت الحديث خ من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبى ماقدمت منها وما اخرت ودون قوله جميعا

بالفقر لم يتحقق بالتصوف (وسئل الشبلى) عن حقيقة الفقر فقال ان لا يستغنى بشىء دون الحق (وقال) أبو الحسين النورى نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود (وقال) بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر ان يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما أن الغنى يحترز من الفقير حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه (وبالاسناد الذى سبق الى أبى عبدالرحمن) قال سمعت أبا عبد الرحمن الرازى يقول سمعت مظفرا القرميسنى يقول الفقير الذى لا يكون له الى الله حاجة قال وسمعته يقول سالت أبا بكر المصرى عن الفقير فقال الذى لا يملك ولا يملك *(قوله لا يكون له الى الله حاجة)* معناه انه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلاءته به لا يحوجه الى رفع الحاجة

ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار. وقال على كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وماهى قال الاستغفار وكان يقول ماألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلنى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم رحمه الله لايقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لى وتب على وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لايعلم وسمع اعرابى وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفارى مع اصرارى للؤم وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الى بالنعم مع غناك عنى وكم أتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك يامن اذا وعد وفى واذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك ياأرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملا اوخلاء وسر وعلانية ياحليم ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

﴿ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية الى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة ﴾

﴿ فنها ﴾ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح[1] قال اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم اعطنى ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم انى أنزل بك حاجتى وان ضعف رأيى وقلت حيلتى وقصر عملى وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا كافى الامور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه احداً من خلقك فانى أرغب اليك فيه وأسألكه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك من اطاعك من خلقك ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى العزة والكرم

﴿ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ﴾

(١) حديث ابن عباس اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى الحديث ت وقال غريب ولم يذكر فى أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبرانى

لمله بعلم الله بحاله فيرى السؤال فى البين زيادة وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لانهم أشاروا فيها الى أحوال فى أوقات دون أوقات ويحتاج فى تفصيل بعضها من البعض الى الضوابط فقد تذكر أشياء فى معنى التصوف ذكر مثلها فى معنى الفقر وتذكر أشياء فى معنى الفقر ذكر مثلها فى معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلابد من بيان فاصل فقد تشتبه الاشارات فى الفقر بمعانى الزهد تارة وبمعانى التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض * فنقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد أوصاف واضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وان كان زاهدا وفقيرا قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت آدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب

سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبي ونورا فى قبرى ونورا فى سمعي ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا واعطنى نورا واجعل لى نورا

﴿ دعاء عائشة رضى الله عنها ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لعائشة رضى الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ماسألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ماقضيت لى من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين

﴿ دعاء فاطمة رضى الله عنها ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يافاطمة مايمنعك أن تسمعى ماأوصيك به أن تقولى ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله

﴿ دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم انى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيته أوقضاء قضيته أوسائل اعطيته اوغنى أفقرته اوفقير أغنيته اوضال هديته وأسألك باسمك الذى انزلته على موسى صلى الله عليه وسلم واسألك باسمك الذى بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست واسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن والعلم به وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لاحول ولا قوة الا بك ياأرحم الراحمين

﴿ دعاء بريدة الاسلمى رضى الله عنه ﴾

روى انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) يابريدة ألا اعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه أبدا قال فقلت بلى يارسول الله قال قل اللهم انى ضعيف فقوفى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى وانى ذليل فأعزنى وانى فقير فأغننى ياأرحم الراحمين

﴿ دعاء قبيصة بن المخارق ﴾

(١) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم الحديث ه و ك وصححه من حديثها (٢) حديث يافاطمة مايمنعك ان تسمعى ماأوصيك به أن تقولى ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله ن فى اليوم والليلة و ك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٣) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم انى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك الحديث فى الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه ان أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى أتعلم القرآن ويتفلت منى فذكره وعبد الملك وأبو ضعيفان وهو منقطع بين هارون وابى بكر (٤) حديث يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن اياه الحديث

حسن أدب الباطن لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه (اخبرنا) الشيخ رضى الدين احمد ابن اسمعيل اجازة قال انا الشيخ ابو المظفر عبد المنعم قال اخبرنى والدى ابو القاسم القشيرى قال سمعت محمد بن احمد بن يحيى الصوفى يقول سمعت عبد الله ابن على يقول سئل ابو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سنى والخروج عن كل خلق دنى فاذا عرف هذا المعنى فى التصوف من حصول الاخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم ان التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال

اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبرسنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما للدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانك اذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج وأما لآخرتك فقل اللهم اهدنى من عندك وافض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء

﴿ دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه ﴾

قيل لابى الدرداء رضى الله عنه (٢) قد احترقت أدرك وكانت النار قد وقعت فى محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ماندرى أى قوليك أعجب قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يقول هؤلاء الكلمات فى ليل ء أنهار لم يضره شىء وقد قلتهن وهى اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم

﴿ دعاء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾

كان يقول اذا أصبح اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وماعملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه

﴿ دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم ﴾

كان يقول اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤبى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى ياحى ياقيوم

﴿ دعاء الخضر عليه السلام ﴾

يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلاث مرات اذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق ان شاء الله تعالى

﴿ دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه ﴾

قال محمد بن حسان قال لى معروف الكرخى رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها لى قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن خنيس رحمه الله حسبي الله لدينى حسبي الله لدنياى حسبي الله الكريم لما أهمنى حسبي الله الحليم القوى لمن بغى على حسبي الله الشديد لمن كادنى بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسئلة فى القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روى عن أبى الدرداء أنه قال من قال فى كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا

ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد (١) حديث ان قبيصة بن المخارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سنى وعجزت الحديث ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد فى المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٢) حديث قيل لابى الدرداء احرقت

الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير فى فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنى متطلع الى ما تحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فكلما لاحظ العوض الباقى أمسك عن الحاصل الفانى وعانق الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال فى طريق الصوفية لانه تطلع الى الاعواض وترك لاجلها والصوفى يترك الاشياء لا للاعواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وارادة والاختيار والارادة علة فى حال الصوفى لان الصوفى صار قائما فى

هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا

﴿دعاء عتبة الغلام﴾

وقد رؤى فى المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم ياهادى المضلين و ياراحم المذنبين و يامقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين

﴿دعاء آدم عليه الصلاة والسلام﴾

قالت عائشة رضى الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم مافى نفسى فاغفرلى ذنوبى اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى و يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى الا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى ياذا الجلال والاكرام فاوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لك ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها

﴿دعاء على بن أبى طالب كرم الله وجهه﴾

رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم و يقول انى انا الله رب العالمين انى أنا الله لا اله الا أنا الحى القيوم انى أنا الله لا اله الا أنا العلى العظيم انى أنا الله لا اله الا أنا لم الد ولم أولد انى أنا الله لا اله الا أنا العفو الغفور انى أنا الله لا اله الا أنا مبدىء كل شىء والى يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة انى أنا الله لا اله الا أنا كما أوردناه فى الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك أنت الله لا اله الا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والارضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى

﴿دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه﴾

روى ان يونس بن عبيد راى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت ثم من الاعمال قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى واذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة و يوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الانفاس وابد من الآباد من ابد الى أبد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره

﴿دعاء ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه﴾

روى ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد

دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبرانى فى الدعاء من حديث ابى الدرداء ضعيف (١) حديث على ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول انى انا الله رب العالمين انى انا الله لا اله الا انا الحى القيوم الحديث بطوله لم

الاشياء بارادة الله تعالى لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة فى صورة فقر ولا فى صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه و يدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى فى الدخول فى الشىء وقد يدخل فى صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ فى السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح فى فى السعة والدخول فيها الصادقين الا بعد احكامهم علم الاذن وفى هذا مزلة للاقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال الا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم ان الفقر اساس التصوف و به قوامه على معنى ان الوصول الى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود

والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد ا كتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا و بلقائه مصدقا و بحجته معترفا و من ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله فى الآلهة جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متكلا والى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله الذى لا اله الا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله تعالى اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتني وانا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذى شر اللهم انى ظلمت نفسي فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك واليك أستغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الامي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا اختم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده ابدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك ياعلى ياعظيم يابارئ يارحيم ياعزيز ياجبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شئ من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك ياحي ياقيوم ياعليم ياحليم سبحانك لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شئ قدير

﴿ الباب الرابع فى ادعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ماجمعه أبوطالب المكى وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله ﴾

يستحب للمريد اذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتى ذكره فى كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فبادعائه فقل فى مفتتح دعواتك (١) اعقاب صلواتك (٢) سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقل (٣) رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث مرات وقل (٤) اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وقل اللهم (٥) انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقل عثراتى واحفظني

أجد له أصلا

﴿ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الاعلى الوهاب تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا الحديث تقدم فى الباب الاول من الاذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه د ت وصححه وحب وك وصححه من حديث أبى هريرة أن أبا بكر الصديق قال يارسول الله مرنى بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم انى أسألك العافية فى دينى

من كونه قائما فى الاشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد مكونان فى الاشياء بنفسهما واقفان مع ارادتهما مجتهدان ان مبلغ علمها والصوفى متهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن الى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه (قال) ذوالنون المصرى رحمة الله عليه الصوفى من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب وقال أيضا الصوفية آثروا الله تعالى على كل شئ فآثرهم الله على كل شئ فكان من ايثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم وارادة الله على ارادة نفوسهم ﴿ قيل لبعضهم ﴾ من أصحب من الطوائف قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك

من بين يدى ومن خلفي وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذبك ان اغتال من تحتى اللهم (١) لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولاتنزع عنى سترك ولاتنسنى ذكرك ولاتجعلنى من الغافلين وقل اللهم (٢) أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شرماصنعت أبوءلك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثلاث مرات وقل اللهم (٣) عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى فى بصرى لا اله الا أنت ثلاث مرات وقل اللهم انى أسألك (٤) الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك ان أظلم أو أظلم أواعتدى أو يعتدى على أو اكسب خطيئة أوذنبا لا تغفره اللهم انى أسألك (٥) الثبات فى الامر والعزيمة فى الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسألك قلباخاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ماتعلم وأعوذ بك من شرماتعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم اغفرلى (٦) ماقدمت وماأخرت وما أسررت وماأعلنت وماأنت به أعلم منى فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم انى أسألك (٧) ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى أعلى جنة الخلد اللهم انى أسألك (٧) الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وأن تتوب على وتغفرلى وترحمنى واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون اللهم (٩) بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خير الى وتوفنى ما كانت الوفاة خير الى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك

ودنياى وأهلي ومالى اللهم استرعورتى وآمن روعتى وأقل عثرتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى واعوذ بعظمتك ان أغتال من تحتى د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح (١) حديث اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا ترفع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولنى غيرك واسناده ضعيف (٢) حديث اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذبك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (٣) حديث اللهم عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى فى بصرى لا اله الا انت ثلاث مرات د ن فى اليوم والليلة من حديث أبى بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوى (٤) حديث اللهم انى أسالك الرضا بعد القضاء الحديث الى قوله اوذنبا لا يغفر أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت فى اثناء حديث وقال صحيح الاسناد (٥) حديث اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد الحديث الى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (٦) حديث اللهم اغفرلى ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت الحديث الى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبى موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم فى الباب الثانى من هذا الكتاب (٧) حديث اللهم انى أسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد الحديث ن فى اليوم والليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الابد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد واسالك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع (٨) حديث اللهم انى أسالك الطيبات وفعل الخيرات الحديث الى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم انى اسالك فعل الخيرات الحديث وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهى فى الدعاء للطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال ابو حاتم ليست له صحبة (٩) حديث اللهم انى اسالك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احينى ما كانت الحياة خير الى الحديث الى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول

ويستقبح الاخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم وقال بعضهم الصوفى من اذا استقبله حالان حسنان او خلقان حسنان يكون مع الاحسن والفقير والزاهد لا يميزان كل التميز بين الخلقين الحسنين بل يختار ان من الاخلاق ايضا ما هو أدعى الى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حاكمان فى ذلك بعلمهما والصوفى هو المستبين الاحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن انابته وحفظ قربه ولطيف الوجه وخروجه الى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد * وقال عمرو ابن عثمان المكى التصوف أن يكون العبد فى كل وقت مشغولا بما هو أولى فى الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل

والشوق

والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم (١) اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة اللهم (٢) املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك ماتذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب الينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك اللهم (٣) اجعل اول يومنا هذا اصلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة (٤) الحمد لله الذى تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته وخضع كل شئ لملكه واستسلم كل شئ لقدرته والحمد لله الذى سكن كل شئ لهيبته واظهر كل شئ بحكمته وتصاغر كل شئ لكبريائه اللهم (٥) صل على محمد وعلى آل محمد وازواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم (٦) صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذى وعدته يوم الدين اللهم (٧) اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٨) نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم (٩) بقدرتك على تب على انك أنت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى انك انت الغفار الحليم وبعلمك بى ارفق بى انك أنت أرحم الراحمين وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها على انك أنت الملك الجبار (١٠) سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبي انك أنت ربى ولا يغفر الذنوب

الله صلى الله عليه وسلم يدعونه (١) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك (٢) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث الى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لم أقف له على أصل (٣) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أوفى بالشطر الاول فقط الى قوله نجاحا واسناده ضعيف (٤) حديث الحمد لله الذى تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته الحديث الى قوله وتصاغر كل شئ لكبريائه الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذى سكن كل شئ لهيبته الى آخره وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف ايضا (٥) حديث اللهم صل على محمد وازواجه وذريته الحديث الى قوله حميد مجيد تقدم فى الباب الثانى (٦) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى رسول الأمين واعطه المقام المحمود يوم الدين لم اجده بهذا اللفظ مجموعا و خ من حديث أبى سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك و حب قط ك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمى و ن من حديث جابر وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وهو عند خ بلفظ وابعثه مقاما محمودا قال قط اسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق فى المعرفة اسناده صحيح (٧) حديث اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين الحديث الى قوله وصرفنا بحسن اختيارك لنا لم اقف له على اصل (٨) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه طب من حديث ام سلمة انه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم انى اسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لا اعلم روى عنه الا موسى بن عقبة (٩) حديث اللهم بقدرتك على تب على انك انت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عنى الحديث الى قوله أنك الملك الجبار لم اقف له على اصل (١٠) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبي انت ربى انه لا يغفر الذنوب الا انت هق فى الدعوات من حديث على دون

التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل ابن عبد الله الصوفى من صفا من الكدر وامتلا من الفكر وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر (وسئل) بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول فى الشريعة (قال) ذو النون المصرى رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من اين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت واين تريدين قالت الى رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فأنشأت قوم همومهم بالله قد

الا أنت اللهم [1] ألهمني رشدى وقني شر نفسى اللهم [2] ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني [3] أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة [4] يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفره هب لى مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولبي فى الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان الى قوله عزوجل انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا الى اخر السورة [5] ربنا اغفرلى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والأموات [6] رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وانت خير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ﴿انواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾ اللهم [7] انى اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى

قوله ذنبي انك انت ربى وقد تقدم فى الباب الثاني (١) حديث اللهم ألهمني رشدى وقني شر نفسى ت من حديث عمران ابن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه ن فى اليوم والليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني فيه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني ك من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة لى بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٣) حديث اللهم انى اسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين فى الدنيا والآخرة ن من حديث أبى بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفى رواية للبيهقى سلوا الله العفو والعافية واليقين فى الأولى والآخرة فانه ما أوتى العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفى رواية لاحمد أسأل الله العفو والعافية (٤) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالا يضرك واعطني مالا ينقصك أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف (٥) حديث رب اغفرلى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والاموات د ه باسناد حسن من حديث ابى اسيد الساعدى قال رجل من بنى سلمة هل بقى على من بر ابوى شيء قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولابى الشيخ حب فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث انس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من اول الدهر او هو كائن الى يوم القيامة وسنده ضعيف وفى صحيح حب من حديث ابى سعيد ايما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة (٦) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الأكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث ام سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الاقوم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبراني فى الدعاء من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سعى فى بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وانت الاعز الأكرم وفيه ليث بن ابي سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٧) حديث اللهم انى اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر خ من

علقت * فمالهم همم تسمو الى احد فمطلب القوم مولاهم وسيدهم * يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ماان تنازعهم دنيا ولا شرف * من المطاعم واللذات والولد ولا للبس ثياب فائق انق * ولا لروح سرور حل فى بلد الا مسارعة فى اثر منزلة * قد قارب الخطو فيها باعد الابد فهم رهائن غدران واودية * فى الشوامخ تلقاهم مع العدد ﴿قال الجنيد﴾ الصوفى كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الا كل مليح وقال ايضا هو كالارض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقى كل شيء واقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على الف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الالفاظ وان اختلفت متقاربة المعانى فنقول الصوفى هو الذي يكون دائم التصفية لايزال يصفى الاوقات

اذل

أرذل العمر وأعوذبك من فتنة الدنيا وأعوذبك من عذاب القبر اللهم [1] انى أعوذ بك من طمع يهدى الى طبع ومن طمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم أنى أعوذبك [2] من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع واعوذبك من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن أرد الى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك اللهم انى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم انى أعوذبك [3] من التردى واعوذبك من الغم والغرق والهدم واعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذبك من أن أموت فى تطلب الدنيا اللهم انى أعوذبك [4] من شرما علمت ومن شرمالم أعلم اللهم [5] جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم انى أعوذ بك [6] من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم انى أعوذبك [7] من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذبك من فتنة الدجال اللهم انى أعوذبك [8] من شر سمعى وبصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيى اللهم انى أعوذبك من [9] جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم انى أعوذبك [10] من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذبك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والسمعة والرياء وأعوذبك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسىء الاسقام

الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة وفر منها الى ربه فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسرفيه ان الروح مجذوبة الى الحضرة الالهية يعنى ان روح الصوفى متطلعة منجذبة الى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب على عقبها ولا بد للصوفى من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع اصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى الصوفى

حديث سعد بن أبى وقاص (١) حديث اللهم انى أعوذبك من طمع يهدى الى طبع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع احمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد (٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث الى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيدة الاسناد (٣) حديث اللهم انى أعوذبك من التردى وأعوذبك من الغم الحديث الى قوله وأعوذ بك أن أموت لطالب الدنيا د ن ك وصحح اسناده من حديث ابى اليسر واسمه كعب بن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت لطالب دنيا وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا (٤) حديث اللهم انى أعوذبك من شر ماعلمت ومن شر مالم أعلم قلت هكذا فى غير نسخة علمت وانما هو عملت واعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه وشر مالم أعمل وشر مالم أعلم (٥) حديث اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والأهواء ت وحسنه و ك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك (٦) حديث اللهم انى أعوذبك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث اللهم انى أعوذبك من الكفر والدين والفقر واعوذبك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول من الكفر والدين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٨) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيى د ن ت وحسنه ك وصحح اسناده من حديث سهل بن حميد (٩) حديث اللهم انى أعوذبك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول ن ك من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (١٠) حديث اللهم انى أعوذبك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسىء الاسقام د ن مقتصرين على الاربعة الاخيرة و ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

اللهم انى أعوذبك[1] من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى أعوذ بك [2] من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشرفتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذبك من المغرم والمأثم اللهم انى أعوذبك [3] من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذبك من شر الأثم وفتنة الصدر اللهم انى أعوذبك[4] من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين

﴿ الباب الخامس فى الادعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث ﴾

اذا أصبحت سمعت الأذان فتستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء فى كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم [5] اجعل فى قلبي نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا وأمامى نورا واجعل من فوقى نورا اللهم اعطنى نورا وقل أيضا اللهم انى اسألك [6] بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى انه لايغفر الذنوب الا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل [7] بسم الله رب أعوذبك ان أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على [8] بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم بسم الله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم [9] صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفرلى جميع ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى فى الدخول فاذا رايت فى المسجد [10] من يبيع أو يبتاع فقل لاارجح الله تجارتك واذا رأيت من

---

(١) حديث اللهم انى أعوذبك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم انى أعوذبك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشرفتنة الغنى وشرفتنة الفقر وشرفتنة المسيح الدجال وأعوذبك من المأثم والمغرم متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذبك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث اللهم انى أعوذبك من قلب لايخشع ونفس لاتشبع وعمل لايرفع ودعوة لاتستجاب لها وصلاة لاتنفع وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وللنسائى باسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث وأعوذبك — و د من حديث أنس اللهم انى أعوذبك من سوء العمر وأعوذبك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم انى أعوذبك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم

﴿ الباب الخامس فى الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث ﴾

(٥) حديث القول عند الخروج الى المسجد اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى لسانى نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك الحديث من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب اعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على أصحاب السنن من حديث أم مسلمة قال ت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة الا بالله التكلان على الله ه من حديث أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره الا انه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفرلى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ت حسن وليس اسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبى حميد أو أبى أسيد اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك وزاد د فى أوله فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم (١٠) حديث القول اذا رأى من يبيع او يبتاع فى المسجد لاأربح الله تجارتك ت وقال حسن غريب و ن فى اليوم

ابن محمد بن طاهر قال أخبرنى والدى قال أنا أبو على الشافعى بمكة حرسها الله تعالى قال أنا أحمد بن ابراهيم قال أنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم قال أنا أبو عبد الله المخزومى قال ثنا سفيان عن مسلم عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف فمن هذا الوجه ذهب قوم الى انهم سموا صوفية نسبة لهم الى ظاهر اللبسة لانهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الانبياء عليهم السلام * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام وقيل ان عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف

ينشد

ينشد ضالة في المسجد فقل لا ردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فإذا صليت ركعتي الصبح فقل (١) بسم الله اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) فإذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت و بك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع سمعي و بصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان أحببت فقل (٤) سبحان ربي العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح (٦) فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت فقل اللهم (٧) لك سجدت و بك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه و بصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أو تقول (٨) سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم (٩) أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل (١٠) سبحانك اللهم و بحمدك أشهد ان لا اله الا أنت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل (١١) لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) بسم الله اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني أعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم (١٣) اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك

واللیلة من حديث أبي هريرة (١) حديث القول اذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لا ردها الله عليك م من حديث ابي هريرة (٢) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٣) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك اسلمت الحديث م من حديث علي (٤) حديث القول فيه سبحان ربي العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٥) حديث القول فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح م من حديث عائشة (٦) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث ابي سعيد الخدري وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهي في اليوم والليلة للحسن بن علي المعمري وهي عند م من حديث ابن ابي اوفى وعند خ من حديث ابي هريرة (٧) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث علي اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٨) حديث سبحان ربي الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (٩) حديث القول اذا فرغ من الصلاة اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام م من حديث ثوبان (١٠) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم و بحمدك أشهد ان لا اله الا انت ن في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن (١١) حديث القول عند دخول السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ت من حديث عمر وقال غريب و ك وقال صحيح على شرط الشيخين (١٢) حديث بسم الله اللهم اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم أعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة ك من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة قلت فيه ابو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الاسدي مختلف فيه (١٣) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمن سواك ت وقال حسن

والشعر و يأكل من الشجر و يبيت حيث أمسى ﴿وقال﴾ الحسن البصري رضي الله عنه لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ووصفهم أبو هريرة وفضالة ابن عبيد فقال كانوا يخرون من الجوع حتى تحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى ان بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن اذا أصابه الغيث وقال بعضهم انه ليؤذيني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكانت اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في امر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف هممهم الى امر الاخرة وهذا الاختيار يلائم و يناسب من حيث الاشتقاق لانه يقال تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير

عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم (١) كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له (٢) واذا رايت شيأ من الطيرة تكره فقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيات الا أنت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال فقل اللهم (٣) أهله علينا بالامن والايمان والبر والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ مما تسخط ربى وربك الله وتقول هلال (٤) رشد وخير آمنت بخالقك اللهم انى أسألك (٥) خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله أولا ثلاثا واذا هبت الريح فقل اللهم انى أسألك (٦) خير هذه الريح وخير مافيها وخير ماأرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر مافيها ومن شر ماأرسلت به واذا بلغك وفاة أحد فقل (٧) انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه فى المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وتقول عند النظر الى السماء ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد فقل (٨) سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فان رأيت الصواعق فقل اللهم (٩) لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا

غليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقلدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا الى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين فى الاشارة اليهم وادعى الى حصر وصفهم لان لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وايضا لان حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء الى القرب وعظم الاشارة الى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والاشارة اليه وقعت الاشارة الى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الاشارة اليه وتتداوله الالسنة فكان هذا أقرب الى الادب والادب فى الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم الى اللبسة تنبيء عن

غريب و ك وقال صحيح الاسناد من حديث على بن ابى طالب (١) حديث الدعاء اذا لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له د ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه ابن السنى بلفظ المصنف (٢) حديث القول اذا رأى شيأ من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات الا أنت لا حول ولا قوة الا بالله ابن أبى شيبة وأبو نعيم فى اليوم والليلة وهق فى الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفى اليوم والليلة لابن السنى عن عقبة بن عامر فجعله مسندا (٣) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله الدارمى من حديث ابن عمر الا انه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيدالله دون ذكر التكبير وللبيهقى فى الدعوات من حديث قتادة مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٤) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك د مرسلا من حديث قتادة انه بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات وأسنده الدار قطنى فى الافراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال د وليس فى هذا عن النبي صل الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٥) حديث اللهم انى اسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثنى من لا أتهم (٦) حديث القول اذا هبت الريح اللهم انى أسألك خير هذه الريح وخير مافيها وخير ماأرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ماأرسلت به ت قال حسن صحيح ون فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب (٧) حديث القول اذا بلغه وفاة أحد انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ابن السنى فى اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة اذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل انا لله وانا اليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه (٨) حديث القول اذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته مالك فى الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٩) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا

وعافنا قبل ذلك قاله كعب فاذا أمطرت السماء فقل اللهم[١] سقيا هنيأ وصيبانا فعا اللهم اجعله[٢] صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم[٣] اغفرلى ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرنى من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم[٤] انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم فاذا غزوت فقل اللهم[٥] أنت عضدى ونصيرى وبك أقاتل[٦] واذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرنى بخير[٧] فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا أبطأت فقل الحمد لله على كل حال[٨] واذا سمعت أذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك ان تغفرلى[٩] واذا أصابك هم فقل اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاءك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أوأنزلته فى كتابك أوعلمته أحدا من خلقك أواستأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونورصدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى قال صلى الله عليه وسلم ما أصاب احدا حزن فقال ذلك الا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يارسول الله أفلا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغى لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا فى جسدك اوجسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة اوجرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال[١٠] بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا[١١] واذا وجدت وجعا فى جسدك فضع يدك على الذى يتألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر[١٢] فاذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلى الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم

بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب ن فى اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السنى باسناد حسن (١) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيأ وصيبانا فعا خ من حديث عائشة كان اذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا وهو سيبا بالسين وله ون فى اليوم والليلة اللهم اجعله صيبا هنيا واسنادهما صحيح (٢) حديث اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سبب عذاب ن فى اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٣) حديث القول اذا غضب اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرنى من الشيطان الرجيم ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٤) حديث القول اذا خاف قوما اللهم انى اجعلك فى نحورهم واعوذ بك من شرورهم دن فى اليوم والليلة من حديث ابى موسى بسند صحيح (٥) حديث القول اذا غزا اللهم انت عضدى ونصيرى بك أقاتل دت ن من حديث انس قال ت حسن غريب (٦) حديث القول عند طنين الاذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرنى الطبرانى وابن عدى وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابى رافع بسند ضعيف (٧) حديث القوم اذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات تقدم فى الدعاء (٨) حديث القول اذا سمع اذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسألك ان تغفرلى تد وقال غريب وك من حديث ام سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الخرائطى فى مكارم الاخلاق والحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة (٩) حديث القول اذا اصابه هم اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتى بيدك الحديث احمد وحب ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن ابيه فانه مختلف فى سماعه من ابيه (١٠) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (١١) حديث وضع يده على الذى يألم من جسده ويقول بسم الله ثلاثا ويقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر سبع مرات م من حديث عثمان بن ابى العاص (١٢) حديث دعاء الكرب لا اله الا الله العلى الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس اليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى ان المبتدىء المريد الذى يؤثر طريقهم ويحب الدخول فى أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ويعلم ان المأكول أيضا من جنس الملبوس فيدخل فى طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدى والاشارة الى شىء من حالهم فى تسميتهم بذلك أبعد من فهم ارباب البدايات فكان تسميتهم بهذا انفع وأولى وأيضا غير هذا المعنى مما يقال انهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى واذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم وأيضا لان لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم الى امر آخر من حال اومقام امر باطن والحكم بالظاهر اوفق واولى فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق واقرب الى

فان أدركت النوم فتوضا اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا (١) وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل (٢) اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم انى لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك اللهم (٣) باسمك أحيا وأموت اللهم (٤) رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغننى من الفقر اللهم (٥) انك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان أمتها فاغفر لها وان أحييتها فاحفظها اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة (٦) باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لى ذنبي اللهم (٧) قنى عذابك يوم تجمع عبادك اللهم (٨) أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك امنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم (٩) أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال اليك تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى (١٠) فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور (١١) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله

---

(١) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث على (٢) حديث القول عند ارادة النوم اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما اثنيت على نفسك النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع (٣) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء (٤) حديث اللهم رب السموات والارض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوي الحديث الى قوله وأغننا من الفقر م من حديث أبى هريرة (٥) حديث اللهم انت خلقت نفسى وأنت تتوفاها الحديث الى قوله انى أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٦) حديث باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لى ذنبي ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبى هريرة باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسى فاغفر لها وقال خ فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (٧) حديث اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك ت فى الشمايل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه (٨) حديث اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت أمرى اليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٩) حديث اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى فى أحب الأعمال اليك تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وادعوك فتستجيب لى ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا فى أحب الساعات اليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا واسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء (١٠) حديث القول اذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء (١١) حديث اصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والارض وكل شيء لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله واسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا واصبح الملك لله

اصبحنا

التواضع و يقرب ان يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفى والتوارى كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت اليها فيقال صوفى نسبة الى الصوفة كما يقال كوفى نسبة الى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد (أخبرنا) ابو زرعة طاهر عن ابيه قال انا عبد الرازق بن عبد الكريم قال انا ابو الحسن محمد بن محمد قال ثنا ابو على اسمعيل ابن محمد قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد ابن الاعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه

(١) أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم (٢) بك أصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم (٣) انى أسألك ان تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى اللهم (٤) فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٥) بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله (٦) رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير * (٧) واذا أمسى قال ذلك الا انه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرا ومن شر كل ذى شر ومن شر كل

---

(١) حديث أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى بن كعب مرفوعا (٢) حديث اللهم بك أصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اصحاب السنن وحب حسنه ت الا انهم قالوا واليك النشور ولابن السنى واليك المصير (٣) حديث اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم الحديث لم أجد اوله وت من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوأ أو نجره الى مسلم رواه د من حديث ابى مالك الاشعرى باسناد جيد (٤) حديث اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين واغننى من الفقر وقونى على الجهاد فى سبيلك وللدارقطنى فى الافراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده ود من حديث ابى مالك الاشعرى اللهم انا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد وللحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم انى أسألك خير ما فى هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م فى المساء خير ما فى هذه الليلة الحديث ثم قال واذا أصبح قال ذلك ايضا (٥) حديث بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه الا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم قال يلتقى الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما راس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير الا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق واحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده فى ترجمة الحسين بن رزين وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٦) حديث رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا تقدم فى الباب الاول (٧) حديث القول عند المساء مثل الصباح الا انك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن ابن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ

هممهم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم فى الاصل صفوى فاستثقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة الى الصفة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض الآية وهذا ان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ولكن صحيح من حيث المعنى لان الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوا من اربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا انفسهم

دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم (١) واذا نظر في المرآة قال الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين (٢) واذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٣) واذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل للمقضي له (٤) بارك الله لك في أهلك ومالك اذ قال صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة * (فان قلت) * فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وأن لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت البذر وان لم يسبق لم ينبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٥) الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل الا عند المام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتي في مواضعها ان شاء الله تعالى وعلى الله التكلان تم كتاب الاذكار والدعوات بكماله يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

اعتصم من شر الثقلين الحديث وفيه وان قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه بن لهيعة ولاحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث ان جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث واسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (١) حديث القول اذا نظر في المرآة الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين الطبراني في الاوسط وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث القول اذا اشترى خادما أو دابة اللهم اني اسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند جيد (٣) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ت ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٤) حديث الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه بارك الله لك في اهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء ن من حديث عبد الله بن ابي ربيعة قال استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الفا فجاءه مال فدفعه الي قال فذكره واسناده حسن (٥) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم في الباب الاول

في المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ونزل في ابن ام مكتوم قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الأعمى وكان من اهل الصفة فعوتب النبي صلى الله عليه وسلم لاجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافحهم لا ينزع يده من ايديهم وكان يفرقهم على اهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر اربعة وكان

وصحبه وسلم

﴿كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل﴾

وهو الكتاب العاشر من احياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى اله الطاهرين وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا ﴿أما بعد﴾ فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم فى سفرهم الى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم فى دركات الجحيم فالغافل فى نفس من أنفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار والسعى الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول فى كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين ﴿الباب الاول﴾ فى فضيلة الاوراد وترتيبها فى الليل والنهار ﴿الباب الثانى﴾ فى كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به ﴿الباب الاول﴾ فى فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها

﴿فضيلة الاوراد وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق الى الله تعالى﴾

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة الا فى لقاء الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقاء الا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وأفعاله وليس فى الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق أوقات الليل والنهار فى وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغى أن يستغرقا جميع الاوقات أو أكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر أوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو فى طلبها القلب ويتجرد وأما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب فيه وحضوره الا فى بعض الاوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته فى الطاعة ومن أراد أن

سعد بن معاذ يحمل الى بيته منهم ثمانين يطعمهم وقال أبوهريرة رضى الله عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون فى ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه فاذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة ان تبدو عورته ﴿وقال﴾ بعض أهل الصفة جئنا جماعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يارسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به والذى نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم الا الاسودان الماء والتمر ﴿أخبرنا﴾ الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقى فى كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر بن زكريا الطريثيثى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال حدثنا

تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من أهله فانظر الى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال الله تعالى لاقرب عباده اليه وأرفعهم درجة لديه ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود وقال سبحانه وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال عزوجل وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال عزوجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) أحب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الاوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك فى أحدهما مافات فى الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه

﴿ بيان أعداد الاوراد وترتيبها ﴾

اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم الى أربعة أوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان من النصف الاخير من الليل الى طلوع الفجر فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به ﴿ فالورد الاول ﴾ ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس هو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل يبسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴿ فأما ترتيبه ﴾ فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغى أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذى احيانا بعد ما أماتنا واليه النشور الى

(١) حديث احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاهلة لذكر الله الطبرانى وك وقال

محمد بن محمد بن سعيد الانماطى قال حدثنا الحسن بن يحيى بن سلام قال حدثنا محمد بن على الترمذى قال حدثنى سعيد بن حاتم البلخى قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن ابى عبد الرحمن السكرى عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اهل الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقى منكم على النعت الذى انتم عليه اليوم راضيا بما هو فيه فانه من رفقائى يوم القيامة ﴿وقيل﴾ كان منهم طائفة بخراسان يأوون الى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم فى خراسان شكفتية لان شكفت اسم الغار ينسبونهم الى المأوى والمستقر واهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر فى القرآن

آخر

آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوى به ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة الى بيت الماء ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء(١) صلى ركعتي الفجر أعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء اداهما في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول اللهم(٢) انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة سعيا(٣) بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو(٤) بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) يغلس بالصبح ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦) أنه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لاى شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر(٧) فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى اوقال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم(٨) طرقه وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله انما أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم ينبغي ان يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاة فيقول

صحيح الاسناد من حديث ابن ابي اوفى بلفظ خيار عباد الله (١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم انى اسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث المشي الى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث ابي هريرة (٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الاذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث انس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها واذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم اجده اصلا بهذا السياق وفي شعب الايمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة (٧) حديث ابي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم اقف له على اصل (٨) حديث علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا

واسم الصوفى مشتمل على جميع المتفرق في هذه الاسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين ﴿ونقل﴾ عن الحسن البصرى رحمة الله عليه انه قال رأيت صوفيا في الطواف فاعطيته شيأ فلم يأخذه وقال معى أربع دوانيق يكفيني مامعى ويشيد هذا ما روى عن سفيان انه قال لولا أبو هاشم الصوفى ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على ان هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة العربية لان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة اليها اولى من كل اشارة

أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) لأن أقعد في مجلس أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي من أن أعتق أربع رقاب وروى أنه صلى الله عليه وسلم (٢) كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أى بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك مالا يحصى وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول أنه قال يا ابن ادم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما واذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته الى الطلوع أربعة أنواع ادعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الادعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب (٥) لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدأ بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه وأما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحدة منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر أكثر والاوسط الاقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الارض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة ﴿الاولى﴾ قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ﴿الثانية﴾ قوله (٦) سبحان الله

بيد الله الحديث متفق عليه (١) حديث لأن اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي من ان اعتق اربع رقاب د من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن سمرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا (٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل في تكرار لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير تقدم من حديث ابي ايوب تكرارها عشرا دون قوله يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير فانها في اليوم والليلة للنسائي من حديث ابي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة واسناده ضعيف (٦) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله في اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث

وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ منهم العلم سمى تابعيا ثم لما تقادم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي واختلفت الآراء وتنوعت الانحاء وتفرد كل ذي رأي برأيه وكدر شرب العلوم شوب الاهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفردت طائفة باعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة باهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين الى رب الارباب فأثمر لهم صالح الاعمال سني الاحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار

والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿الثالثة﴾ قوله (١) سبوح قدوس رب الملائكة والروح ﴿الرابعة﴾ قوله (٢) سبحان الله العظيم وبحمده ﴿الخامسة﴾ قوله (٣) أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ﴿السادسة﴾ قوله اللهم (٤) لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﴿السابعة﴾ قوله (٥) لا اله الا الله الملك الحق المبين ﴿الثامنة﴾ قوله (٦) بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ﴿التاسعة﴾ اللهم (٧) صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم ﴿العاشرة﴾ قوله (٨) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له

أبى سعيد الخدرى استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (١) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عند م من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء أكثر من ان تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٢) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبى هريرة من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (٣) حديث تكرار استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ ان من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب اليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبى سعيد فى قولها ثلاثا وللبخارى من حديث أبى هريرة انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبرانى أكثر ولمسلم من حديث الاعرابى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الاحاديث فى الباب الثانى من الاذكار (٤) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها فى حديث وانما وردت مطلقة عقب الصلوات وفى الرفع من الركوع (٥) حديث تكرار لا اله الا الله الملك الحق المبين المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وامان من وحشة القبر واستجلب به الغنا واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولابى نعيم فى الحلية من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسال الله فيهما حاجة الا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن على (٦) حديث تكرار بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان و ك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجاة بلاء حتى يمسى قال ت حسن صحيح غريب (٧) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آل محمد ذكره ابو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى فى فضائل القران من حديث ابن أبى أوفى من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة وفيه انقطاع (٨) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين واعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان الى الصبح

لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان كما قال حارثة اصبحت مؤمنا حقا حيث كوشف برتبة فى الايمان غير ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير الى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها فاخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا فى كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم نزاع القبائل واصحاب الفضائل سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد ولهيب شوقهم يتاجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا فى زمرتهم وارزقنا حالاتهم والله أعلم ﴿الباب السابع فى ذكر المتصوف والمتشبه به﴾ (أخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام

قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد (١) واية الكرسي (٢) وخاتمة البقرة (٣) من قوله آمن الرسول (٤) وشهد الله (٥) وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى (٦) لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخرها وقوله تعالى (٧) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله سبحانه (٨) الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية (٩) وخمس آيات من أول الحديد (١٠) وثلاثا من اخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام الى

الحديث ولابي الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون والحديث عند أبي داود و ت وحسنه و ك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبدالله بن عمرو (١) حديث فضل سورة الحمد خ من حديث ابي سعيد بن المعلى انها أعظم السور في القرآن و م من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل الى الارض وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما الا أعطيته (٢) حديث فضل اية الكرسي م من حديث ابي ابن كعب يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان اليه وقوله اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب (٣) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٤) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله الى قوله الاسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له عبدي هذا عهد الى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وفيه عمر بن المختار روى الاباطيل قاله ابن عدي وسيأتي حديث على بعده (٥) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين المستغفري في الدعوات من حديث علي ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادي دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروي عن الاثبات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم و ن وروى له خ تعليقا (٦) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى اخرها طب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثا وفي آخره فقل حسبي الله الى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف (٧) حديث فضل لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لم أجد فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع (٨) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية كلها واسناده ضعيف (٩) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن من حديث علي اذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد الى قوله عليم بذات الصدور ومن آخر سورة الحشر من قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (١٠) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل

أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ ابو منصور بن خيرون قال انا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الاصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال انا المعتمر بن سليمان قال انا حميد الطويل عن انس بن مالك قال جاء رجل الى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى الصلاة قال اين السائل عن الساعة فقال الرجل انا يارسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل الا انى أحب الله ورسوله فقال النبي عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت

ابراهيم

ابراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روى عن (١) كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الابدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعمت الهدية فقلت يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها ابراهيم التيمي قلت أفلم تسال ابراهيم من أعطاه اياها قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبالك في الله وعندي هدية أريد أن اهديها لك فقلت ماهي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون واية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا واجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يامولانا مانحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية العظيمة فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فراى مافيها ووصف امورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل مابين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى في الارض فقلت يارسول الله فمن فعل هذا اوعمله ولم يرمثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويامر صاحب الشمال ان لايكتب عليه خطيئة من السيآت الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم التيمي يمكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا

فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيأ مما انتهى اليه ورده من القرآن اواقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وادابه في باب التلاوة * واما الافكار فليكن ذلك احدى وظائفه وسيأتي تفصيل مايتفكر فيه وكيفيته كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين * احدهما ان يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين * الفن الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر الائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الاله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ومهما

هذا بورقة وللبيهقي في الشعب من حديث ابي امامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل اونهار فمات من يومه اوليلته فقد اوجب الله له الجنة (١) حديث كرز بن وبرة عن رجل من اهل الشام عن ابراهيم التيمي ان الخضر علمه المسبعات العشرة وقال في آخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له اصل ولم يصح

الا لمحبته اياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع ارادته ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذي رويناه في المعنى روى عبادة بن الصامت عن أبي ذر الغفاري قال قلت يارسول الله الرجل يحب القوم ولا يسطيع أن يعمل كعملهم قال أنت ياأبا ذر مع من أحببت قال قلت فاني أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فاعادها أبو ذر فاعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحبة المتشبه اياهم لا تكون الا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية لان محبة أمر الله وما يقرب اليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير ان المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع

الى حال الصوفى وهو مشارك ببقاء شىء من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق الصوفية اوله ايمان ثم علم ثم ذوق

تيسر الفكر فهو أشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثانى زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التى سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف الى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن فى الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى الا أمور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهر لان أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التى استحقت ان تسمى نورا وكاد يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال صلى الله عليه وسلم (١) ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو فى الاول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال فلما جن عليه الليل اى اظلم عليه الامر رأى كوكبا أى وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعانى فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافى وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربعة اعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالاذكار (٢) وهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به ﴿ الورد الثانى ﴾ ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احداهما صلاة الضحى وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة وان الاولى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعا أو ستا أو ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التى على وجه الارض فانها تمنع اشراقها

فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته (١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم فى قواعد العقائد (٢) حديث اشتغاله بالاذكار من الصبح الى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م فى جلوسه صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع

فالمتشبه صاحب ايمان والايمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الايمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك ان الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لانهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم واشاراتهم الى عظيم أمر الله والقرب منه والايمان بذلك ايمان بالقدرة وقد أنكر قوم من اهل الملة كرامات الاولياء والايمان بذلك ايمان بالقدرة ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم الا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب ايمان والمتصوف صاحب علم لانه بعد الايمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرها والصوفى صاحب

التام

التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الاعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته ألا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وان كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ماقبل الزوال فى ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الاشراق تقع فى مبتدا وقت الاذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة اذ قال صلى الله عليه وسلم (٢) ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب ﴿ الوظيفة الثانية فى هذا الوقت ﴾ الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم ومايجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شىء من ذلك عاد الى الوظائف التى قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لاسبب لها وبعد الصبح الاحب أن يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر ﴿ الورد الثالث ﴾ من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وماقبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث ساعات اخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم تفرض لانه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم ﴿ الوظيفة الرابعة ﴾ فى هذا الوقت الاقسام الاربعة وزيد أمران * أحدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغى أن يتجر بصدق وأمانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لايوجد المؤمن الا فى ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره او حاجة لابد له منها وقل من يعرف القدر فيما لابد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بدانه لابد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه * الامر الثانى القيلولة وهى سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لايقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة اذ فى النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك اذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثورى رحمه الله كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ولكن ينبغى أن ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب

الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وانما هو من قوله مما تقدم من حديث أنس (١) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته ألا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال طب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى باعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٢) حديث ان الشمس تطلع

ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفى وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لابد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون فى الحال الاول صاحب ذوق وفى الحال الذى كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب ايمان حتى لايزال طريق الطلب مسلوكا فيكون فى حال الذوق صاحب قدم وفى حال العلم صاحب نظر وفى حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعالى (ان الابرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون) وصف الابرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) فكان لشراب الابرار مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرفا فللصوفى شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج فى شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتصوف فالصوفى سبق الى مقار الروح من بساط

المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى و يصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنى قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر اى يخلف أحدهما الآخر فى الفضل والثانى انه يخلفه فيتدارك فيه مافات فى أحدهما ﴿الورد الرابع﴾ مابين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر ورواتبه وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم الى احياء مابين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذى أراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون (١) وليصل فى هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء انه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ومذهب الشافعى رضى الله عنه انه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل و يفصل بتسليمة وهو الذى صحت به الاخبار (٢) وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المئين أو أربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغى أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل و يستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة والآيات التى أوردناها فى الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت ﴿الورد الخامس﴾ مابعد ذلك الى العصر و يستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير و يكون فى انتظار الصلاة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه فاحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد فى النوم ان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدار استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم وان عاش ستين سنة ان ينتقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الابدان وكما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات ﴿الورد السادس﴾ اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معنى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله وعشيا وفى قوله بالعشى والاشراق وليس فى هذا الورد صلاة الا اربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق فى الظهر ثم يصلى الفرض و يشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة فى الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك بين

ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها تقدم فى الصلاة (١) حديث صلاة اربع بعد الزوال بتسليمة واحد وفيه انها فيها تفتح ابواب السماء وانها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب ان يرفع لى فيها عمل صالح د ه من حديث ابى ايوب وقد تقدم فى الصلاة فى الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى د وحب

وصفه فهو مجتهد فى طريقه سائر الى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يارسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفى فى مقام المفردين والمتصوف فى مقام السائرين واصل فى سيره الى مقار القلب من ذكر الله عز وجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره الى نظر الله اليه فالصوفى فى مقار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف فى مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه فى مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفى بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لان التلوين لاربابِ الاحوال والمتشبه مجتهد

الذكر

الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الاقسام الثلاثة ﴿الورد السابع﴾ اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى فسبح وأطراف النهار قال الحسن كانوا أشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ماذكرناه في الورد الاول مثل أن يقول أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن أحب كقوله أستغفر الله انه كان غفارا أستغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب ان يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ماسبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيآت وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا أياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

﴿بيان أوراد الليل وهي خمسة﴾

﴿الاول﴾ اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء مابين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال فلا أقسم بالشفق والصلاة فيه هي ناشئة الليل لانه اول نشو ساعاته وهو آني من الآناء المذكورة في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهي صلاة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل (٢) عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة بين العشاءين ثم قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشاءين في الباب الثاني * وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي أربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ماتيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته

---

(١) حديث لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الاول الا انه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد ٧ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت انما هو اسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية اسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الاعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال قال

٧ قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له والا في النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليتأمل اهـ مصححه

عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد ابن عاصم الانطاكي رحمه الله الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وكل هذه الاقوال قريبة التناسب من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء (أخبرنا)

ان لم يكن عزمه العكوف فى المسجد وان عزم على العكوف فى انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء ﴿ الورد الثانى ﴾ يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة الى حد نومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اى وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته * وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور * الاول ان يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا و يقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد واخر الحشر وغيرها * والثانى ان يصلى(١) ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ماروى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل والاكياس يأخذون أوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة اية من السور المخصوصة التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس(٢) وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى فى ثلاث احاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) فى كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر(٤) والواقعة وفى رواية الزمر و بنى اسرائيل وفى اخرى انه كان يقرأ(٥) المسبحات فى كل ليلة و يقول فيها آية أفضل من الف اية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى اذ فى الخبر انه صلى الله عليه وسلم(٦) كان يحب سبح اسم ربك الاعلى(٧) وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات اول النهار ومهذبة آخره واسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطنى واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الاعمش ولابن مردويه من حديث أنس انها نزلت فى الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة (١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وانه اكثر ماصلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بانقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة و خ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل و م كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفى رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما ايضا ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة (٢) حديث اكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم اقف على ذكر الاكثار فيه و حب من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له و ت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وقال غريب ولابى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل و يس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولابى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى فى فضائل القرآن من حديث على ياعلى اكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللحارث بن ابى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا و ت من حديث ابن عباس شيبتنى هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك ت وتقدم فى الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ فى كل ليلة الزمر و بنى اسرائيل ت وتقدم (٥) حديث كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة و يقول فيهن اية افضل من الف آية د ت وقال حسن و ن فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية (٦) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعلى احمد والبزار من حديث على بسند ضعيف (٧) حديث كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص د ن

محمد بن سعيد قال انا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم قال اخبرنى الحسين ابن محمد بن فنجويه قال حدثنا احمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازى قال حدثنا ابو ايوب سليمان بن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن ابى ليلى عن اخيه عن اسامة ابن زيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات كلهم فى الجنة قال ابن عطاء الظالم الذى يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذى يحب الله من اجل العقبى والسابق هو الذى أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفى فالمتشبه تعرض لشىء من امر القوم و يوجب له ذلك القرب منهم

* الثالث

* الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضى الله عنه أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أن لا أنام الا على وتر وان كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم (٢) صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقالت عائشة رضى الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال على رضى الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء ان شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعنى انه يصير وترا بما مضى وان شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وان شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الاول والثالث لا بأس به (٤) واما نقض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى أن ينقض وروى مطلقا أنه صلى الله عليه وسلم (٥) قال لا وتران فى ليلة ولمن يتردد فى استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت وألهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد وفى رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله تعالى فقيل ان استيقظ قامت مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة فى آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكى وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وأبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر الا أن يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى أنه صلى الله عليه وسلم (٧) ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال (٨) للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما

(الورد الثالث) النوم ولا بأس أن يعد ذلك فى الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل (٩) ان العبد اذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فان تحرك فى نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله وفى الخبر (١٠) اذا نام على طهارة رفع روحه الى العرش هذا فى العوام فكيف

ه من حديث أبى بن كعب باسناد صحيح وتقدم فى الصلاة من حديث أنس (١) حديث أبى هريرة أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام الا على وتر متفق عليه بلفظ ان أوتر قبل ان أنام (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٣) حديث عائشة اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر متفق عليه (٤) حديث النهى عن نقض الوتر قال المصنف صح فيه نهى قلت وانما صح من قول عائذ بن عمرو وله صحبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بانه مرفوع فالظاهر أنه انما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٥) حديث لا وتران فى ليلة د ت وحسنه ون من حديث طلق بن على (٦) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا تقدم فى الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٧) حديث ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبى صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا (٨) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين (٩) حديث قيل انه اذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل فى شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات فى شعاره ملك فلم يستيقظ الا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا (١٠) حديث اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء وهق فى الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طب فى الأوسط من حديث على ما من عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذى لا يستيقظ الا عند

يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب الى فلان يشير الى حتى يكلمك فى معنى الخرقة ثم احضر حتى البسك الخرقة قال فجاء الى فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن ان يلبسها فاخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولى له فاستحضرنى وعاتبنى على قولى له ذلك وقال بعثته اليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته فى الخرقة فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذى ذكرته كله صحيح وهو الذى يجب من حقوق الخرقة ولكن اذا الزمنا المبتدى بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن

نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيى بزيهم فيقرب به ذلك من مجالسهم ومحافلهم وببركة مخالطته معهم ونظره الى أحوال القوم وسيرهم

بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار فى النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح (٢) وقال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيأ وأتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكن أنا انام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما احتسب فى قومتى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم (٣) اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هى المؤثر فى انكشاف حجب الغيب * الثانى أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره و ينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم (٥) من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى * الثالث أن لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض فى النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يتزاوره الاموات و يتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم * الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وسلم (٦) من أوى الى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم * الخامس أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم و يرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم و بين التراب حاجزا و يقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد * السادس أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفى الخبر (٧) لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) ان فلانة تصلى

العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب وهو ضعيف (١) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم فى الصوم (٢) حديث قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيأ واتفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكنى لا انام ثم اقوم واحتسب فى نومتى ما احتسب فى قومتى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك متفق عليه بنحوه من حديث ابى موسى وليس فيه انهما ذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك وانما زاد فيه طب فكان معاذ افضل منه (٣) حديث اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٤) حديث انه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم فى الطهارة (٥) حديث من أتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه ن ه من حديث ابى الدرداء بسند صحيح (٦) حديث من أوى الى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم ابن أبى الدنيا فى كتاب النية من حديث انس من اصبح ولم يهم بظلم احد غفر له ما اجترم وسنده ضعيف (٧) حديث لا تكابدوا الليل ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود لا تغالبوا هذا الليل (٨) حديث قيل له ان فلانة تصلى فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاهن عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث انس

يجب أن يسلك مسلكهم و يصل بذلك الى شيء من أحوالهم و يوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالى ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال انا عصام الدين عمر بن احمد الصفار قال انا ابو بكر احمد ابن على بن خلف قال انا الشيخ عبد الرحمن السلمى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت ابا القاسم الجنيد يقول اذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه و برفق الصوفية بالمتشبثين بهم ينتفع المبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدى الطالب (حكى) عن بعضهم انه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك الا نظر المبتدى اليه والتأدب بادبه والاقتداء به فى عمله وهذا هو الرفق الذى مادخل فى شيء

بالليل

بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال صلى الله عليه وسلم (١) تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يمل حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم (٢) خير هذا الدين أيسره وقيل له صلى الله عليه وسلم (٣) ان فلانا يصلى فلا ينام و يصوم فلا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك عبادة الله * السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقى على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه الى القبلة والثانى استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على شقه الايمن * الثامن (٥) الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربى وضعت جنبى و باسمك أرفعه الى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى كتاب الدعوات و يستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الى قوله لقوم يعقلون يقال ان من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه و يقرأ من سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام الى قوله قريب من المحسنين وآخر بنى اسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له و يقرأ المعوذتين و ينفث بهن فى يديه و يمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة * التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقال وهو الذى يتوفاكم بالليل فسماه توفيا وكما ان المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله فى النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت فى ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو

---

(١) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ اكلفوا (٢) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث محجن بن الادرع و تقدم فى العلم (٣) حديث قيل له ان فلانا يصلى ولا ينام و يصوم ولا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتى الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتى فليس منى وهى متفق عليها من حديث أنس (٤) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله خ من حديث أبى هريرة لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقى من حديث جابر ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ولا يصح اسناده (٥) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم ربى وضعت جنبى الحديث الى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك و بقية الدعوات (٦) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه و يمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٧) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث

الازانه فالتشبه الحقيقى له ايمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فاما من لم يتطلع الى حال المتصوف والصوفى بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة فى الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لانه غير محاك لهم بالدخول فى بداياتهم فاذن هو متشبه بالتشبه يعتزى الى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح

الغالب عليه و يحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب * العاشر الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار. وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور الى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ * الورد الرابع * يدخل بمضى النصف الاول من الليل الى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا اوسط الليل و يشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى أى اذا سكن وسكونه هدوه فى هذا الوقت فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) أى الليل أسمع فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى انى أحب أن أتعبد لك فأى وقت أفضل فأوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك وارفع الى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وفى آخر الليل وردت الاخبار (٤) باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوأ كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه الى مصلاه و يقوم مستقبلا القبلة و يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا و يهلل عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت رب السموات والارض ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت و بك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت انت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا

تقدم فى الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة (١) حديث كان يقول عند تيقظه لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة (٢) حديث سئل اى الليل اسمع قال جوف الليل دت وصححه من حديث عمرو بن عنبسة (٣) حديث سئل أى الليل افضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة

(٤) الاخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار الى سماء الدنيا
أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال قال داود يا جبريل أى الليل أفضل قال ما أدرى غير أن العرش يهتز من السحر وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال اذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا ان الله تبارك و تعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن الحديث وهو مثله (٥) حديث القول فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والارض

محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهانى قال أنا عبد الله بن محمد ابن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد ابن أبى عاصم قال ثنا ابراهيم بن محمد الشافعى قال ثنا على بن أحمد قال ثنا على بن على المقدسى قال ثنا محمد بن عبد الله ابن عامر قال ثنا ابراهيم بن الاشعث قال ثنا فضيل بن عياض عن سليمان الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الطرق و يتبعون مجالس الذكر فاذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى

انت اللهم (١) آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم (٢) اهدني لأحسن الاعمال لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت (٣) أسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين وأكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم (٤) اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة و يصلي (٥) ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ماتيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر و يستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح و يزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلاث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) يجهر في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر وقال صلى الله عليه وسلم (٧) صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلاة (٨) المغرب أوترت صلاة النهار فاوتروا صلاة الليل وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩) في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة و يقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الاخير من الليل ﴿ الورد الخامس ﴾ السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال و بالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (١٠) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع

ولك الحمد أنت زين السموات والارض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (١) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد باسناد جيد من حديث عائشة انها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب اعط نفسي تقواها الحديث (٢) حديث اللهم اهدني لأحسن الاعمال لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت م من حديث علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قام الى الصلاه فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٣) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس انه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة تقدم في الحج (٤) حديث عائشة كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض الحديث رواه م (٥) حديث انه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد ابن خالد الجهني (٦) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر د ن ه باسناد صحيح (٧) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٨) حديث صلاة المغرب اوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل احمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٩) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه تقدم (١٠) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام الحديث وفي

فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول ما يسألونني قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوذا واشد فرارا فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى

الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم و يصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة الى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفانى عليها اللهم احطط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا واحفظها على وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففى الخبر (١) من جمع بين هذه الاربع فى يوم غفر له وفى رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم (٢) الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وسلم (٣) اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضى الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت مالكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل اذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ذلك ماسأله أحد شيأ فقال لا ولكنه ان لم يقدر عليه سكت وفى الخبر (٥) يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى المفصل وفى جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتى على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله

﴿ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال ﴾

اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ﴿ الاول ﴾ العابد وهو المتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ماذكرناه نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بان يستغرق أكثر أوقاته اما فى الصلاة أو فى القراءة أو فى التسبيحات فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى ألف ركعة وأقل مانقل فى اورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة فى التفكر فى آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين اسبوعا وفى كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ و يكون مع كل اسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد فى ذلك ايضا تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع

آخره فقال صدق سلمان خ من حديث ابى جحيفة (١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له وفى رواية دخل الجنة م من حديث ابى هريرة ما اجتمعن فى امرئ الا دخل الجنة (٢) حديث الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم فى الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم فى الزكاة (٤) حديث ماسأله أحد شيأ فقال لا ان لم يقدر عليه سكت م من حديث جابر وللبزار من حديث انس او يسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م

عليهم فسلا يشقى جليس الصوفية والتشبه بهم والمحب لهم

﴿ الباب الثامن فى ذكر الملامتى وشرح حاله ﴾

قال بعضهم الملامتى هو الذى لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو ان الملامتى تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب ان يطلع احد على حاله واعماله (اخبرنا) الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابى الفضل المقدسى اجازة قال انا ابو بكر احمد بن على بن خلف الشيرازى اجازة قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى قال سمعت على بن سعيد وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت على ابن ابراهيم وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد

تسبيحة مثلا واحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن ابراهيم ابن ادهم عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم يرأحدا فقال من انت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهليائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلى الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان فهذا وأمثاله اذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فيلازمه وأيما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه ﴿ الثانى ﴾ العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لامحالة فان أمكنه استغراق الاوقات فيه فهو أفضل مايشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ماذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم وكيف لايكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتامل ماقال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الاوقات فى ترتيب العلم لايحتمله الطبع فينبغى أن يخصص مابعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه فى الورد الاول وبعد الطلوع الى ضحوة النهار فى الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لايتركها الا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرتا بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع واما الليل فاحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء والصيف ربما لايحتمل ذلك الا اذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا مانستحبه من ترتيب اوراد العلم ﴿ الثالث ﴾ المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ماذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك أفضل بل ان لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالاوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الاوقات ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه (١) ان حضور مجلس ذكر افضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها

(١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة الحديث تقدم فى العلم (٢) حديث اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم

ابن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ماهو قال سألت احمد ابن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ما هو قال سألت احمد ابن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت احمد ابن على الجهمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبرائيل عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سر من سرى استودعته قلب من احببت

فقيل يارسول الله ومار ياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار رضى الله عنه لوأن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى امارة امارته وكل ذى سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة أكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو اليك قساوة قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورأي عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يامسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر وعلى الجملة فماينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا ﴿الرابع﴾ المحترف الذى يحتاج الى الكسب لعياله فليس أن يضيع العيال و يستغرق الاقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لاينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن أن يجمع الى العمل وانما لايتيسر مع العمل الصلاة الا أن يكون ناظورا فانه لايعجز عن اقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الاوراد التى ذكرناها لان العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه الى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب اليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الاجر ﴿الخامس﴾ الوالى مثل الامام والقاضي والمتولى لينظر فى امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الاوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعله اذ قال مالى وللنوم فلونمت بالنهار ضيعت المسلمين ولونمت بالليل ضيعت نفسى وقد فهمت بماذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه ﴿السادس﴾ الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى اصبح وهمومه هم واحد فلايحب الا الله تعالى ولايخاف الا منه ولايتوقع الرزق من غيره ولاينظر فى شيء الا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلايخطر بقلوبهم أمر ولايقرع سمعهم قارع ولايلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلامحرك لهم ولامسكن الا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلاتتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله عز وجل كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله ويتحقق فيهم قوله تعالى واذا اعتزلتموهم ومايعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله انى ذاهب الى ربى سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لايهجس فى قلبه وسواس ولايخطر فى قلبه معصية ولاتزعجه هواجم الاهوال ولاتستفزه عظائم الاشغال وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق الى الله تعالى قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فكلهم مهتدون و بعضهم أهدى من بعض وفى الخبر (١) الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل

(١) حديث الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين

محض عبادى فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم الاحوال والاعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لاحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته فالملامتى عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتمدا به والصوفى غاب فى اخلاصه عن اخلاصه (قال) أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم الى اخلاص * وقال ذو النون ثلاث من علامات الاخلاص استواء الذم والمدح من العامة ونسيان رؤية الاعمال فى الاعمال وترك اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة ﴿أخبرنا﴾ أبو

فسكل

فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصواب أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وانما يتفاوتون فى درجات القرب لا فى أصله وأقربهم الى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل فى الاوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة فى التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وسئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا أثبته لذلك قال صلى الله عليه وسلم (٣) من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب فى صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين (٤) شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن فى منزله لا فى المسجد كيلا يقتدى به روته عائشة وام سلمة رضى الله عنهما فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به فى ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق فى حقه فلا يقاس عليه فى ذلك غيره ويشهد لذلك فعله فى المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم

﴿الباب الثانى فى الاسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب احياؤها وفى فضيلة احياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل﴾

﴿فضيلة احياء ما بين العشاءين﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضى الله عنها (٥) ان أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين فى الجنة قال الراوى لا أدرى من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة وروت ام سلمة وأبو هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) أنه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال

واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الايمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة وقال الطبرانى والبيهقى ثلثمائة وثلاثون وفى اسناده جهالة (١) حديث أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا أثبته رواه م (٣) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله تقدم فى الصلاة وهو موقوف على عائشة (٤) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر فى منزله متفق عليه من حديث أم سلمة انه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقى الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما فى المسجد مخافة أن يثقل على أمته والله الموفق للصواب

﴿الباب الثانى فى الاسباب الميسرة لقيام الليل﴾

(٥) حديث عائشة أن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار فى كتاب الصلاة ورواه الطبرانى فى الاوسط مختصرا واسناده ضعيف (٦) حديث ابى سلمة عن أبى هريرة من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه بلفظ

زرعة اجازة قال أنا أبو بكر احمد ابن على بن خلف اجازة قال انا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا عثمان المغربى يقول الاخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجرى عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا الذى فصله الشيخ أبو عثمان المغربى يفرق بين الصوفى والملامتى لان الملامتى أخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو مخلص والصوفى أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص الخالص والمخلص (قال) أبو بكر

رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله ان يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من ركع عشر ركعات مابين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله عنه اذا تكثر قصورنا يارسول الله فقال الله أكثر وأفضل أوقال أطيب وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا و يقرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض الى اخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام فى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب واية الكرسى وايتين بعدها الى قوله أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله مافى السموات ومافى الارض الى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وصف من ثوابه فى الحديث مايخرج عن الحصر (٤) وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمنى شيأ أعمله فى كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا او أقبل على صلاتك التى أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب يالله يالله يالله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمنى ممن سمعت هذا فقال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحى اليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه أدخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ماورد فى فضل احياء مابين العشاءين كثير حتى قيل

اثنتى عشرة سنة وضعفه ت واما قوله كانه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الاحبار كما رواه ابو الوليد الصفار ولابى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب قبل ان يكلم احدا وضعت له فى عليين وكان كمن ادرك ليله القدر فى المسجد الاقصى وسنده ضعيف (١) حديث سعيد ابن جبير عن ثوبان من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قران كان حقا على الله ان يبنى له قصرين فى الجنة لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر (٢) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصر فى الجنة فقال عمر اذن تكثر قصورنا يارسول الله الحديث ابن المبارك فى الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسلا (٣) حديث انس من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشىء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرا فى الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد الحديث ابو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف (٤) حديث كرز بن وبرة ان الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه ان كرزا سأل الخضر ممن سمعت هذا قال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لااصل له

الرقاق نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا اراد الله ان يخلص اخلاصه اسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لامخلصا (قال) ابو سعيد الخراز رياء العارفين افضل من اخلاص المريدين ومعنى قوله ان اخلاص المريدين معلول برؤية الاخلاص والعارف متنزه عن الرياء الذى يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيأ من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد او معاناة خلق من اخلاق النفس فى اظهاره الحال والعمل وللعارفين فى ذلك علم دقيق لايعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء انما هو صريح العلم

لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال (١) مابين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من صلى مابين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين وقال الاسود ماأتيت ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الوقت الا ورأيته يصلى فسألته فقال نعم هى ساعة الغفلة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها و يقول هى ناشئة الليل و يقول فيها نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال أحمد ابن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب اليك أو أفطر بالنهار وأحيي مابينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر قال أفطر وصل مابينهما

﴿ فضيلة قيام الليل ﴾

أما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عزوجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس ﴿ ومن الاخبار ﴾ قوله صلى الله عليه وسلم (٣) يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفى الخبر (٤) انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه وفى الخبر (٥) ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا ومافيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم وفى الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفى رواية يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا و يظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ياأباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا فقم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأباهريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم (٩) عليكم بقيام الليل فانه دأب

---

(١) حديث عبيد مولى رسول صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال مابين المغرب والعشاء رواه احمد وفيه رجل لم يسم (٢) حديث من صلى مابين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين تقدم فى الصلاة (٣) حديث يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة (٤) حديث ذكر عنده رجل نام حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان فى اذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا الحديث طب من حديث انس ان للشيطان لعوقا وكحلا فاذا لعق الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر واذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف (٦) حديث ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا ومافيها ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما عليهم آدم بن ابى اياس فى الثواب ومحمد ابن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله ابو منصور الديلمي فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٧) حديث المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه الحديث متفق عليه (٨) حديث ياابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا من الليل فصل وانت تريد رضا ربك ياابا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا باطل لا اصل له (٩) حديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث ابى امامة بسند حسن وقال ت

لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه ﴿ قال رويم ﴾ الاخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضا فى الدارين ولا حظا من الملكين * وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق والملامتى يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف اخلاص الصوفى ولهذا قال الزقاق لابد لكل مخلص من رؤية اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذى يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتى به على التمام قال جعفر الخلدي سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله قلت أبين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق أصل وهو الأول

الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم (١) ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم (٢) لابي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروى انه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم (٣) رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا ان الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة وروى ان جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم (٤) نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يانافع أسحرنا فاقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا فاقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال علي بن أبي طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم (٦) رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح في وجهها الماء وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت في وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم (٧) من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم (٨) أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (٩) من نام عن حزبه أو عن

انه أصبح (١) حديث ما من امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه ن في رواية الاسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوى ورواه ن ه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أنه قال لابي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مخلد مرسلا والسري ضعفه الازدي (٣) حديث انه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فاذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٤) حديث ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٥) حديث قيل له ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول ابن حبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امرأته فصلت الحديث د حب من حديث أبي هريرة (٧) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٨) حديث فضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٩) حديث عمر من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه بعد صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من

والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون الا بعد الدخول في العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص وخالصة كائنة في المخالصة فاعلى هذا الاخلاص حال الملامتي ومخالصة الاخلاص حال الصوفي والخالصة الكائنة في المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفي والملامتي مقيم في أوطان اخلاصه غير متطلع الى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتي والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم

شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كانما قرأه من الليل ﴿ الآثار ﴾ روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ويقال ان سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلى الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن رحمه الله مانعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبى رواد اذا جن عليه الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه و يقول انك للين ووالله ان فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله وقال الفضيل انى لاستقبل الليل من اوله فيهولنى طوله فافتتح القرآن فاصبح وماقضيت نهمتى وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلى الليل كله فاذا كان فى السحر قال الهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرنى برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء انى لاضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لا تعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت ياأهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وماتصلون الا المكتوبة قالوا نعم فرجعت الى الحسن فقالت يامولاى بعتنى من قوم لا يصلون الا المكتوبة ردنى فردها وقال الربيع بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الارض وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيى الليل كله فقال انى أستحى ان اوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله ويروى انه ما كان له فراش بالليل و يقال ان مالك ابن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك وأى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فاذا انا فى المنام بجارية كاحسن ما يكون وفى يدها رقعة فقالت لى أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت الى الرقعة فاذا فيها

ألهتك اللذائذ والامانى * عن البيض الاوانس فى الجنان * تعيش مخلدا لاموت فيها
وتلهوا فى الجنان مع الحسان * تنبه من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقران

وقيل حج مسروق فما بات ليلة الا ساجدا وروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجينى نفسك فقالت اخطبنى الى سيدى وأمهرنى فقلت وما مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغنى ان تحت العرش ملكا فى سورة ديك براثنه من لؤلؤ وصئصئه من زبرجد أخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل ان وهب بن منبه اليمانى ماوضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا احب الى من أن أرى فى بيتى وسادة لانها تدعو الى النوم وكانت له مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة فى النوم فسمعته يقول وعزتى وجلالى لأكرمن مثوى سليمان التيمى فانه صلى لى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة و يقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء وروى فى بعض الكتب

مشايخ يمهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا فى العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم (حكى) أن بعض الملامتية استدعى الى سماع فامتنع فقيل له فى ذلك فقال لانى ان حضرت يظهر على وجد ولا أوثر أن يعلم أحد حالى (وقيل) ان أحمد بن أبى الحوارى قال لابى سليمان الدارانى انى اذا كنت فى الخلوة أجد لمعاملتى لذة لا أجدها بين الناس فقال له

القديمة عن الله تعالى أنه قال ان عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديكة

﴿ بيان الاسباب التى بها يتيسر قيام الليل ﴾

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا ﴿ فاما الظاهرة ﴾ فاربعة أمور ﴿ الاول ﴾ ألا يكثر الا كل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام ﴿ الثانى ﴾ ان لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم ﴿ الثالث ﴾ أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة (١) للاستعانة على قيام الليل ﴿ الرابع ﴾ أن لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل للحسن يا أبا سعيد انى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يبكى فقلت فى نفسى هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى فقلت أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد قلت فما ذاك قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحة وما ذاك الا بذنب أحدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الدارانى لا تفوت أحدا صلاة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أى شئ تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل انه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر ﴿ وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور ﴾ ﴿ الاول ﴾ سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر فى صلاته الا فى مهماته ولا يجول الا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال

يخبرنى البواب انك نائم * وأنت اذا استيقظت أيضا فنائم

﴿ الثانى ﴾ خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصرى رحمه الله

منع القران بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها ان تهجعا

فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقا بهم ذلت اليه تخضعا

وأنشدوا أيضا

ياطويل الرقاد والغفلات * كثرة النوم تورث الحسرات

ان فى القبر ان نزلت اليه * لرقادا يطول بعد الممات

ومهادا ممهدا لك فيه

انك اذا لضعيف فالملامتى وان كان متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشا بساط الصدق ولكن بقى عليه بقية رؤية الخلق وما أحسنها من بقية تحقق الاخلاص والصدق والصوفى صفا من هذه البقية فى طرفى العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية وراهم بعين الفناء والزوال ولاح له ناصية التوحيد وعاين سر قوله كل شئ هالك الا وجهه كما قال بعضهم فى بعض غلباته ليس فى الدارين غير الله وقد يكون اخفاء الملامتى الحال على وجهين احد الوجهين لتحقيق الاخلاص

---

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم

الليل رواه م

بذنوب عملت اوحسنات * آأمنت البيات من ملك المو * ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابو المبارك

اذاما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

﴿الثالث﴾ أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان كما حكى ان بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله انى كنت اتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت زوجتى والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا اليها ﴿الرابع﴾ وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه فى قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله تعالى أحب الا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغى أن تستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب انعامه وأمواله انه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله تعالى لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى امر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك أيضا معلوما عنده فان قلت أنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره فى اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء انعامه والرجاء فى حق الله تعالى اصدق وما عند الله خير وابقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات وأما النقل فيشهد له أحوال قوم فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال آخر أنا والليل فرسار هان مرة يسبقنى الى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين أفرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحى به قط وقال على بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل فى ليلهم ألذ من اهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء فى الدنيا وقال ايضا لو عوض الله أهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب اعمالهم وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة فى الجماعة وقال بعض العارفين ان الله تعالى ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ويشتاقون لى وأشتاق اليهم ويذكروننى واذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعينى ما يتحملون من أجلى ويسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت

والصدق والوجه الآخر وهو الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيره فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ فى صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوبه وهذا وان علا ففى طريق الصوفى علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتى على المتصوف ويتأخر عن الصوفى وقيل ان من أصول الملامتية ان الذكر على اربعة اقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان

السموات السبع والارضون السبع ومافيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من اقبلت بوجهي عليه أيعلم أحدا ما أريد ان أعطيه وقال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والانوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا سر وتحقيق سيأتي الاشارة اليه في كتاب المحبة * وفي الاخبار عن الله عز وجل أي عبدي انا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وشكا بعض المريدين الى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يابني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال ياسيدي تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفي رواية أخرى يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم ﴿ بيان طرق القسمة لاجزاء الليل ﴾ اعلم أن احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب ﴿ الاولى ﴾ احياء كل الليل وهذا شأن الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء * حكى أبو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم لمن واظب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة اخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم ﴿ المرتبة الثانية ﴾ أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل ﴿ المرتبة الثالثة ﴾ أن يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) اذ أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى أهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت أيضا رضي الله عنها (٣) ما ألفيته بعد السحر الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو

عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء واذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الاذكار عندهم افة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر أطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه

(١) حديث جابر ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة رواه م (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الخ [illegible] دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم ان كان له حاجة الى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فاذا كان عن السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة ألم بأهله ولابي داود كان اذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فان كنت مستيقظة حدثني وان كنت نائمة ايقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج الى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ كان اذا صلى فان كنت مستيقظة حدثني والا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة وقال م اذا صلى ركعتي الفجر (٣) حديث عائشة ما ألفيته السحر الأعلى الا نائما متفق عليه بلفظ ما ألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندي الا نائما لم يقل خ الأعلى وقال ه ما كنت ألفى أو ألقى

هر برة رضي الله عنه وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب
وفيه استراحة تعين على الورد الاول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام
داود صلى الله عليه وسلم ﴿المرتبة الرابعة﴾ أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون في النصف الاخير
وقبل السدس الاخير منه ﴿المرتبة الخامسة﴾ أن لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه أو لمن
يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول
الليل الى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من
مكابدة الليل وأشد الاعمال وأفضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وهو طريقة ابن عمر
وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فاذا انتبهت
ثم عدت الى النوم فلا أنام الله لي عينا فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب
واحد بل ربما كان يقوم (٢) نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في
الموضعين من سورة المزمل ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه
ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف
الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم (٣) يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون
السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) في السفر ليلا فنام بعد العشاء
زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه
سواكا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ
فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل اول مرة ﴿المرتبة السادسة﴾ وهي الاقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو
ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة
الله وفضله وقد جاء في الاثر (٥) صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر
عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء
ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان

النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل الا وهو نائم عندي (١) حديث قيامه اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا
انتبه قام فاذا غلبه عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان د ت وصححه و ه من حديث ام سلمة كان يصلي
وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم
جاء فصلى اربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه الحديث (٢)
حديث ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل استيقظ الحديث وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث
الليل الآخر قعد فنظر الى السماء الحديث ولابي داود قام حتى اذا ذهب ثلث الليل او نصفه استيقظ الحديث ولمسلم
من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء ان يبعثه من الليل (٣) حديث عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ متفق
عليه (٤) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا
ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه
سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان
رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت وانا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لارقبن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى ابو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله
ابن ابي طلحة ان رجلا قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه انه اخذ سواكه من
مؤخر الرحل وهذا يدل انه ايضا كان في سفر (٥) حديث صل من الليل ولو قدر حلب شاة ابو يعلى من حديث

أو طلب ثوابه أو ظن أنه يصل الى شئ من المقامات وأقل الناس قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الاصل الذي بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر آثار الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون الى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود الهيبة

النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

﴿ بيان الليالى والايام الفاضلة ﴾

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى أن يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى أوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر وأما التسع الاخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة (١) فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا أن يدعو فى معصية وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال صلى الله عليه وسلم (٢) من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب * وأما الايام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهى عشرة ذى الحجة والايام المعدودات وهى أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) أنه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من أخذ مهناة فى الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء * ومن فواضل الايام فى الاسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام فى كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله أعلم وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين

﴿ تم الربع الاول من كتاب احياء علوم الدين ويتلوه الربع الثانى مفتتحا بآداب الاكل بحمد الله تعالى وعونه ﴾

ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولابى الوليد بن مغيب من رواية اياس بن معاوية مرسلا لا بد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة (١) حديث الصلاة المأثورة فى ليلة السابع والعشرين من رجب ذكره أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الايام والليالى ان أبا محمد الحبارى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر (٢) حديث من احيا ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب هـ باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة (٣) حديث أبى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والايام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم فى الباب الخامس من الصلاة ذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف

﴿ آخر المختصر من الجلد الاول من الاصل وهو ربع العبادات ويليه الجزء الثانى وأوله كتاب آداب الاكل ﴾

ووجود الهيبة يستدعى وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر الأنس وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذى هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد لانه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا الى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتدال حقيقة وهذه أقسام هذه الطائفة وبعضها أعلى من بعض والله أعلم


Bibliotheca Alexandrina
0529747